

اِكتشافُ اللَّذَّة

شذراتٌ قورينيّة

ترجمة: كامل العامري

نينوى



اِكتشافُ اللذَّة

شذراتٌ قورينيَّة

عنوان الكتـــاب: اكتشاف اللذّة - شذرات قورينيّة

اســـم المؤلـــف: ميشيل أونفري

اســـم المترجـم: كامل العامري

رقم الإصدار	دراسات فكرية
1313	75

الموضــــــــوع: دراسات فكرية

عدد الصفحات: 218 ص

القيـــــــــــاس: 14.5 × 21.5 سم

الطبعـة الأولى: 500 /كانون الثاني 2024 م - 1445 هـ

ISBN: 978-9933-38-521-7



سورية . دمشق . ص ب 4650

تلفاكس: 2314511 11 963+

هاتـــف: 2326985 11 963+

E-mail: info@ninawa.org

ninawa@scs-net.org

الإمارات العربية المتحدة - الشارقة -

المنطقة الحرة - مدينة الإعلام للنشر

هاتـــف: 506844076 971+

web: www.ninawa.org

دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع

@House Ninawa



Ninawa house

ninawa_publishing_house

العمليات الفنية:

التنضيد والتدقيق والتحرير والتحقيق والإخراج والطباعة - القسم الفني:

دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع

ميشيل أونفرَي

اِكتشافُ اللذَّة

شذراتٌ قورينيَّة



ترجمة

كامل العامري

MICHEL ONFRAY

L'Invention du plaisir

Fragments cyrénaïques

2 seas Literary Agency Inc. 2002.



ميشيل أونفري **Michel Onfray**

يعتبر ميشل أونفري امتداداً لفلاسفة ما بعد الحداثة في فرنسا وقد أسهم بصفة جديّة في الفلسفة الفرنسيّة المعاصرة، وهو معروف بغزارة مؤلّفاته التي تُعدُّ بالعشرات. لم يبدأ الكتابة إلا أواخر الثمانينيات، لتتوالى الإصدارت بمعدل كتاب في العام على الأقلّ، فاستحقّ لقب أكثر الفلاسفة غزارةً وظهوراً في الإعلام. بنى خطابه على فلسفة المتعة، وأعاد قراءة المعلّمين الكبار. يرى أونفري أنّ الفلسفة فنّ للوجود وأنّ غايتها الوصول إلى السّعادة القصوى عبر المتع الحسيّة والفكريّة. يحمل هذا الفيلسوف مشروعاً فكرياً تحرّرياً يطمح إلى إنزال الفلسفة من فضاء النخب الجامعيّة إلى الفضاء العمومي. أثار جدلاً واسعاً في الأوساط الفكريّة الفرنسيّة بسبب نقده اللّاذع لسيغموند فرويد ودعوته إلى تأسيس تحليل نفسي بعيداً عن فرويد.

المحتويات

استهلال

كانت المدرسة القورينية مدرسة فكر فلسفية، تأسست في القرن الرابع قبل الميلاد على يد أرستبوس القوريني (المتوفَّى في نحو 435 - 356 قبل الميلاد)، الذي كان يصرّح بأن اللذة الحسية هي الخير الأسمى والهدف الوحيد الجدير بالاهتمام في الحياة. عُرفت بأنها أول مدرسة في مذهب المتعة، وقد انتهت لتحلَّ محلها الفلسفة الأبيقورية الأكثر شمولاً.

استمدّت المدرسة اسمها من قورينة، وهي مدينة تقع في شمالي أفريقيا (الآن شحات، في ليبيا)، مسقط رأس أرستبوس، وهي المدينة التي طورت فيها ابنته أريتي رؤيته، ثم أضفى عليها ابنها أرستبوس الأصغر الطابع الرسمي، الذي عدّه العديد من العلماء أنه كان المؤسس الحقيقي للمدرسة القورينية. وقد أدَّت تعاليمه إلى ظهور أشهر ثلاثة فلاسفة قورينيين:

- أنيقريس (توفي في نحو 300 قبل الميلاد)
- ثيودوروس الملحد (توفي عام 250 قبل الميلاد)
- هيجسياس القوريني (الذي يحثّ على الموت، في نحو 290 قبل الميلاد).

يبدو أن وجهة نظر المدرسة قد تأثرت (أو كانت مشابهة في الأقل) بالمدرسة البيرونية، نسبة إلى بيرون من إليس (نحو 360 إلى 270 قبل الميلاد)، الفيلسوف المتشكك الذي أشاع تعاليمه تيمون الفيلونتي (نحو 320 إلى ج. 235 قبل الميلاد)، وسكستوس أمبيريكوس (من 160 إلى 210 م). وفاقاً لمذهب البيرونية، لا ينبغي للمرء إصدار أحكام أو استخلاص استنتاجات بناءً على الإدراك الحسيّ، لأنه لا يمكن للمرء إلّا أن يتأكد من تجربته الخاصة، التي

لا تتوافق بالضرورة مع الواقع الموضوعي. كانت أيضاً عقيدة أساسية للمدرسة القورينية بعد أريستبوس الأصغر، وربما رؤية أريستبوس القوريني، على الرغم من أنّ هذا غير واضح لأنّ كلّ ما هو معروف عن هذه المدرسة يأتي من كتّاب آخرين وروايات قصصيَّة.

في نهاية المطاف، طغت فلسفة أبيقور (341 -270 قبل الميلاد) على القورينيين، التي كانت ترى أيضاً اللذّة هدف الحياة الرئيس، لكن على نحو أكثر اعتدالاً من اللذّة لدى المدرسة القورينية. كانت الأبيقوريّة تشجّع على ضبط النفس، والسيطرة على الذات، والقبول بالملذّات البسيطة، على عكس وجهة نظر أرستيبوس، التي كانت تريد من الإنسان البحث عن اللذّة قدر الإمكان، طالما أنّها لم تكن تعتمد على هذا البحث، وعلى فلسفة القورينيين اللاحقين الأكثر تطرّفاً، مثل هيجيسياس.

تتلخّص رؤية المدرسة القورينية المركزيّة في عبارة أرستيبوس القورينيّ: «أنا أمتلك، أنا لست مملوكاً»، ما يعني أنَّه يجب السعي وراء اللذّة، على ألّا ندعها تستعبدنا. في الواقع، كان القصد من السعي وراء اللذّة هو تشجيع الحرية الشخصية بقدر ما لم يكن المرء مرتبطاً بمهام الآخرين الفلسفيّة أو الثقافيّة، لكن يمكنه اتّباع مساره الخاصّ وتأسيس وجهة نظره الخاصّة عن معنى الحياة.

يذكر أفلاطون وزينوفون (وكلاهما زميلان لسقراط) أرستيبوس، لكن كلّ ما هو معروف عن حياته وتعاليمه، جاء من مؤلفين لاحقين. وبخاصّة ديوجينيس اللائرتي (القرن الثالث الميلادي) الذي تطرّق إليه في كتابه (حياة ومذاهب الفلاسفة المشهورين)، والذي وفَّر معلومات قصصيّة عن حياته، لكن اللائرتي لم يذكر مصادره أو، على ما يبدو، لم يدقّق نصّه، ولأنّه نصّ متناقض في كثير من الأحيان، فتالياً يُعدُّ غير موثوق به إلى حدّ كبير. ومع ذلك،

يستمرّ الاستشهاد به لأنّه في بعض الأحيان يمكن التحقّق ممّا يقوله من مصادر أخرى، وعلى نحو أساسيّ، إذ من الواضح أنه كان يعتمد على مصادر قديمة لم تعد موجودة، حتّى لو كانت هذه المصادر غير معروفة.

ولد أرستيبوس في مدينة قورينة، ودرس في أثينا حيث أصبح أحد تلاميذ سقراط. بعد إعدام سقراط عام 399 قبل الميلاد، بدأ أرستيبوس، مثل العديد من الطلاب الآخرين، في تدريس وجهة نظره الخاصّة، وكان أوّل فلاسفة سقراط ممَّن طالبوا بالتعويض عن تدريسه. شجّع الناس على البحث عن اللذّة بحسبانها المعنى النهائيّ للحياة، ومن ثمَّ عدم الشعور بالذنب بسبب الاستمتاع والعيش كما يحلو لهم. كتب اللائرتي في فصله عن حياة أرستيبوس:

كان أرستيبوس يعرف كيف يتكيّف مع الأوقات والأماكن والناس. كان رجل كلّ المواقف. وكان الملك ديونيسيوس يكنّ له مودّة خاصّة، لأنه كان يتكيّف مع كلّ شيء، وكان يشعر بالسعادة في حضوره، من دون أن يكلّف نفسه عناء متابعته.

بعد أن عاتبه أفلاطون على أسلوب حياته المفرط، قال: «هل تعتقد أنَّ ديونيسيوس إنسان طيّب؟ لمَّا أومأ أفلاطون برأسه علامة الموافقة، قال: «ومع ذلك، فهو يعيش أسلوب حياة أكثر سخاءً منّي. لذلك، لا يوجد سبب يمنعك من أن تعيش حياة راقية، وأن تكون رجلاً صالحاً».

عبارة أرستيبوس الشهيرة، «أنا أملك، أنا لست مملوكاً»، هي من صميم تعاليمه، حيث يعتقد أنّ كلّ الملذّات صالحة على حدّ سواء، بشرط ألّا تضيع فيها:

في أحد الأيام، بينما كان يدخل منزل إحدى المحظيّات، بدأ أحد الشبّان المرافقين له يحمرّ خجلاً، لذلك قال أرستيبوس: «ما هو خطأ ليس عدم الدخول، لكن عدم القدرة على الخروج».

وفاقاً لتعاليم أرستيبوس، إذا فقدت نفسك في المتعة، فلـن تكـون حـرّاً. إذاً، كـان المبدأ الأساسيّ لفلسفته يقوم على الحريّة. فالسعي وراء المتعة مجرّد تجسـيد مـاديّ لهذه الحريّة. إنّ قيمـة مـذهب اللـذّة لـدى أرسـتيبوس الحكمـة والـذكاء والكرامـة الشخصيّة.

يؤكّد اللائرتي أنّ أرستيبوس كتب العديد من الأعمال، لكنّه يشـير في موضـع آخـر إلى أنّـه لم يكتـب شـيئاً. يبـدو أنّ الكتّـاب اللاحقـين يشـيرون عـلى نحـو متكـرّر إلى أرستيبوس الأصغر ببساطة باسم «أرستيبوس»، وتالياً يمكن أن تكون الإشارة هنـا إلى الحفيد الذي يُنسب إليه الفضل في التأسيس الرسميّ للمدرسة القورينية.

على الرغم من أنّ أرستيبوس دعا إلى ضبط النفس والانضـباط الـذاتي في الحفـاظ على الحرية الشخصيّة، إلّا أنّه يبدي ميلاً أكثر نحو التساهل أكثر مـن حفيـده الـذي أكّد على أهميّة الحياة الفاضلة لتحقيق اللذّة. من جهة أخرى، تركّز تعاليم المدرسـة القورينية على نظرية المعرفة (كيف نعرف ما نعرفه) والأخلاق (كيف نـتصرف بنـاءً على ما نعرفه)... ويبدو أن نظريته المعرفية متأثرة بشكوكية البيرونيـة كـما حـدّدها سكستوس أمبيريكوس**Sextus Empiricus**

وهكذا، تمسّك فلاسفتها بهذا الرأي، الذي، وفاقاً له، لا يمكـن فهـم أيّ حكـم عـن الواقع الخارجيّ إلّا بأنـه تجربـة شخصـية، وأنّ مـن المسـتحيل فهـم هـذه الحقيقـة بموضوعيّة. فالخبرة الذاتية للفرد في الحياة تختلف اختلافاً كبيراً عمّا قد تكـون عليـه في الواقع، وتالياً، وفاقاً لرأي القورينيين، فإنّ ما يعتقد المرء أنَّه حقيقيّ يعـدُّ صـحيحاً بالنسبة إلى نفسه، لكن لا توجد طريقة لمعرفة ما إذا كان هذا الاعتقاد يتوافـق مـع الواقع الفعليّ. والواقع، نظراً لعدم وجود طريقة لمعرفة ما إذا كان أحـد مـا يشـاهد مسرحية حزينة، لا يمكن القول «إنّها مسرحية حزينـة»، لكـن فقـط «أشـعر بـالحزن حين مشاهدة هذه المسرحيَّة».

الأمر نفسه ينطبـق عـلى المصـباح أو الكـرسيّ. لا تتظـاهر بـالقول «إنّـه مصـباح ذهبيّ» أو «إنّه كرسيّ أحمر»، لأنّ الأشخاص الآخـرين في الغرفـة قـد يـرون المصـباح أصفر أو نحاسيّاً، والكرسيّ بلون بنيّ أو برتقاليّ. وفي هذا، تعكـس النظـرة القورينيـة فلسفة بروتاغوراس (485 -415 قبل الميلاد) الذي أكّد أنّ «الإنسان هو المقياس بـين كلّ الأشياء»: ما ينطبق على الشخص «أ» قـد لا يكـون كـذلك بالنسـبة إلى الشـخص «ب»، لكن ليس لحقيقة الشخص «ب» أيّ تأثير في حقيقة الشخص «أ»، فإذا كانـت الحقيقة «أ» تختلف عن «ب»، فيجب على كلـيهما قبولهـا والامتنـاع عـن المجادلـة، لأنّ الصراع يتعارض مع الخير والهدف الأسمى للحياة: اللذّة.

لقد انبثقت أخلاقياتهم من هذا المفهوم. نظراً لأنّه لا يمكـن لأحـد أن يعـرف مـا يعرفه الآخرون، ومـن المسـتحيل فهـم الواقـع الخـارجي، يجـب عـلى المـرء أن يركّـز طاقته على البحث عن المتعة لنفسه، والسماح للآخرين بفعل الشيء نفسه - أو لا - وفاقاً لطريقتهم. من الواضح أنّ أرستيبوس القوريني كان حاضراً - شخص يعـيش في الوقـت الحـاضر - وتظهـر عقليـة اغتـنم اليـوم هـذه في التعـاليم القورينيـة - لكـن أرستيبوس الحفيد (أو ربّما آريتي) يقلل من البيان السابق، ويدرج الفكر للمستقبل. وعلى الرغم مـن أنـه لا ينبغـي لأحـد أن يحـرم نفسـه مـن الملـذّات الحاليـة، إلّا أنّ القورينيين يؤكّدون عـلى أنّ مـن الضروريّ معرفـة كيفيّـة التعـرّف عـلى التهديـدات المحتملة لأجل تجنّب المعاناة في المستقبل. مثال على ذلك هو الإفـراط في الشرب أو الطعام؛ قد يبدوان كلاهما لطيفين في الوقت الحالي، لكن العواقـب طويلـة المـدى لا تستحق الانغماس فيهما.

ثمّ تطوّرت هذه الفلسفة على أيدي عدد من الفلاسفة القورينيين، الذين جاؤوا بعد أرستيبوس الحفيد، ومن ملامح هذا التطور أنّهم عـدُّوا الصـداقة

وسيلة لتحقيق غاية - اللذّة التي يشعر بها المرء بصحبة شخص آخر - لكن أنقـريس كان يرى أنّ الصداقة يمكن أن تكون لذّة في حدّ ذاتها. فعندما نعتنـي بصـديق، فـإنَّ سعادتنا تعتمد على سعادة الصديق أساساً، ومـن خـلال العمـل بنكـران ذات لأجـل سعادتنا، نشعر باللذّة. وينطبق الشيء نفسه على التفاني لأجـل قضـية مـا، أو لأجـل بلدنا أو مجتمعنا، لأنّه إذا ما ازدهرت هذه الأخيرة بفضل جهودنا، فسنكون سعداء، ليس فقط لمصلحتنا، لكن أيضاً لصالح الآخرين.

لقد رفض ثيودوروس، الذي درس تحت إشراف أنقيريس، كلّ ما سـبق، وقـال إنّ الصداقة كانت مضيعة للوقت لأنّ مثـل هـذه العلاقـات تجعـل اللـذّة تعتمـد عـلى الآخـرين. بالنسـبة إلى ثيـودوروس، يبحـث النـاس عـن أصـدقاء ببسـاطة لتلبيـة احتياجاتهم الخاصّـة، لكـن إذا كـان المـرء يعـيش عـلى نحـو صـحيح، وفاقـاً لمبادئـه الخاصّة، فلن يكون لديه مثل هـذه الاحتياجـات، ويكـون مكتفيـاً ذاتيـاً. كـما رفـض الادّعاء القوريني الذي بموجبه تعدّ اللذة الجسـديّة أعـلى مـن النشـاطات الفكريـة، وشدّد على قيمة التعليم بوصفه لذّة. وقد اشـتهر ثيـودوروس بخسـارته المناقشـات العامّة أمام الفيلسوفة الساخرة هيبارخيـا المارونيـة (نحـو 350 -280 قبـل المـيلاد)، زوجـة إقـراطس مـن طيبـة (نحـو 360 -280 قبـل المـيلاد). كـما أشـار إلى ذلـك ديوجينيس اللائرتي. ففي وقتـه، تعـرَّض لانتقـادات شـديدة بحسـبانه ملحـداً، لكـنّ معتقداته ربّما كانـت أقـرب إلى اللاأدريّـة عنـد بروتـاغوراس، الـذي لم ينكـر وجـود الآلهة، لكنّه قال إنّه «غير قادر على معرفة ما إذا كانـت موجـودة أم غـير موجـودة، وهو شكلها، لأنّ العوامل التي تمنع المعرفة كثيرة». وإذا ما أشرنا إلى رأي ثيـودوروس في العلاقات والإخلاص، فمن المرجّح أنه كان يرفض الدين كمصدر للذّة.

ووفاقاً لشيشرون، كانت حجج هيجسياس مقنعة جداً إلى درجة أنّ بطليموس الثاني فيلادلفي (حكم 285 - 246 قبل الميلاد) منعه من إلقاء المحاضرات في مكتبة الإسكندرية - أو في أيّ مكان آخر:

ومع ذلك، لم ينتحر هيجيساس **Hegesias**، ولم ينتحر أتباعه الذين، وفاقاً لما ذكره اللائرتي، كانوا معروفين باسم هيجيسياسيين، وكانوا يعلمون: إنّ الحكيم لا يفكّر في اقتناء الخيرات بقدر ما يفكّر في الحفاظ على نفسه من الشرور، ويقترحون في النهاية أيضاً تجنّب الألم والحزن، الأمر الذي يتطلّب أن يكون المرء غير مبالٍ بالأشياء التي تنتج الشهوانيّة.

لذلك، استبدل هجسياس الهدف القوريني للسعي وراء اللذّة بتجنّب الألم، وبما أنّ الحياة، حسب قوله، هي الألم، فإنّ الانتحار كان الخيار الصحيح الوحيد.

أخيراً، يمكن لنا القول: إنّ أتباع هؤلاء الفلاسفة الثلاثة، الذين كانوا يُسمّون جميعاً بأسمائهم، طوّروا من معتقداتهم، في حين كانوا يعارضون تعاليم أبيقور التي كانت تكتسب رسوخاً. وكان أبيقور يؤكّد، مثله مثل أرسطو (384 - 322 قبل الميلاد)، أنّ الهدف من الحياة هو السعادة (الازدهار الإنسانيّ والرفاهية- أن تنعم بروح طيبة)، التي كان من المفترض أن نعيشها في حالة من الهدوء وغياب القلق (**ataraxie**)، فضلاً عن عدم وجود الألم (**aponie**). وكان يعتقد أنّ هذه الحالة تتحقق من خلال الاستمتاع بالملذات البسيطة، وإحاطة الذات بالأصدقاء، والانخراط في عمل مجزي.

تجدر الملاحظة: لقد أورد الكاتب مصادره بعد الفصل الأول، وقد نقلنا هذه المصادر إلى نهاية الكتاب، كي لا تربك القارئ، فضلاً عن أنّ هذه المصادر

مذكورة بالخط المائل تحت كلّ اقتباس اقتبسه الكاتب، أمّا أسماء العلم فقد اعتمدنا نطقها باليونانيّة، لذا اقتضى التنبيه.

كامل عويد العامري

الثامن من آب 2023م

من دون اللذَّة لا معنى للحياة.

الكفاح في سبيل اللذَّة هو الكفاح في سبيل الحياة.

نيتشه: إنسان مفرط في إنسانيته. ص *104*

الفصل الأول

اِكتشافُ اللذَّة

الفلسفة الأطلنطسيَّة

بعد خمسة وعشرين قرناً من الاختفاء الجسدي لأرستيبوس القوريني، ظلت البيليوغرافيا الفرنسية صامتة على نحو غير طبيعيّ عن هذا الشكل الأساسيّ من الفلسفة القديمة. لا شيء يذكر عن هذه الشخصية أو عن عقيدته، ولا شيء عن أتباعه أو المدارس التي تشير إليه. عندما يظهر اسمه، فإنه يستخدم كأنموذج للمتعة السهلة، وبقليل من البذاءة، والابتذال على نحو غامض، إنّه يبدو نوعاً من الأشخاص الغلاظ، إلى درجة أنَّ هذه النزوة أو تلك من الرقص المتنكر في زيّ امرأة يفوح منها العطر - من شأنها أن تمنع من حسبانه فيلسوفاً جديراً بهذا الاسم. ليس في وسع المتنكّر بزيّ امرأة وهو يتمايل في سحابة من الروائح أن يحتلَّ مكانة بارزة في مجمع المفكّرين الذين تعتمدهم الجامعة أو المؤسّسات التي تقلّدها...

كان لدى الفلاسفة ما قبل السقراطيّة، ولفترة طويلة، دوكسوغرافيا [وجهات نظر الفلاسفة والعلماء السابقين] (ڤويلكان، 1964). السفسطائيّون أيضاً (دومون، 1964)، وكذلك المشكّكون (دومون، 1966)، والأبيقوريّون (برون، 1971) والرواقيّون (برون، 1977)، والكلبيّون أو أصحاب الفلسفة التشاؤمية أيضاً، الذين تناولهم مؤخّراً ليونس باكيه**Léonce Paquet** في عام 1975. يمكن للمرء أن يبحث عبثاً عن تيّار من الفكر القديم لا يزال منسياً... ومع ذلك، كان القورينيون نشطين بين القرنين الخامس والثالث قبل الميلاد، وأنتجوا شخصيات من أمثال - أنيقريس، هيجيسياس، تيودوروس، وأنتيباتروس... وتيّارات من الفكر، كان لها تأثيرها في الأفراد لما تتّسم به من

طابع تشاؤميّ بقدر تأثيرها في مذهب المتعة القورينيّ: يحتفظ ديون المتحوّل، وبيون بوريستينيس، وأبيقور وأسرته بعلاقات وثيقة معهم. على الرغم من حيوية هذه الحساسية، لا يوجد شيء في المجال الببليوغرافي لإثبات ذلك.

من الواضح أنّ قلّة المطبوعات التي تجمع المقتطفات والشهادات تسهم في تكثيف الصمت والجهل، ثمّ نسيان القارة المغمورة. ويؤدي الغياب في المكتبات العامة إلى عدم وجود أي مكان آخر حيث يجب إجراء أعمال التنقيب: الجامعات والمدارس ومراكز البحث والأماكن الأخرى المصرّح لها بممارسة علماء الآثار في هذه المدن المشعة والمختفية. لا توجد حلقات درس أو ندوات أو أطروحات أو كتب أو دراسات معتبرة. ظروف البقاء مفقودة، فكيف يمكن للحياة أن تجد طريقها؟

يتفق التقليد الأكاديميّ السائد مع رأي هيجل الذي اختزل، بالنسبة إليه، أرستيبوس والقورينيين، تماماً مثل الديوجينيسيين [نسبة إلى ديوجينيس الكلبيّ] والشكوكيين، إلى فنّانين مثيرين للشفقة، وإلى مهرّجين في علاقتهم المبهمة بالأماكن الفلسفيّة الشائعة في ذلك الوقت، وإلى ممثلين صامتين لا أهميّة لهم عُرفوا بالتخلّي عن التورية والتلاعب بالألفاظ، وباستفزاز البرجوازيّة في ذلك الوقت بالإيماءات أو حالات النزق أو القوالب المسرحيّة غريبة الأطوار. ربّما كانوا ودودين، وهم يبتسمون، إلى حدّ ما، لكن كفلاسفة بالتأكيد لا... فهل تعلّموا غير المفاهيم الضبابية والخطب المزعجة؟ وهل بنوا، واهتدوا، ودعوا إلى تغيير الحياة اليوميّة بمساعدة حيوات أنموذجيّة ومبهجة؟ وهل تحوّلوا باللجوء إلى اللهو، وإلى الدعابة والسخرية؟ وماذا بعد...

بالتأكيد، لن نجد في السديم القورينيّ عقيدة متماسكة مبنية بطريقة حصن منيع، لذلك من العبث البحث عن مفاهيم لافتة للنظر، مطلية بالذهب

الخالص، مثيرة للإعجاب أو مثيرة للخوف، وعن رهانات ذات عمق واضح، سوف نبحث من دون جدوى عن تطورات مستعصية ومرهقة، وغير قابلة للهضم، وعن خطاب خادع ومراوغ، ومنطق عرض مدرسيّ وقوطيّ، ولن نكشف عن شخصيّة مفاهيمية قادرة على ضمان الطابع المعاصر. تلك هي خيبة الأمل لدى أنصار التقليد والانتماء النقابيّ...

وعلى نقيض طريقة التفكير القديمة هذه، يجسّد أرستيبوس القوريني تقليداً فلسفياً آخر يمكن وضعه في منظور استخدامات وعادات العصر الهلنستي: إنّه يشهد على طريقة وجود وفعل وتفكير قادرة على تقديم أنموذج، يدلّ ولا يهتمّ بالبرهان، يجسّد ويضيف إليه في التجسّد، لأنه لا يكترث للابتعاد عن الواقع الحيّ، وأن يمارس تجريد الجوهر، ليمنح نفسه جواً مهماً لمعالجة الكلمات أو بهلوانيّة الفعل، يتحرّك، يأتي ويذهب، يتكلّم، يتساءل، يختار الساحة العامّة، والهواء الطلق. يفتح الفلسفة على العالم الخارجيّ، ولا يحتفظ بها للاختصاصيين والأطباء والعلماء الآخرين في مكاتبهم، إنّه يلتمس بائع الخضراوات والإسكافيّ والمحظية والبحّار، والأمير أيضاً، ويسخر من محادثة تدور بين الفلاسفة. يمنعه الكثير من الغطرسة وما هو غير مناسب لأوانه من المشاركة في مجمع الآلهة الذي فيه يسترخي أفلاطون وأرسطو...

تحطيم الأيقونة الغادرة

عندما لا يعانون من النسيان الخالص والبسيط، يتعين على الفلاسفة القورينيين مواجهة وابل مزدوج من العوائق: إمَّا اضمحلال نوعيّ وإمّا تشوّه مقيّد. من ناحية، نجد الأعداء الأيديولوجيين، أولئك الذين تنحصر اهتماماتهم بتقديم فكرة كاريكاتوريّة خياليّة، وتالياً يسهل انتقادهم: أرستيبوس حبيس الحكاية المأخوذة حرفياً في ظاهرها: أكول، شره، متملّق، مخنّث، صفيق، منتفع،

جشع، فظّ، فاسق. وفي الجانب الآخر، أي جانب المتعاطفين المحتملين، يشعر المرء بالرضا عن الإبلاغ عن التقاليد المتداولة، ويستلب الموسوعات والقواميس والأعمال التوعويّة التي تختزل فكر أرستيبوس إلى عدد قليل من السمات التي أوجزت بسرعة: أياً كان المدافع عن اللذّة، ومهما كانت الكلفة، من أبسطها إلى أكثرها تفصيلاً، ومن دون أيّ تسلسل هرميّ، ومن دون تفكير. بالتأكيد، نحن ندرك أنّ في هذه الدعابة المحبّبة القدرة على إضفاء جوّ بسيط على الأكواخ الفلسفيّة، لكن دعونا لا نبحث أكثر عن آثار مجموعة جادّة...

في كلتا الحالين، تصبح الحكاية الغاية في حدّ ذاتها، فهي لا تستخدم لنقل محتوى، ولا لنقل فكرة، وهي لا تعمل على توليف وبلورة فكرة لكنها مكتفية في حدّ ذاتها. ومن هنا، جاء انتصار الفيلسوف الذي تفوح منه رائحة العطر، والذي كان يرتدي زيّ امرأة، الطفيليّ لدى ديونيسيوس الأول حاكم سَرَقُوسَة [أو سيراقوسة أو سيراكوز]، الذي كان يتقاضى أجراً مقابل معرفته - وهو ما يعادل الكاريكاتيري ديوجينيس الكلبيّ الفَيلسوف اليونانِيّ، وأحد مؤسّسي المدرسة الكلبيّة الأوائل، الذي تحوّل إلى برميله وعصاه وحقيبته وفانوسه ودجاجته منتوفة الريش، ورسوله الشهير إلى الإسكندر. دعونا نتمسّك بطرافة الموقف، ونهمل المهمة الساخرة: هذه هي الطريقة التي نخلق بها أيقونة خالية من القوة الأيديولوجيّة، وقد تخلّت عنها الطاقة النقدية، وعافتها المقدرة الفلسفيّة.

بعد أن تحوَّلا إلى شخصيات هزلية، لم يعد الكلبيّ والقورينيّ يمثّلان أيّ أهمية، ولم يعودا خطرين، ولا يمثلان خطورة... ففي حياته دفع أبيقور ثمناً للذَّة - الصيغة الزاهدة - لتجنّب الاضطرار إلى مواجهة مذهبه وجهاً لوجه، ولأجل رفض المواجهة وفتح النقاش، كان أعداؤه يشوّهونه، وهو، الزاهد الموهوب للغاية في كلّ حالات الزهد، كأنّه يتقيّأ شرهاً في كلّ وجبة لأجل أن

يجد طريقه بسرعة إلى الطاولة التي كان يقيمها بطريقة باذخة، كأنّه وضع في حسبانه تعدّد النساء الشهوانيات بعد أن حوّل حديقته إلى بيت دعارة ضخم، وكشخصية شائنة بلا إيمان أو قانون، تمارس الدعارة لأخيه، وكسارق لمذاهب الآخرين - بما في ذلك مذهب أرستيبوس عن اللذّة - وكمتملّق لرجال أقوياء، وغير ذلك من الخبث... كأنّه يقول: لتشويه سمعة العقيدة، ابدأ بالافتراء على الإنسان، فسيكون هناك دائماً شيء متبقٍّ منه...

لذلك، فإنَّ العقوبة نفسها بالنسبة إلى أرستيبوس اختُزلت إلى حالة خنزير، ومبذّر عنيف وجشع باحث عن المتعة، على غرار الحيوانات المفرطة من الناحية الرمزيّة - الأغنام والخنازير والكلاب في أغلب الأحيان - وإلى أحد رجالات البلاط، الذي لا يتورَّع عن فعل أيّ دناءة في قصر طاغية، وإلى ممثل هستيريّ بلا ثبات. وماذا عن الأفكار؟ لا توجد أفكار لدى أرستيبوس... وماذا عن المذهب؟ لا تفكير لدى هذا الكوميديّ... وماذا عن الاعتبارات الأخلاقية أو المعنوية أو النظرية؟ لا تأمّلات في الخير والشرّ، ولا فضائل، ولا مقترحات عن الحقيقة أو المعرفة لدى هذا المهرّج المطلي بالمساحيق، الذي تفوح منه رائحة العطر...

إنّنا نخاطر بالنوع نفسه من الملتقيات الضائعة ونحن نقرأ المتعاطفين الافتراضيين. وأحد الأمثلة على ذلك هو، فريدريش ألبرت لانج [وهو صحافي واقتصادي وفيلسوف وأستاذ جامعيّ، وعالم اجتماع، ومؤرّخ ألماني.م]، الذي أحببت كتابه (تاريخ المادّيّة) لأنه يقوم برحلة فلسفية من خلال شخصيات عادة ما يُضحّى بهم، من أمثال: أنصار الذرّة، الأدبيريون، الكلبيون اليونانيون، والفلاسفة البادوانيون [نسبة إلى مدينة بادوفا الإيطالية]، والمتحرّرون من القرن العظيم، والحسيون الإنجليز، والماديون في عصر التنوير، وعلماء الفسيولوجيا الملحدون الآخرون، من دون أن ننسى القورينيين. لكن

الغريب أنّ أرستيبوس (نحـو 435 - نحـو 350 قبـل المـيلاد)، يظهـر كفيلسـوف مـن القرن السادس قبل الميلاد (!) - ومن الواضح أنَّ صورته تترك الكثير ممَّا هو مرغـوب فيه...

ابن تاجر ثريّ من قورينة - ما من نبذة تشهد بهـذا المعنـى - نشـأ وسـط أفكـار الـترف والعظمـة - وفاقـاً لأيّ نـصّ؟ - تميّـز بجمالـه وسـحر أخلاقـه. - بمقـتضى أيّ شهادات؟ - استمالت محادثاته الروحيـة كـلّ القلـوب - مـن كتـب بهـذا المعنـى؟ - موهوب مع ميل طبيعيّ إلى الأبّهة والمتعة - من يقول ذلك؟ - كـان أرسـتيبوس قـد استجاب لأدنى نزوات ديونيسيوس عندما كان في سيراكيوز... إنّني أتخيّل لانج لطيفـاً تجاه موضوعه، وليس مرتابـاً تمامـاً مـن الكراهيـة، سـواء بالنسـبة إلى الشخصـيّة أو الأفكار. لكن، يجب على المـرء أن يكـون عـلى اسـتعداد فـرديّ لرسـم الصـورة التـي تتوافق مع الفكرة التي يمتلكها عن فيلسوف مذهب اللـذة ليحـافظ عـلى واقعـه في مثل هذا الاحترام المتدني.

لأنّ أيقونة الإنسان الشره ليست أكثر إثارة للاهتمام من أيقونـة مُـدَّعِي الْجَـمَال، كما أنَّ أيقونة الشخصيّة الفظّة ليست أكثر من صورة الرجـل ذي الأخـلاق الرفيعـة، فالخنزير ليس أفضـل مـن السـاحر، ولا ذو الثيـاب المعطّـرة أفضـل مـن ذي الطبـع الباحث عن الملذات. يمكن أن تنبّه، على وجه الدقة، الكراهية لا الانبهار، المحابـاة لا الاستياء، ولا سيَّما أنَّ هؤلاء المثقفين والأيديولوجيين يسـتغنون مسـبقاً عـن الانتقـال إلى الـنصّ الوحيـد الموثـوق: أيـن، وفي أيّ نبـذة يمكـن لأرسـتيبوس أن يشـبه حيوانـاً متوحشاً، وهو الذي يؤكّد عـلى ضرورة الاعتـدال في الشـهوانية، ووجـوب القيـاس في الملذّات؟ في ضوء أيّ شهادة يمكننا تحويلـه إلى فاسـق وفاسـد وشره، عنـدما يظهـره النصّ يحتفل بالزهد، والسيطرة على الـنفس، والاسـتقلال، والهيمنـة الدائمـة للـذات على الذات؟

بلورة القمع

إنَّ نسيان وفقدان الثقة، وهستيرية أرستيبوس والقورينيين تكشـف عـن أعـراض القمع في تاريخ الفلسفة الغربيّة. مـن قمـع وعصـابية. في هـذه الحالـة، فـإنّ رفـض الجسد، الذي يُفهم دائماً بأنّه عدوّ الروح، يعوق متعـة الاتحـاد المحتمـل مـع المبـدأ السماوي، سواء كان ذلك في شكل فكرة، أم في صيغة الرجل الصالح، أم في صيغة إله الموحّدين. لقد أنتج الجسد المكبوت حضارتنا في شكل عصاب متسـامح تاريخيـاً، أي أنَّ كراهية الجسد الأفلاطونيّة، والعبادة التـي يؤدّيهـا المسـيحيون إلى حـافز المـوت، والاستخفاف الشامل بالدنيا، ثمّ اللعن الذي أطلق على الرغبات البشريـة، كـلّ ذلـك أدّى إلى تحوّل قسـطنطين، وإلى تحـوّل الإمبراطوريّـة بأكملهـا إلى مبـاهج المسـيحيّة، وهذا كافٍ لإبقاء مذهب المتعة تحت السياط. تلك هي عدالة المنتصرين...

لذلك، إنَّ الاحتجاج على أيّ فكرة من شأنه أن يمنح الجسد واللـذة والرغبـة والتجسّد والإحساس والواقع، رسائل النبـل الحقيقيّـة: يكفـي، لأجـل أن نفعـل ذلك، أن نبـدأ بإنكـار أيّ فلسـفة تخـصّ مـذهب اللـذة مـن إمكـان أن تكـون فلسـفة. لقـد قضي الأمـر. كانـت المسـيحية، وعلـم اللاهـوت بأكملـه- حسـناً! إهانات ترتليان [أو ترتليانوس (نحو 160 إلى 220 م، مؤلّف أمـازيغيّ مسـيحيّ مبكر بونيقي، وأول من كتب كتابات مسيحية باللغـة اللاتينيـة. كـان مهـماً في الدفاع عن المسيحية ومعاداة الهرطقات. وقد أطلق على ترتليان «أب المسيحية اللاتينية»، و«مؤسّس اللاهوت الغربي» م] ولاكتانتيوس [اسمه الكامل لوسيوس كايسيليوس فيرميانوس لاكتانتيوس وهو مؤرّخ وكاتب رومانيّ من القـرن الرابـع المـيلاديّ، أصـبح فـيما بعـد مستشـاراً للإمبراطـور قسـطنطين العظـيم، ولـد في سنة 250 في شـمالي أفريقيـا لأسرة مسـيحيّة أمازيغيّـة الأصـل،] وغريغوريـوس

النزينزي [ومعروف أيضاً باسم غريغوريـوس اللاهـوتي أو غريغوريـوس نازيـانزوس، مـن مواليـد القـرن الرابـع المـيلاديّ، وكـان رئـيس أسـاقفة القسـطنطينيّة. ويُعـدُّ غريغوريوس أكثر اللاهوتيين براعةً إلى حدٍّ بعيد في أسلوبه البلاغيّ في العصر الآبـائي. م] وأوغسطين وآباء الكنيسة في الضـدّ مـن أرسـتيبوس والقـورينيين! - ثـمّ الفلاسـفة المثاليون والروحانيون والمثنويون الذين كانوا ينفخون البوق ويعزفون لحن الافـتراء. إنّ سمعة أرستيبوس السيّئة ورفاقه، وردّة الفعـل البافلوفيّـة التـي تـربط، مـن دون تردّد للحظة، اسم المفكّر القوريني بالمتعة الفجّة، كـلّ هـذا يغنـي عـن الحاجـة إلى الذهاب إلى أبعد من ذلك. لمن ستأتي بالفكرة المنافية للعقل المتمثلـة في التـدقيق في النصّ، ومراجعة الشذرات، ليرى أنّ ما يقال يتوافق مع الواقع، وأنّ الشهرة لا تخفـي أيَّ شيء آخر؟ لمن؟

دائماً ما تختزل السـمعة في المجمـل بسـوء الفهـم المـتراكم حـول اسـم أو أثـر أو مفهوم أو عمل. من مساكين وغير متعلّمين، مضلَّلين ومغرورين، ومتعجرفين وكسالى، ومدجَّنين بغريزة القطيع، يستنسخون بتنافس الأماكن الشائعة التي نُطق بهـا حـول أرستيبوس ومدرسته، من دون اللجوء إلى النصوص، بـالطبع. ولسـبب وجيـه... عـلى نحو من التشتّت، والتشظّي، والاقتطاع، ومظهر تنقيب ممتلئ بالصـعاب والغايـات، وتناثر الشهادات في سماء مفتوحـة، واسـتحالة وجـود نظريـة دوكسـوغرافية [فعـل تدوين الآراء التي يؤيدها آخرون أو أكبر عدد. م] متزامنة في اللغـة الفرنسـية، كلّهـا عوامل أسهمت في إقصاء الفلاسفة القورينيين.

فضـلاً عـن ذلـك، إنّ الطبيعـة المكبوتـة للحضـارة تنسـجم مـع طبيعـة القـارئ المكبوتة، المشبعة والملفقة والمتشرّبة بهـذه الأيديولوجيّـة، التـي تـتصرّف في معظـم العقول من خلال نزعة خبيثة ودائمة: فعلى عكس مـا تـوحي بـه نظـرة خاطفـة إلى عصرنا، فإنّ الزهدية المثالية هـي المنـتصرة، ولـيس فقـط في الشـكل المـرئي لإماتـة -

ممارسة الزهد بروح الكفارة - الأيديولوجية العلمانية في مغطس المياه المقدّسة الكبير، المتاح منذ قسطنطين. لكن أيضاً في الأماكن العامَّة المستخلصة من مجموعة من المعتقدات والأفكار غير الموضوعيّة في الوقت الحالي، الطريقة التي تدعو إلى عودة منطق عقاب الجسد تحت فيض من الأكاذيب التي تخدع أكبر عدد ممكن...

أيّ فرد يقرأ فيلسوفاً يسأله ويتحدّاه في التعبير عن تطلّعاته وملذاته وطريقته في قيادة وجوده من هذا المنظور، وأيّ شخص يقترب من تأمّلاته حول الجسد، وملذاته، والعناية بالذات، واستخدام الملذات، للتعبير عنها حسب مصطلحات فوكو الأخيرة، وأيّ شخص يعود إلى استخدام وقته، ومكان الراحة في حياته، وإلى المكانة التي يمنحها للممتلكات، وما يمتلكه، والثروات، وأيّ قارئ يقترب من فقرة تدعوه إلى التفكير في عمله وأسرته ووطنه - كلّ هذه الذوات المعنيّة ينبغي إفشالها وتخطئتها، وإبدالها، والعمل عليها، لقراءة شرح حول عقيدة اللذّة التي تثير وتشجّع التجسيد، وتحيل كلّ واحد منّا إلى ما هو أكثر حميمية في حياتنا. من هنا، يأتي الخوف والأسى والقلق، بل رفض سماع الكلام الوجوديّ: يتصرَّف أرستيبوس بضمير سقراطيّ سيّئ، مثل شيطان وثنيّ يجبرك على وضع نفسك على المحك، ليشرك وجوده إلى جانب حكمة المتعة. ومن يستطيع؟ ومن هو المستعدّ؟

لقد قمعتها الحضارة، وعلى نحو مضاعف - الحضارة التي تراها بنظرة قاتمة، وقمعتها كيانات قلقة في وجود مثل هذا الاستجواب الجذريّ- فرقدت الفلسفة القورينية في قاع أطلانطس الذي يصعب استكشافه. إنّ الدوكسوغرافيّ [وجهات نظر الفلاسفة والعلماء السابقين. م] يتعامل في المقام الأول مع الأفكار الأقلّ خطورة، أو الأقلّ حسماً وراديكاليّة وتخريبية. ليس من

المستغرب إذاً أن نرى ميتافيزيقيا ما قبل سقراط تفتح الأقفال البيبليوغرافية وتغلقها اللامبالاة الساخرة - قبل أن نعدَّ أرستيبوس الشهوانيّ عضواً شرعيّاً في صفوف الفلاسفة اليونانيين الذين يستحقّون هذا الاسم...

لأجل مثلَّث تخريبيّ

يتزامن حظ سقراط مع سوء حظه: هذا الحظ عنوانه اسم أفلاطون، عملة ذات وجهين، وجه استثنائيّ وعكسه مأساويّ. يمكن تلخيص المشهور في بضع كلمات: يدين سلينوس بسمعته العالمية إلى الحوارات الأفلاطونية والدور الذي لعبه فيها، والجزء المؤلم أيضاً: هو أنّ سقراط استمرّ، وإلى الأبد، تحت الشخصية الوحيدة التي صوّرها أفلاطون. لا يستطيع زينوفون [مؤلف مسرحيّ كوميديّ يعدّ من روّاد المسرح الساخر في اليونان القديمة، م] فعل أيّ شيء حيال ذلك، فما جرى تأكيده على مدى خمسة وعشرين قرناً حول صاحب السخرية البارع يستند، على نحو حصريّ تقريباً، إلى ما رواه أفلاطون عنه.

بالتأكيد، إنّه يؤكّد على خلاصه، لكن بأيّ ثمن! ولمّا كان عالقاً بين الأفكار النقية والفضاء الواضح، وملتصقاً بظهره إلى الحائط ليشهد باستمرار مشهد الأشياء في حدّ ذاته، المتجمد والثابت عند وفاته بالذات من خلال ريبورتاج محفور في الرخام الأفلاطونيّ، عاش سقراط على سمعة - هي سمعة ممثل مشارك في الكفاح لأجل الفلسفة المثاليّة والمثنويّة.

ينبع حظّ أرستيبوس القوريني، وحظّه السيّئ أيضاً، من منطق مماثل: لا حامل البخور، ولا نحات تماثيل نصفية إلى الأبد، ولا مخرج مسرحيّ، ولا تأمين على مدى آلاف السنين، ولا حوارات يلعب فيها دوراً أساسياً في الحفاظ على فكره، مهما كان ملتوياً بعض الشيء، ومعيباً، فليس هناك من المحاورين الذين يتقدمون إليه على طبق للسماح له بالمساهمة البسيطة، أو السخرية المؤكّدة،

أو العودة الفكرية المحطمة أو التألق المتوقّع. يتقدّم أرستيبوس وحده بالطبع، لكن من دون قناع. يبدو أصغر بالطبع، لكنّ حجمه هو حجمه، وليس ظلّ شخص آخر. إنّه يترك أثراً أقلّ في أثناء تحرّكه، بالتأكيد، لكن هذا الأثر يتوافق مع حركته الخاصّة، وليس مع حركة فارس من سلاح الفرسان الخفيف.

إنَّ كون حفنة من الشذرات القورينية لا تتطابق مع أعمال أفلاطون الكاملة - أكثر من ألفي صفحة متماسكة من ورق الكتاب المقدّس - هو أمر يمكننا جميعاً الاتفاق عليه. من جانب، لا يزال البارثينون [المعبد الإغريقي في مدينة أثينا] قائماً، ومن الجانب الآخر، هناك معبد له المكانة نفسها، لكنَّه سقط على الأرض وتهدَّم، ولم يتبقَّ منه سوى أعمدة محطمة، وأخرى مفكّكة، ومدرّجات مقلوبة، وأشكال ثلاثية، ومسطّحات وأفاريز مكسورة. هنا وهناك، زخرفة على الواجهة، وجزء من تاج عمود، وأخدود شبه ممحوّ على حجر نصف مدفون. نفترض جلالة الصرح، ونحصي عظمة المبنى، لكنَّ الربّ من الصعب تخيّله، ثمّ نعيد تجميع القطع...

لذلك، لم يتصدَّ أرستيبوس لسقراط على قدم المساواة. فضلاً عن أنَّ أنتيسِتنيس لم يفعل بهذا الشأن. [أنتيسِتنيس فيلسوف إغريقيّ وتلميذ سقراط. ولد تقريباً في 445 ق.م، ومات 365 ق.م، تعلّم الخطابة على يد غورغياس قبل أن يصبح تلميذاً لسقراط. اعتنق وطوّر الجانب الأخلاقيّ من تعاليم سقراط. تبنّى فكرة وجوب أن تحكم الفضيلة حياة الإنسان. وفيما بعد عدّه الكتّاب مؤسّساً للفلسفة الكلبيَّة. م]. ومع ذلك، ولأسباب مماثلة، فإنّني أعتقد أنّ هؤلاء الثلاثة؛ سقراط من دون الظلّ الذي ألقاه أفلاطون، ثمّ أنتيستينيس وأرستيبوس، وكلاهما متاح من خلال حفنة من الشهادات والكلمات والسمات والإيماءات، يشكّلون مثلثاً هدّاماً هائلاً يستحقّ البحث، وكما هو كشخصية

فريدة، فإنّ سقراط في نهاية المطاف منفصل عن خادمه المرهق. ثمّ نواجه ثلاثة أمزجة، وثلاثة أنماط، وثلاث شخصيات، مرتّبة على نحو متشابه لبناء وجودها كأثر فنيّ. كان كلّ واحد منهم يسعى إلى السلام مع نفسه، ومن المحتمل أن يكون أنموذجاً لعقيدة ما، بالتأكيد، لكن أولاً، وقبل كلّ شيء خلق ذاتية مواتية لأنفسهم. أراد الثلاثة أقلَّ من مدرسة، تلاميذ، حاشية، مدافعين، وأتباعاً، ممَّا أرادوا نجاح مشروع كبير: امتياز رحلتهم في الحياة.

إنَّ التهكّم والمنهج السقراطيّ في الجدل والزهد والاستقلالية والذاتية وبناء الفردانيَّة، بعيداً عن الضرورات الاجتماعيّة في ذلك العصر، كانا محور اهتمام هذه الشخصيات الراديكالية الثلاث. كان مذهب المتعة بالنسبة إلى أرستيبوس وحده، أكثر توظيفاً في السعي إلى تحقيق الرضا والبهجة واللذّة ممّا لدى سقراط وأنتيستينيس، وأقلّ تأثراً بسلوكات اللهو. لكن هذه المسارات الثلاثة تؤدّي إلى الوضوح نفسه، وإلى دائرة الضوء نفسها، والحقيقة نفسها: اكتفاء الذات بالذات، وبالعالم وبالآخرين. ينحت الثلاثة المادة الخام للحياة الموهوبة قبل الحصول على الوجود المتخيّل أو الذي يمكن تكهنه فكرياً.

لذلك، دعونا نتخلّص من عبارة «السقراطيين الصغار»، أو حتّى «السقراطيين الهامشيين»، لوصف أرستيبوس، بوصفه من بين المتابعين الغامضين للأعمال الأفلاطونية: إيسخينيس، إقليدس، فيدون، كريتو، غلوكون، سيمياس، سبياس وآخرون. فمن دون التحريف الأفلاطوني الذي يحوله إلى شخصية مفاهيمية خالية من الجوهر وممتلئة بإرادة طرف ثالث، يظلّ لسقراط العديد من مناطق الظلّ والغموض، كما هي الحال مع أنتيسِتنيس مؤسّس المدرسة الكلبيّة أو إريستبوس القوريني. إنّ الإطاحة بالأفلاطونية تعني أيضاً استعادة سقراط، حتّى لو فضّلنا رؤيته كشخصيّة مجزّأة ممتلئة

بالعيوب، يُعاد تأهيلها في النهاية لذاته. ويمكـن أن يعمـل أنتيسِـتنيس وإريسـتبوس كقطبَي جذب لإعادة تشكيل المثلث الضروريّ لقلب ترتيـب الأسـبقية الهلنسـتية في الساحة الفلسفيّة.

صورة الفيلسوف فـي الرداء الأبيض

ومع ذلك، فإنّ استعادة أرستيبوس في مظهر من مظاهر الحقيقة يرتقي إلى نـوع من التحدّي. في الواقع، إنّ جميع المعلومات عنه تقريباً مفتوحة للتساؤل. دعونـا لا نذهب بعيداً - كما يفعل البعض - في إنكار وجـوده الفلسـفيّ المسـتقلّ مـن خـلال التظاهر بالخلط بينـه وبـين حفيـده، أرسـتيبوس الأصـغر، لكـن دعونـا نحـاول فـكّ التشابك، لأنّ هناك المزيد من الظلال والمقاربات حول هذه الشخصية أكثر مـمّا هـو يقين مثير للإعجاب... إنّ الفكر القوريني يقدّم نفسه في شذرات مشـوّهة، كـما هـي الحال في سيرته الذاتية.

تواريخ الميلاد والوفاة غير مؤكّدة - 435 - 356 قبل الميلاد. -، مكـان الـدفن غـير معروف - أثينـا أم قورينـة؟ -، حفنـة مـن الـرحلات المؤكّـدة - كورينثـوس [المدينـة اليونانية] التي فيها مارس الجنس مع المحظيـة لايـس، وأثينـا وفيهـا التقـى سـقراط وجورجياس، والأناضول وفيهـا أودعـه المرزبـان السـجن، وأَجَـانِيطَس [جزيـرة قبالـة ساحل أتيكا في اليونان.] وفيها مكث في يوم الشوكران المشـؤوم، وصـقلية، سـيراكيوز في هذه الحالة، للانضمام إلى بلاط ديونيسيوس، ولا شيء غير ذلك. يكفي، مـع ذلـك، تجربة البحر المفتوح، والعواصف، حتّى حطام السـفن، مـا أتـاح لـه الفرصـة لتلقـي دروس فلسفيّة... وجه غير معروف أيضاً، لأنّ التماثيل الرخاميّة التـي تمثـل أشخاصـاً ملتحين، والتي يرتبط بها اسمه أحياناً يمكن أن تمثل بسهولة بـيرون أو كارنيـدس، أو ديوجينيس أو أبيقور...

كان والد أرستيبوس هو أريستاد ووالدته ميرا - أو سونيكا. أنجب ابنة، تدعى آريتي **Arétè** - «الفضيلة»! - ولها تدين خلافة المدرسة القورينية، وكذلك الابن - ميلانيبوس؟ - يبدو أنّه سيّئ بما فيه الكفاية وفاسد بما يكفي، حتّى إنّ والده، مثال الخلق، لم يتردّد في طرده... قيل إنّ فتاة أخرى، تدعى باسيلو، انتحرت بعد وفاة شقيقها حرقاً، ربّما الشخص الفاسد... ونحن لا نعرف شيئاً عن أصل كهذا يعبّر عن العلاقة مع الحيوان، لكن لدينا شذرات تُظهر أرستيبوس عنيفاً عنفاً نادراً، لا مثيل له في تاريخ الفلسفة، في الضدّ من الأساطير المألوفة التي نشكّ في أنّه لم يُضحّ بها مطلقاً...

إنَّ التطابق مع حفيده أرستيبوس الأصغر، يجعل أحياناً من الصعب إسناد وتصنيف ما ينتمي إلى هذا أو ذاك. لذلك، بناءً على الملاحظة التي مفادها أنَّ اسم أرستيبوس لم يظهر قطّ في محاورات أفلاطون- إلّا مرة واحدة في محاورة فيدو، للتعبير عن الأسى لغياب المفكّر إلى جوار سقراط في السجن - وأنّ أرسطو أيضاً يتخطّى وجوده بصمت في المقاطع المكرّسة للمتعة في الأخلاق النيقوماخية، يستنتج البعض أنّ أرستيبوس القوريني لم يكن لديه أيّ رصيد فلسفيّ يمكن أن يناقشه اثنان من الذين يتميّزون بثقلهم في زمنهم، والتعليق عليه وتحليله وانتقاده. في الواقع، لم تتشكّل مجموعة المدرسة إلّا مع حفيده، ابن آريتي، ابنة الجدّ.

لا يوجد ما يؤكّد أو يدحض هذه الفرضيّة. أحياناً يكون صمت أحد المؤلفين عن عمل آخر نتيجة لمخاوف نبيلة إلى حدّ ما، مثل إخفاء التأثيرات الواضحة، أو التزام الصمت بشأن عمل محرج بسبب الأهمية التي يلعبها في ذلك الوقت، أو الظلّ الذي يلقي على أسس فكرة أنَّ المرء يودّ أن يرتفع من الأرض بطريقة سحريّة. من المؤكّد أنّ حوار فيليبوس [أحد الحوارات

السقراطية الباقية، الذي كتبه أفلاطون في القرن الرابع قبل الميلاد، م]، وهو حوار مكرّس بالكامل لمسألة اللذّة، لا يذكر أبداً وجود الفيلسوف القوريني. لكن، ما معنى ذلك؟ أهي غيرة أفلاطون الذي نعرف أنّه لم يحبّه؟ أم الرغبة في عدم إعطاء أهمية لعمل لا يوافق عليه بإعطائه ضمان اقتباس أو ذكر أو حتّى نقد أو تحليل؟ أم رفض التفكير جذرياً في نقائص احتفائه بالمثل النسكيّة العليا؟ أم ازدراء طريقة في التفكير تفتقر في نظره إلى العمق والاتساق النظريّ؟ أم عدم القدرة على كبح بادرة كانت تؤخذ على محمل الجدّ؟ (بالنسبة إلى أفلاطون، فإنّ كامل أعماله صامتة فيما يخصّ أنتيسِتنيس أو ديوجينيس الكلبيّ، اللذين، مع ذلك، كانا موجودين أيضاً إبَّان حياته.) ليس في وسعنا أن نعرف... من الواضح أنَّه لا يسع المرء إلّا أن يلاحظ الغياب والتغييب والصمت الذي ينذر بمصير القورينيين في القرون القادمة...

إنّ فرضيّة مجموعة جرى تشكيلها لاحقاً لتسويغ صمت أفلاطون وأرسطو لها مزيَّة إعطاء تفسير يستبعد المشهد المحزن لآليات القوة والكوميديا الإنسانيّة، والغيرة وتصفية الحسابات التي يجب أن يتعامل معها الفلاسفة أيضاً! هذه القراءة الثانية حوّلت أرستيبوس الحفيد إلى مؤسّس العقيدة، وهي تجبرنا على حسبان صياغتها لاحقة لكتابة العمل الذي قصده أرسطو لابنه. هذا يعني انَّه بعد قرن من ذروة أرستيبوس الأكبر... أفضل أن أختار صمت أفلاطون غير المفهوم، أو حتّى ازدرائه لعمل غير تعليميّ وغنائيّ للغاية، وغير أبولوني تماماً، وديونيسي للغاية، وإن لم يكن لأسباب غير مواتية، إنسانية وبشرية...

لأجل ما تبقّى من يقين، كثيراً أو قليلاً، من منظور السيرة الذاتيّة، يمكننا القول إنّه ولد في منطقة شحات أو قورينة، لكنّ هذه المنطقة التي كانت آنذاك منطقة يونانيّة - وليبية الآن - تقدّم توضيحاً ممتازاً لهذه الفكرة القائلة بأنّ

الجيولوجيا تحثّ على جغرافيا تستدعي تاريخاً، في حدّ ذاتها. إنّ الهضبة التي تبلغ ذروتها قورينة تمسك الرياح القادمة من البحر الأبيض المتوسّط، والغيوم الكثيفة تندلق فوق المكان - كان هيرودوت يقول إنّه في هذا المكان كانت السماء مثقوبة... كلّما ازداد هطول الأمطار أكثر من أيّ مكان آخر، تتحول المنطقة إلى منطقة خصبة للغاية، ومن ثمّ تحصل وفرة في إنتاج الغلال الغذائيّة.

فضلاً عن ذلك، في قورينة، يحصدون السيلفيوم أيضاً، وهو نبتة بريّة منقرضة الآن، كانت تستخدم كتوابل ودواء شهير في جميع أنحاء اليونان. كانت تباع بسعر مرتفع، وتسهم في ثراء المنطقة، إلى درجة أنّ العملات المعدنيّة تحمل صورة لها منمنمة على وجهيها. المال، الثروة، التجارة، الرفاهية، والتداول بين الناس والأفكار: كان هذا هو الجوّ التاريخيّ والاقتصادي الذي ظهر فيه أرستيبوس. ومع ذلك، لا يوجد ما يشير إلى أنّه ولد في بيئة غنيّة، كما نقرأ في بعض الأحيان هنا وهناك...

آلة حرب ضدّ الأفلاطونيَّة

إذا أخذنا في الحسبان ما بقي مرئياً من جبل الجليد القوريني، يمكننا القول إنَّ العقيدة تشكّل آلة حرب حقيقية ضدّ الأفلاطونيّة. لقد عرف أريستبيوس سقراط، ثمّ السفسطائيين، وأخيراً أفلاطون، الذي أمضى معه وقتاً طويلاً في بلاط ديونيسيوس الأكبر السّرقوسيّ. تشهد بعض الكلمات المتبادلة المؤذية ذات الطابع العدوانيّ، والمرّة والخشنة، على التوتر بين الشخصيتين. كان أرستيبوس على دراية بتعاليم سقراط، ونظرية الأفكار، والشكّ واسع النطاق حول الجسد والمتعة. لكن لم يستطع المعاصرون والمتشائمون [الكلبيون] والقورينيون والأفلاطونيون شحذ أسلحتهم الفكرية والفلسفية ضدّ بعضهم بعضاً. ولنا أن نتخيَّل العكس؟

كما يوضّح فانوس ديوجينيس ودجاجته الخالية من الريش: بعيداً عن الحكاية التي يحصر الأعداء أنفسهم فيها، يدافع الفيلسوف الساخر عن موقف رمزيّ ضدّ الأفكار. إذا كنت تبحث عن رجل، عن فكرة الرجل وفاقاً لأفلاطون، فلن تجد شيئاً، حتّى لو أشعلت شمعة في وضح النهار. تماماً كما لا يمكننا تحديد هذه المقولة أو اختزالها في حفنة من الكلمات من النوع ثنائيّ القدمين بلا ريش. إنَّ الطائر بلا ريش الذي ألقاه ديوجينيس بين ساقيه سيجبر أفلاطون على أن يضيف: ذو قدمين بلا ريش، بالتأكيد، لكن أيضاً بأظافر مسطحة... لا شكّ في أنَّ أرستيبوس كان يفكّر أيضاً في الضدّ من أفلاطون، والعكس بالعكس: إذ إنَّ الدروس مدفوعة الأجر، والأساليب الساخرة، ومسرحة العقيدة، واستعادة الواقع المحسوس، بمنزلة حصن فعَّال ضدّ المفكّر المثاليّ.

في الواقع، تلقي عليه التقاليد اللوم بسبب امتيازاته الفخريّة، وتبادل المعرفة مقابل النقود ذات الوزن المناسب. ونضيف أنّ سقراط لم يكن يفعل ذلك لإدانة الجشع القوريني... وهناك حجّة أخرى، لتجنّب تحويل أرستيبوس إلى سقراطيّ، حتّى سقراطيّ ثانويّ! من ناحية أخرى، تصرّف السفسطائيون بهذه الطريقة، كما نعلم، لأنّهم أثاروا غضب سقراط الأفلاطونيّ، الذي يفترض، بالنسبة إليه، أنَّ البحث عن المعنى مجّاني، أو في الأقلّ الجهد الفكريّ الوحيد وليس المالي. ومن هنا جاء، وفي كثير من الأحيان، تحوّل وتقديم أرستيبوس كسفسطائيّ...

يمارس القوريني الفلسفة كشكل من أشكال العلاج، ويفكّر في عمله بأنَّه عمل طبيب: الرجل العاديّ مريض، وهو يجهل مرضه، لكنَّه مريض - مريض من كونه مخطئاً، من التطوّر عن طريق الخطأ، من خلط الصالح بالطالح، من اعتماد وجوده على مبادئ مغلوطة. لأجل علاجه، فإنَّ الاستشارة مدفوعة الأجر ضروريّة. المال يعني الاعتراف بتكلفة اكتساب الحكمة وإيجاد الحقيقة.

ماذا يقول المحللون النفسيّون بعد خمسة وعشرين قرناً؟ إنّ دفع المال للفيلسوف مقابل علمه المستنير يفترض مسبقاً أن يعرف المريض تكلفة التخلّص من الآراء المغلوطة التي تمنع النشاط الفكريّ، والصحّة العقليّة.

في الضدّ من أفلاطون وزملائه من الأكاديميّة، افتتح أرستيبوس وأنتيسِتنيس وحلفاؤهما طريقة تعتمد على مسرح الشارع أكثر من الاعتماد على مدرج الجامعة. وهنا الساحة العامّة المفتوحة بدلاً من المساحة المغلقة، والظاهرة المرحة بدلاً من التقشف الباطنيّ، والكرم المبهج مقابل التلقين النخبويّ، والضحك والفكاهة والمفارقة لتحلّ محلّ روح الجديّة بجميع أشكالها: البادرة القورينية تعارض الممارسة الاختزالية ذات الأسلوب المدرسيّ، فهي تفترض مسبقاً توسيع خشبة المسرح إلى الحياة وتحويل الواقع إلى كوميديا ارتجاليّة. إنّ الفيلسوف الفنّان مقابل الفيلسوف الشرّير، والبهلوانيّ والمهرّج مقابل الكاهن والأستاذ، والسيرك مقابل الجامعة... يا لها من ريح منعشة ومنشّطة تهبّ على الساحة العامة المفتوحة!

أخيراً، إنَّ أرستيبوس قد شنَّ حرباً على أفلاطون من خلال تركيز اهتمامه الفلسفيّ على الواقع المحسوس وحده: الحياة، الجسد، اللذة، الرغبة، الجسد والتجسّد، والحياة اليوميّة. على عكس أفلاطون الذي حوّل العالم الماديّ إلى نقطة انطلاق للوصول إلى الأفكار. فعنده، في سبيل المثال، يكون الجسد ذا قيمة فقط (انظر المأدبة) بقدر ما يتلاشى ويتحوّل بعد استخدامه كنقطة انطلاق نحو الجميل في ذاته. إنَّ ادّعاء أرستيبوس هنا، والآن، بالآنيَّة الملموسة، وإرادة الاستمتاع التي تحوّلت إلى توتر أساسيّ، يضعه في مواجهة أفلاطون. كان ديوجينيس يقول عنه: «كلب ملكيّ»، كلب مزيَّف في هذه الحال، في مواجهة عدوّه وخصمه مدى الحياة...

لسوء الحظ، نجد أيضاً الثغرات الموجودة في صورة أرستيبوس في عقيدته. شذرات من الفكر، قصاصات من الأفكار، أجزاء من نظرية... والأسوأ من ذلك، إنّ ما تبقى منتزَع من تعليقات، معظمها خبيثة، من الفلاسفة الذين يحاربون مذهب المتعة القورينيّ. نتف مأخوذة من المحاكمات! كارثة فكرية... دعونا نستفد منها على أفضل وجه، ونعدّ هذه العبارات التي أنقذت من التلف بمنزلة هبة من السماء، ودعونا نذكر أنّ التناقضات المحتملة، وعدم الترابط الظاهر، وسمة الفوضى، هي نتاج مستوى المحتوى على نحو أقل مما هو ناتج عن الحالة التي وصل بها إلينا.

لنتخيل فيلسوفاً معاصراً لم يتبقَّ منه سوى صفحات مبعثرة من عدد قليل من كتبه، وكلمات غير مرتّبة، وتعليقات مأخوذة من أحد أعدائه، واقتباسات مقتطعة لأنّها مأخوذة بالفعل من رجل معجميّ سابق، وأفكار منسوبة على نحو مغلوط، بدافع من سوء نية واضح، أو بتأثير قراءة مغلوطة ساذجة، دعونا ننتقل إلى خمسة وعشرين قرناً إلى الوراء لوضع حدّ للرهانات وظروف التفكير والكتابة والإنتاج، ونمحو أدلّة من البيئة التي فيها أنجز العمل: هذا هو المكان الممتلئ بالحشو الفلسفيّ والإطار الذي أُعدَّ فيه!

لذلك، لنقترب من الكنز القوريني بهذا التحذير في النسخ، من دون مقارنته بهذا الفيلسوف أو ذاك الذي لا تزال أعماله الكاملة، المكتوبة بخط يده، أو عدة مئات من الصفحات المتماسكة المكتوبة في إثر ذلك. إذا ما احترمنا هذا الشرط المسبق، فإننا نكتشف قارّة مغمورة حقاً، منسية، لكنّها غنيّة بالإمكانات. إنّ مسرح الفكر القوريني يستحقّ نظرة فاحصة، وأن يُقرأ من منظور أفلاطون والفلاسفة الكلبيين وسقراط وقرن بريكليس [أعظم الساسة في اليونان

القديمة.] وبروتاغوراس [زعيم الفكر السفسطائي في القرن الخامس قبل الميلاد] والسفسطائيين.

في مقابل قراءة كلاسيكيّة الفلسفة اليونانية التي تميّز محور بارمينيدس الأنطولوجي، ومثاليّة أفلاطون، والميل الرواقي في معاقبة الذات، وأكسندرية أفلوطين الصوفية وكراهية الذات العزيزة على آباء الكنيسة، قد نفضل خطأً آخر من القوة يفترض: مذهب ديموقريطس الذرّي، ونسبية السفسطائيين الذاتية - وهم أيضاً يجب أن يكونوا قد تخلّصوا من الأفلاطونيّة -، وعودة سقراط إلى نفسه، وديوجينيس وبطانته المتشائمة، وأرستيبوس ورفاقه القورينيون، ثمّ أبيقوريّة لوكريتيوس. كانت قارة مثالية، من الزهد والمثل النسكية التي يغذّيها دافع الموت، ودافع آخر هو الدافع الماديّ، الذي يغذيه دافع حياة المتعة والبهجة.

أرستيبوس، إذاً. يطرح القورينيون نظرية معرفية شبيهة بنظرية السفسطائيين - وهو أمر سيتذكّره المشككون. نحن نعلم أنّ بروتاغوراس أكّد أنّ الإنسان هو مقياس كلّ الأشياء. مع هذه الأطروحة، فإنّ الحقيقة الواحدة، الشاملة، المطلقة، الأبدية والموضوعيّة - الأفلاطونية، بعبارة أخرى - يجري تحطيمها: وفاقاً لنظر السفسطائيّ، لا يوجد سوى حقائق متعدّدة وذاتية ونسبية وشخصية وظرفية. موت الحقّ في ذاته، وتالياً موت المثل العليا الأخرى، تلك التخيلات التي وضعها أفلاطون: العادل، الجميل، الخير في حدّ ذاته. لإلقاء نظرة خاطفة على خيار السفسطائيين الميتافيزيقيين - وخيار القورينيين أيضاً - نتذكّر المذهب الاسميّ أو الاسمانية المتأخرة - الذي لا يزال ثرائه سليماً، ولا يزال يتعين استغلاله في عصرنا ما بعد الحداثوي.

لا يعني ذلك أنّنا نستطيع أن نستنتج أنّ العدل والظلم، الجميل والقبيح، الخير والشر، شيء واحد ونقيضه، متطابقان، ليس لدينا ما يسوّغ استنتاج أنّ

هناك بحكم الواقع وجود نزعة تتنكّر لأيّ التزام أخلاقيّ، أو حتّى لاأخلاقية، لكن مع هذا الخيار الفلسفيّ، ننصح بأن نؤكّد، إن عُرض هنا، على أنّه خير، أو بوصفه خيراً، وفاقاً لعرف اللحظة، والقرار الجماعيّ لعصر ما، وخيال زمن ما. إنّنا، من خلال الحقيقة المطلقة، كلّ ما نتعامل معه هو أسطورة اجتماعيّة مفيدة للمجتمع في تحقيق التماسك الاجتماعيّ. ولقد صاغ نيتشه بعد ذلك بوقت طويل، مصطلح «المنظورية»[1].

لذلك، فإنَّ النسبية تفترض مسبقاً، لدى القورينيين، نظريّة عن العواطف، وعلم الأمراض، حتّى إثارة الشفقة، أي أنّ المعرفة تمرّ عبر جسد الشخص الذي يمارسها. ويتحقق الواقع وفاقاً لترتيب الأحاسيس المنظمة فكرياً. فقط وحده الجسد الحسيّ يصل إلى المعلومات. وهكذا تصبح الظاهرة معياراً للحقيقة - في الأقلّ ما يمكن حسبانه حقيقة، وتالياً تسمّى في صيغة فرديّة. ويبقى الجوهر غير معروف - لسبب وجيه هو أنّه غير موجود...

1- المنظوريَّة **perspectivisme**. تشير إلى المذاهب الفلسفية التي تدافع عن فكرة أنّ الواقع يتكوّن من مجموع وجهات النظر التي لدينا حوله. وبعبارة أخرى، فإنّ وجهات النظر المختلفة التي لدينا حوله هي التي تشكله. ومع ذلك، يعدّ أول بيان رئيس لها هو تطوير فريدريك نيتشه للمفهوم في القرن التاسع عشر، بعد أن استند إلى استخدام غوستاف تيشمولر للمصطلح قبل بضع سنوات. بالنسبة إلى نيتشه، تأخذ المنظورية شكل الواقعية المضادة للميتافيزيقية في حين ترفض كلّ من نظرية تطابق الحقيقة والفكرة القائلة بأنّ قيمة الحقيقة للاعتقاد تشكل دائماً قيمته النهائية. يرى مفهوم نيتشه المنظوري للموضوعية أنّ أوجه القصور في كلّ منظور يمكن علاجها من خلال دراسة مقاربة للاختلافات بينهما. يتناقض هذا مع المفاهيم الأفلاطونية التي يُنظر فيها إلى الحقيقة الموضوعية بأنّها تكمن في عالم خالٍ تماماً من المنظور. على الرغم من ذلك، غالباً ما يُساء تفسير المنظورية بحسبانها شكلاً من أشكال النسبية، أو رفضاً تاماً للموضوعية. على الرغم من أنه غالباً ما يكون من الخطأ الإيحاء بأنه لا توجد طريقة لرؤية العالم يمكن عدّها صحيحة على نحو قاطع، يمكن بدلاً من ذلك تفسير المنظور المنظوري بأنه يحمل تفسيرات معينة (مثل تفسيرات المنظورية نفسها) لتكون صحيحة على نحو قاطع.

لا يمكن للمرء أن يصل إلى مركز الكينونة لأجل العثور على الجوهر، لأنّه لا يمكن استيعاب سوى سطح الأشياء - تراه الحواس وتسمعه وتتلمسه وتدركه. ومن ثمّ، كنتيجة ميتافيزيقية، دليل على وحدة الأنا (الذاتوية)، بأحاسيسها ومشاعرها: كل فرد يعرف ذاته، ولا يمكنه أبداً التأكّد من أنّ معلوماته يمكن توصيلها وتبادلها ومشاركتها حقاً. النزعات الاسمية، المنظورية، النسبوية، الذاتية، الحسية والذاتويّة: من الواضح أنّ الحداثة القورينية تتألق من خلال تاريخ الفلسفة...

مبدأ الاستقلاليَّة

لا يحبّ القورينيون سوى الأخلاق. من وجهة نظرهم، لا تمثل الفيزياء والرياضيات وجميع العلوم أيّ أهمية بالنسبة إليهم، لأنّ الشيء الوحيد المهمّ هو الحياة الناجحة - مشروع لا تُحسب فيه الأرقام شيئاً. ومن هنا، جاءت العدمية المعرفية المؤكدة بوضوح، يليها تركيز كلّ الجهود الفلسفية على مسألة الحكمة العملية والأخلاق القادرة على توفير قواعد للحياة، ومؤشّرات وجودية، وأسباب واضحة للسلوك السليم. فالفيلسوف لم يعد يهتمّ بالأفكار المحض أكثر من اهتمامه بالأرقام. إنّه لم يعبأ بخرخشات طفل تثير فيثاغورس، أو الأفلاطونيين، وورثتهم حول هذا الموضوع، كما تثير كثيرين غيرهم...

وما هدف الفلسفة؟ أن تعيش عيشة ملائمة. كما هي الحال في كلّ ما يسمّى بالمدارس الهلنستية - الرواقية، والأبيقورية، والكلبية- لا نفكّر لأجل التفكير، لا نتفلسف لأجل المتعة النرجسية المتمثلة في التلاعب بالمفاهيم التي لا يمكن فهمها أو الكلمات الفظة أو المفاهيم المشوّشة، لكن لأجل تحويل وجودنا، لجعل حيواتنا عملاً متماسكاً، لإنتاج أسلوب وجوديّ، لتجسيد تفكيرنا في الحياة اليوميّة، وتالياً الوصول إلى أدق التفاصيل: في الملبس والجاذبية والمظهر، لكن أيضاً في الحركات

والكلمات والأفعال والصمت والانسحاب والامتناع. يجب أن تصيب الفلسفة أدنى فجوة في السيرة الذاتية، فهي تبعث روحاً وشفيعاً وثنياً يمكن التعرُّف إليه في دقائقه الصغيرة، وتتجلّى في حالة متناهية الصغر. وأرستيبوس يشهد على ذلك.

يريد القورينيون الاستقلالية، بالمعنى الاشتقاقيّ: القدرة على سنِّ قوانينهم الخاصّة، من دون الاهتمام بالقواعد الجماعية التي تنظم العلاقة بين الآخرين. فالرجل الحكيم يتمتع بالاكتفاء الذاتيّ، فهو لا يعيش بالوكالة، ويتشبث مثل الطفيلي بتخيلات المجتمع، وهو يمتص اللبَّ من الأساطير المجتمعية ليمنح نفسه تناسقاً وهمياً، فهو لا يحتاج إلى أمر متسامٍ خارجيّ بالنسبة إليه، إذ سبق له أن أطاع أمراً جوهرياً خاصاً به، أخلاقياً ومستوجباً. يريد أرستيبوس أن يكون حراً ومستقلاً عن كل شيء: بما في ذلك المتعة، على عكس ما تعكسه الرسوم الكاريكاتورية المعتادة عنه - عبداً لجسده وعواطفه ورغباته ودوافعه.

لا يريد أرستيبوس أن يتألَّم، أو بالأحرى يريد أن يستمتع. يكمن تفرّده في هذه الخصوصيّة: فهو يتخطّى اتباع نهج الازدهار والرفاهية **Eudémonistes**[1]، الذي يكتفي بالمتعة السلبية (تجنّب الألم، المعاناة، وبناء

1- **Eudaemonism** (تعني باليونانية: **eudaimoníavía** **ε•δαιμο** /، «النعيم») و**Eudémonistes** اتباع مذهب الازدهار والرفاه: هي عقيدة فلسفية تفترض أنّ السعادة هدف الحياة البشرية. لا يُنظر إلى السعادة بأنها معارضة للعقل، فهي هدفه الطبيعيّ. لقد جسّدت الرواقية، على نحو خاص، هذا الارتباط بين العقل والسعادة على نحو بارز، لكنه موجود أيضاً في التيارات الفلسفية الأخرى من الفترة الهلنستية. إنه يختلف عن مذهب المتعة، كنزعة تؤسّس البحث عن المتعة وتجنّب المعاناة (وليس السعادة) كهدف للحياة البشرية. من ناحية أخرى، يمكننا ربط مذهب الازدهار والرفاه بالبحث عن السعادة لدى سبينوزا، وكذلك المثل الأعلى للسعادة (أو الخير) السائد في القرن الثامن عشر (المادة 1 من الدستور الفرنسيّ لعام 1793، النفعية، نظرية اليد الخفية لـ آدم سميث، إلخ). تؤهل نزعة الازدهار والرفاه النزعة الأخلاقية التي تجعل السعادة هي الصالح الأعلى والمعيار النهائيّ لاختيار الأفعال البشرية: كانت هذه هي الحال منذ سقراط في جميع مدارس الفلسفة

حياة المرء لتجاوز ما بين أدنى حاجاتها) أو متعة باهتة للغاية، بل لا لون لها، لاستعادة المتعة والشهوة والمرح. لهذه الغاية، وعلى النقيض من حسيّته النظريّة، يعيد الجسد إلى كرامته الكاملة: الجسد الذي يأكل ويشرب ويتعطر ويلبس ويفكّر، ويتدلل ويتأمل، جسد يتجاوز أيّ تسلسل هرميّ بين الملذات المواتية والسيئة، ويريد أيضاً طاولة ممتازة عليها زجاجات رائعة ومحادثة فلسفية على ساحة أغورا[1] تليها كتابة كتاب.

كي لا يعاني، وكي يبني استقلاليته الذاتيّة، لا يوجد شيء مثل التحرّر من السلاسل المعتادة: العمل والأسرة والوطن. لقد أوضح أريستبوس أن معارضيه لم يكونوا ليهتموا به قدر الإمكان، ولم يكن لديهم حبّ العامل، مثلهم مثل جميع اليونانيين، يفضّلون الأوتوم **otium**[2]، ولم يشعروا بأنّهم ينتمون إلى

القديمة تقريباً، لكنها تتعارض فيما يتعلق بوسائل تحقيق السعادة. تأسّست نزعة الازدهار والرفاه على الثقة العامة بالكائن الإنساني، الذي بقي المفتاح الذي لا يمكن الاستغناء عنه في النزعة الإنسانية. تركز العقيدة على هذه الفرصة الوحيدة للوفاء التي تشكل الحياة الدنيوية، لذلك يجب أن تكرّس الجزء الأكبر من جهدها منطقياً لنجاح هذه الحياة، لأجل السعادة الفورية أو العقلانية على مدى فترة طويلة من الزمن، سواء بالنسبة إلى الذات أم إلى الآخرين.

1- أغورا **(Agora)** هي ساحة دائرية كان المزارعون في أثينا يلتقون فيها منذ عام 406 ق.م، لكنها لم تكن حكراً عليهم بل كانت موضع التقاء الفلاسفة أيضاً. شكّلت الأغورا مركزاً إدارياً ودينياً وتجارياً في الدولة بحيث كانت المكان العموميّ الذي تُتخذ فيه القرارات الأساسية في المجتمع الإغريقي (اليوناني) القديم.

2- أوتوم **Otium** هو مصطلح لاتينيّ يعود تاريخه إلى منتصف القرن الثاني قبل الميلاد. يغطي مجموعة متنوعة من الأشكال والمعاني في مجال وقت الفراغ. إنّه الوقت الذي يستفيد فيه الشخص من الباقي لينغمس في التأمل، وأوقات الفراغ الدؤوب. إنّه أيضاً وقت التقاعد في نهاية مهنة عامة أو خاصّة، على عكس الحياة العملية والحياة العامّة. إنه وقت متقطع أو طويل، للترفيه الشخصي مع آثار فكرية أو فاضلة أو أخلاقية مع فكرة الاغتراب عن الحياة اليوميّة، والأعمال التجاريّة (التفاوض = **neg-otium**)، والانخراط في النشاطات التي تعزّز التنمية الفنيّة أو الفكريّة (بلاغة، كتابة، فلسفة). يعدّ **Otium** ذا قيمة خاصّة لرجال الأعمال أو الدبلوماسيين أو الفلاسفة أو الشعراء.

هنا أو هناك. ولا يعتمدون على أيّ شيء أو على أيّ شخص: هـذا هـو كـلّ مـا كـان يدور حول مذهب اللذّة. لذلك، نظراً لأنّه لا يضع شيئاً في الحسبان فـوق حريّتـه، فـإنّ القـورينيّ لا يجـد نفسـه مطلقـاً منغمسـاً في الـولاءات - الدينيّـة والسياسـية والاجتماعية والمجتمعيّـة. إنّـه يصنع شخصيته الفرديّـة مثـل نحّـات حـريص عـلى استخراج شكل جديد من كتلة من الرخام الخام.

حساب الملذّات

يقترح أرستيبوس، بشأن حساب الملذات مـن منظـور الاسـتقلالية، نظامـاً غـذائياً للملذّات. لا شكّ في أنها ليست مسألة متعة من دون ضـمير، حيوانيـة، فجّـة - كـما يحبّ أن يعتقد أعداء مذهب اللذّة. كلّا. لكن الاستمتاع المَقيس **mesurée** - يظهـر المصطلح بوضوح في إحدى الشذرات -، محسـوب **calculée**، اسـتمتاع مبنـيّ. تـوتّر وزهد لا استرخاء ولا تـراخٍ. إرادة لا ضـعف. صـلابة لا ميوعـة. إنّ الحكمـة تتطلّـب عملاً من أعمال الضمير: فحص الظروف التي يمكن في ظلّها تحقيـق أقصى قـدر مـن المتعة، والاهتمام بتجنّب أيّ بادرة قـد تكلّـف القليـل مـن الاسـتياء، والحـرص عـلى اختيار أيّ سعادة، على ألّا تشوب هذا الاختيار أيّ شائبة، من أينما يأتي هذا الحرص، شرط أن يحدث ذلك بألّا يـؤدّي إلى عواقـب مقلقـة. إنّ أرسـتيبوس لا يـدعو إلى أيّ لذّة كانت، بل إلى تلك التي يمكن الحصول عليها بتدبير، وبأقلّ تكلفة.

في هذه العمليّة الحسابيّة للـذّة، الأمـر كلّـه منـوط بتجنّـب التطـرّف: عـدم وضع وجود المرء في خدمة التمتّع، وفي مسـعى دائـم ومطلـق وجـامح ومرهـق ومتعب، ولا نبذ كلّ مباهج هذا العالم. لا الفجور ولا دير الرهبان. من يبذل كلّ طاقته لدرء الإغراء يعترف بدوام الإغراء، وبخضوع وجوده الكامـل لهـذا الصراع، ويثبت، على مضض، أنّ المتعة هـي همّـه الوحيـد، لأنّـه يكـرّس حياتـه كلّهـا في

الصراع مع نفسه. لم يعد راهباً نرجسياً مهووساً بخلاصه - واجب الأداء مقابل نبذ واضح للعالم... - أكثر من راهب سلبته الملذات لدى أرستيبوس الذي يهدف إلى التوازن والاعتدال والوسطية العادلة والمكان المحدّد الذي فيه يكون متأكّداً أنّه لن يضطرّ إلى المساومة بأيّ ثمن مؤلم، وتالياً تدمير ابتهاجه.

أن يحترق باللذة، لكن من دون أن يُستهلك؛ أن يجعل التوهّج أكثر حيويّة، لكن لا يهلك في الحريق؛ أن يستهلك نفسه، ويجهدها، ويرغب ويستهدف الحماس واللهب، لكن أن يفعل كلّ شيء، لكن لا يتقلب في الجمر؛ يذهب حيثما يريد، يقود نفسه، ويديرها، ويتحكم بها، ويتمرّن باستمرار، من دون أيّ توقّف؛ يقتحم من دون أن يكون مقتحَماً؛ ويمتلك من دون أن يكون مملوكاً: أي إخضاع الحقيقة لروح المرء، وإرادته وقراره. يبقى مستقلاً، سيّد نفسه، ويثبّت سلطته على العالم، ويبني وجوده حتّى لا يضطرّ إلى تحمّل نير الواقع عليه: إنّ الأخلاق القورينية تكشف عن نزعة إراديّة مستثارة.

إنّه يفترض دائماً التقيّد بنقاط القطيعة، على الحواف، وعند الهوامش: لا أكثر ولا أقلّ، لا دون مستوى المتعة ولا أبعد من ذلك. لا يتنازل عن حالات البهجة، لكنّه يستمتع بها بلا مبالغة، يتصرّف بلا معاناة، من دون أن يشعر بالحاجة: المال، السلطة، الرفاهية، الثروة، الذهب، والولائم. وبالمثل، لا يرفض هذه الاحتمالات بحماس عنيف أو بتصميم شرس من شأنه، بالطبع، أن يخون ردّ فعل مشبوه بالقدر نفسه بسبب الافتقار إلى الصفاء. ومن هنا، تأتي الحاجة إلى اهتمام دائم، وحساب دائم، وتوتّر مألوف، يشبه أقواس موترة إلى أقصى حدّ: الزهد، على عكس القبول بمنحدرات سهلة...

إنَّ من يجعل نفسه عبداً للذّة ليس من نحسن الظنّ به: يبدو أنّه يمكن العثور عليه بين أولئك الذين يعيشون حياة تقشّف المهووسين بسوء المعاملة

والعقاب والمعاناة، وبين المتخصّصين في مُسوح الرُّهبان [الذين يتظاهرون بالبراءة والطِّيبة]، وبين المسيحيين العصابيين الأوائل، الذين، لأجل قتل الجسد القادر على الابتهاج داخلهم، هم يصلون إلى مزيد من الابتهاج الفاسد عن طريق دفن أنفسهم أحياء في سجون وسط الصحراء، وعن طريق وضع أنفسهم على أعلى برج يبلغ ارتفاعه نحو عشرين متراً لتكريس حيواتهم للصلاة، وعن طريق تلطيخ أنفسهم بالعسل كي يلتهمهم البعوض، فيعاقبون أنفسهم على سحقه في اليوم السابق، وعن طريق اختيار جحر الضبع للعيش فيه، أو بئر، أو قبر حقيقيّ...

الكبرياء، التواضع الزائف، النرجسيّة الفاحشة، جنون العظمة الغامض: شمعون بن يعقوب في أعلى برجه؛ وعاش القدّيس ثاليليوس منعزلاً على قمّة جبل في سورية، وحبس نفسه عشر سنوات في قفص مفتوح من الخشب، وتحوّل أسيبسيمو إلى راعٍ، وماكير أكله ناموسه - هؤلاء هم العبيد الحقيقيون للرغبة والمتعة، أولئك الذين وضعوها في مركز انشغالاتهم. ليس من المستغرب أن يكون المتصوّفة قد فتنوا الساديين أو الباتايين [نسبة إلى جورج باتاي] المهووسين بالشهوة الجنسية، الذين ما زالوا مسيحيين، بسبب الهستيريا المهووسة: يجتمع القديس والماركيز دي ساد، والنشوة الكرملية والمتعة الوثنية لرواد بيوت الدعارة في الجنون الغاضب عينه. وبعيداً عن مذهب المتعة، تؤدّي هذه التنقلات إلى حبّ الموت والاحتفال بالتابوت والقبر.

الاحتفاء بالحاضر

كي لا يكون عبداً وشيئاً من الملذّات، يحوّل أرستيبوس اللحظة إلى نقطة مفعمة بالمتعة وشبيهة بالماس ليعيش في جوهرها، وإلى تجربة على نحو مطلق. لا يلوّث اللحظة بذكرى الماضي أو بمخاوف من مخاطر المستقبل. في كثير من

الأحيان يفسد الحاضر بسبب دخول الطاقات السيئة فيه، القادمة في خط مباشر من الماضي أو المستقبل: ذكريات سيئة، آثار باقية من الأمس أو اليوم السابق، حتّى القلق بشأن الغد وما سيأتي بالتأكيد. إنّ الزمن الحاضر وهو عالق ما بين الزمن المنقضي والزمن غير الموجود، يستطاب مثل خمرة فاخرة وثمينة.

من خلال الظهور بمظهر تجبره فيه نزوات التمثيل وحدها على ابتكار خيال مضى ووقت ينقضي، يكتفي الرجل الحكيم بإعطاء، هنا والآن، قوة سحريّة رائعة؛ فبعد تحرّر الفيلسوف من واجباته فيما يتعلق بالزمن السابق والزمن الذي يليه، وكلاهما غارق في المادة التي تُصنع منها الأحلام، يكتسب إمكان الوصول إلى بُعد غالباً ما يُنسى، ويُهمل في معظم الأوقات: أن يستوطن اللحظة، ويستقرّ في الآنية، ولا يقلق بشأن الماضي والمستقبل اللذين يستمدّان وجودهما واتّساقهما من المعرفة الوحيدة التي تزوّد العقل بالحواس أو بالذاكرة والإبداعات العقلية الخطرة. إنّ العمل على هذه التخيلات يفتح مجالاً من الاحتمالات ويترك الطريق مفتوحاً لأهواء المتعة.

سيتذكّر أبيقور ذلك، ويخلق علاجه الرباعيّ بدءاً من هذه البدهيات القورينية: لا تخف الآلهة، لا تخشَ الموت، وتعلَّم أنّ من الممكن الوصول إلى السعادة وتسكين الآلام. لا يمكن النظر في دستور الأدوية هذا القادر على علاج آلام الحياة إلّا من منظور النظريّة الآنيّة الأريستبيوسية المحدثة: في اللحظة عينها، ليس للآلهة مكان في هذه اللحظة، حيث هم، إذا كانوا - خارج الزمن -، ليس لديهم اهتمام بالبشرية - كن مطمئناً، الخلود والحاضر لا يحافظان على علاقة حسن الجوار. والشيء نفسه مع الموت، الذي لا يمكن لنا أن نخافه، فطالما أنَّنا موجودون فهو غير موجود - ولِمَ القلق بشأنه إن لم نكن نتطلّع إلى المستقبل؟ - وحينما يحدث ذلك، لن نعود في وضع يسمح لنا بتجربة أيّ ألم افتراضيّ.

وتالياً، دعنا نعرف كيف نعيش اللحظة، فالموت لا يهمّنا سوى لفترة وجيزة، في زمن وجيز غير مؤلم - لأنّنا إذا ما عانينا إذاً نحن لم نمت، وإذا متنا، فلن نعاني بعد. يمكن أن تتحقّق السعادة إذا ما ركّزنا في بعدها المفضّل، لا في الغد، ولا في الأمس، ولا في عالم المستقبل أو الحنين إلى الماضي، ولا في تذكّر متعة مفقودة أو مستقبليّة، لكن في القدرة على تذوّق الابتهاج عند ظهورها، حيث تتجلّى. أخيراً، يمكن تجنّب الألم، كلّ ما يتعيّن علينا فعله هو تطهير اللحظة، ورفض إمكانية الحقيقة السلبية لتلويث الحاضر من خلال الابتهاج للحظة وجيزة، ومن خلال معرفة كيفية تقدير جوهر الحكمة، والاستمتاع بمتعة الوجود الخالصة.

من السهل أن نرى أنَّ أبيقور، هنا كما في أيّ مكان آخر، قد استفاد، وعلى نطاق واسع، من أرستيبوس والقورينيين - كذلك من ليوكيبوس وديموقريطس في الفيزياء الذرية والمادية - لصياغة مفهومه الخاصّ عن العالم. إنّ بعض الخصائص المغذية للرغبات، وحساب الملذّات، والقلق اليودايموني [الازدهار الإنسانيّ والرفاهية]، والآليّات المناهضة للأفلاطونية، والحكمة كتحرّر من الضرورات، والخير الأسمى المتماهي مع الشهوانيّة بوضوح، والاحتفاء بمبدأ الاستقلالية، وهذه الجماليات في الوقت الحاضر، تشير كلّها إلى صلات واضحة.

بالطبع، الاختلافات واضحة تماماً، ويمكن تحدّيها: هناك تعريف مختلف للمتعة - المعارضة الكاتاستيمية **catastématique**[1] والسكونية - هو سكون الروح المطلق الناتج عن نفي السلبيّ، وشغف بنية الجسد الذي يوضع في خدمة الأخلاق، وتقشّف زاهد يتطلّبه جسد مريض سيد الفردوس، والأساليب الضيقة الصارمة -

1- تشير كلمة الكاتاستيمة **catastématique (catastérisation)**، التي تحوي الجذر اليونانيّ **aster** (نجمة)، إلى تحوّل الكائن إلى كوكبة أو نجم أو انتقال روحه إلى السماء. لذلك يتعلق الأمر على نحو أساسيّ بالأساطير اليونانية ومفهوم الحياة بعد الموت.

بمعنى الكلمة الأصل - بدلاً من الأساليب المرحة أو المسرحيّة إلخ. لكن، كما أنَّ التالين - أنيقريس، هيجيسياس، ثيودورس، القوريني - ومن ثمّ من مدارسهم التي تتناول الحريات فيما يخصّ أريستبوس وتعاليمه، فإنّ أبيقور هو بلا شكّ أحد أحفاد مذهب الازدهار والرفاه المتحدّر من مذهب المتعة القوريني.

سياسة التهكُّم

وفاقاً للمبادئ القورينية، عند تناول الطعام، فإنّ التهام النفس هو فلسفياً بمنزلة صيام، وفي السرير، جمع النساء هو التعهد بالامتناع عن ممارسة الجنس: في الضدّ من التجاوزات والنقائص، يعلن أرستيبوس عن الحاجة إلى حبل مشدود، وإلى مسافة صحيحة، وإلى وضع صحيح. ويؤكّد الحاجة إلى القدرة على الوقوف على المسافة الصحيحة: ليس بعيداً جداً ولا قريباً جداً. في السياسة، يفكّر وفاقاً للمنوال عينه. من الواضح أنَّ وجوده في بلاط ديونيسيوس الأول حاكم سرقوسة سرعان ما أكسبه لقب رجل الحاشية سيّئ السمعة. وقد لعب سوء فهم هذا الآخر دوراً كبيراً ضدّ أرستيبوس، إبَّان حياته. لكن، دعونا نتذكّر أنّ أصل الكلمة أنّ أحد رجال الحاشية هو أولاً وقبل كلّ شيء يعني شخصاً يعيش في البلاط، وليس بالضرورة شخصاً متملقاً أو ديماغوجياً. في هذا البلاط، يمكن أيضاً مقابلة أفلاطون الذي، في الأرجح، كان يضع ويفكّر بنظريته عن الفيلسوف الملك. ومع ذلك: كيف يمكن للملك أن يصبح فيلسوفاً من دون أن يتنحّى، وعلى الفور، ليثبت أنّه سيكون فيلسوفاً؟ هل يمكننا، إذا لم يكن الأمر كذلك، أن نتخيّل فيلسوفاً يوافق، حقاً، على أن يصبح أميراً؟ إنّ الفيلسوف في الكهف لا ينبس ببنت شفة...

لا يؤمن أرستيبوس بتحويل ديونيسيوس إلى أمير فيلسوف - على عكس أفلاطون... يمارس في برقة (قورينة)، حياته بكلّ ارتياح، وفي كلّ مكان، ولم

يمتنع من أيّ شيء أو أيّ كان، لم يعد يلتمس أذناً مـن الطاغيـة أكـثر مـن أن يـرفض الاحتكاك به. لـيس فـرط البعـد ولا القـرب يسـتحقان لأجـل الـروح والإرادة الحـرّة والحريّـة والاسـتقلال الـذاتيّ والاسـتقلالية. إنّ التقـرُّب لغايـة يعنـي الاعـتماد عـلى الخضوع والحاجة. والحال هذه، لم يضطرَّ أرستيبوس قطّ إلى الخضوع لديونيسـيوس لأجل العيش أو البقاء في قيد الحياة، فهـو يتجـوّل في الـقصر كـما يتجـوّل في سـاحة أغورا في قورينة، بالتراخي نفسه، تحرّكه الأفكار عينهـا، مفعّـلاً تهكّـماً مماثـلاً. وهـو يتحدّث إلى الأمير كما لـو كـان يخاطـب بـائع خضراوات أو بـائع سـمك مشـغولاً في كشكه.

في بلاط ديونيسـيوس السرقـوسي، لم يسـمح أرسـتيبوس لنفسـه بـأن يحسـب لـه حساب، كما هي الحال لأنتيستينس في مكان آخر، لكن عـلى الـرّغم مـن ذلـك أكـثر قليلاً، من ديوجينيس الفظّ والمتغطرس، والبعيد عن الأمير على نحو منهجيّ. ولطالمـا ادّعى أرستيبوس دائماً أنّ ممارسة الفلسفة علّمته أن يكون هو نفسه في كـلّ مكـان، ويشبه أيّ شخص آخر. في قصر أو في الشارع، بـين الأغنيـاء أو بصـحبة الفقـراء، مـع فيلسوف، مثل أفلاطون، أو رياضيّ في الألعاب الأولمبية - التي يحضرها - بالقرب من هم أكثر تواضعاً، وإلى جانب الأقوياء، يبقى الرجل الحكيم نفسه، في نوع مـن عـدم المبالاة المستمرّ الذي يشير إلى الحكمة، ما يعني العظمة وتأكيد الانفصال.

النأي بالنفس عن البلاط، لأنه البلاط، مع أنَّـه يُفـترض بـه أن يعطيـه الأهميّـة اللازمة أكثر ممَّا يمتلكها. عدم المبالاة الحقيقيّة يحظر المبالغة في العلاقة: لا سلبية، ومتفاعلة في الرفض؛ ولا إيجابيـة، ومتواطئـة في الرضـا عـن الـذات. مـثلما يجعـل ديونيسيوس يـدفع مقابـل معرفتـه أو يطلـب منـه المـال، لأنّ المـال لا قيمـة لـه، تماماً كما يتعطّر، ويأكل ويتذوّق النبيذ الفاخر، لأنّ العطـور والمـراهم والأطعمـة الفاخرة والنبيـذ الفـاخر وغيرهـا تعـدّ غـير ذات قيمـة مقارنـة بالأساسـيّات، أو لا

يزيد من غيابها، شأنها في ذلك شأن من يتردّد على عاهرة - أو عاهرات عديـدات، إذ إنَّه لا يفقـد روحـه وعـدم اسـتقلاليته - يـتردّد أرسـتيبوس عـلى بـلاط ديونيسـيوس السرقوسي: لأنّه مكان لا أهميّة له...

لا أهميّة له، بالتأكيد، لكن ليس سيئاً إلى درجة ممارسة التهكّم على سياسـة مـن السخرية الفاعلة، لأنّ أرستيبوس لا ينزع سلاحه، لا في هذا البلاط الاسـتبداديّ ولا في أيّ مكان آخر. وفي كتابه الدوكسوغرافيا، تشهد القذائف التي أطلقهـا الفيلسـوف في اتجاه رجل السلطة عدداً من عبارات مسيئة، والتورية التي تتحدّى ديونيسـيوس في الردّ أو تقـديم مسـوّغاته. لقـد اسـتمرَّ أرسـتيبوس في نكاتـه اللاذعـة، واسـتجواباته، وسخريته المريرة أحياناً، على غرار ديوجينيس الكلبيّ: في كـلّ مكـان ولا مكـان فيـه، غريب في كلّ الأماكن، لكنّه المواطن الأصيل في كلّ مكان. البدوي دائماَ، والغيـور مـن هذه الحرية الراديكاليّة.

لم يكن أرستيبوس أرستقراطياً ولا أحداً من العامّة ينتمي إلى الفلاسـفة، ولا عبـداً ولا سـيداً، لا برجوازيـاً ولا بروليتاريـاً، كـان يسـخر مـن الرتـب والتسلسـل الهرمـيّ والشراهة التي تشغل بال الكثيرين: المال والسلطة، الأسرة والعمل، الشرف والثروات، السمعة والاعتبار. إنَّه شخص راديكاليّ مستقلّ ذاتياً، له اسـتقلاليته، ويتمتـع بذاتيـة مشرقة، فردٌ مشعّ وانفراديّ، يطبّق فلسفته ويدخلها في حياته اليوميّة، ويشهد عـلى التجسّد في جميع أشكاله. لقد سأله سقراط عن أيٍّ من الحياتين تبدو له أكثر متعـة، حياة الأشخاص الذين يأمرون أم أولئك الذين يُؤمرون، فأجـاب أريسـتبوس: «هنـاك طريق وسط كنـت أحـاول السـير فيـه. لا يمـرّ هـذا الطريـق عـبر السـلطة، ولا عـبر العبوديَّة، بل عبر الحريّة التي هي طريق السعادة العظيم.»

نحن نعرف الآن الطريق - ومن الآن لا عذر لأحد...

ميشيل أونفري

الفصل الثاني

شذرات قورينيَّة

1- يفوح منه العطرُ فـي ساحة أغورا

عزيزي تيموقراطيس، «تبدو كرجل من قورينة»، كـما جـاء في كتـاب (تنـداروس لألكسيس). هناك، إذا دعا أحد ما شخصاً واحداً إلى مأدبة، يضاف إليهـا ثمانيـة عشرَ آخرون، فضـلاً عـن عشر مركبـات وخمـس عشرة عربـة، وعليـك إطعـام كـلّ هـؤلاء الأشخاص، لذا فإنّ أفضل شيء هو عدم دعوة أيّ شخص.

أثينايوس، الثاني عشر، *510*، ط. ***kaibel***

كان أرستيبوس يعيش حياة مترفة ويتجوَّل بملابس أرجوانيَّة.

تاتيان، خطاب إلى اليونانيين، *2*، ط. أوتو.

نحن معجبون بأرسـتيبوس لأنّـه احـتفظ أيضـاً بمظهـره الجميـل مرتـدياً معطفـاً خسيساً من صوف مدينة ميليتوس.

بلوتارخ، حول ثروة الإسكندر أو فضيلته، ص. *171*.

هذا هو السبب في أنّ أسطراطون قـال لـه ذات يـوم، وفاقـاً لمـا ذكـره أفلاطـون: «أنت فقط من يمكنه ارتـداء الكلاميـد والخـرق». [الكلاميـد: قطعـة مسـتطيلة مـن الصوف مثبّتة على الكتف بوساطة شظية. م].

ديوجينيس اللائرتي، *2*، *67*.

لمَّا اقترح عليه أحدهم لغزاً وقال له: «حلّ»، أجاب: «لماذا تريدني، أيّها الغبـيّ، أن أكشف عمّا يجعلنا في حرج، حتّى لو كان مثبتاً؟»

ديوجينيس اللائرتي *2*، *70*.

لمَّا أهانه أحدهم ذات يوم، ابتعد. في حين كان الآخر يلاحقه ويسأله: «لماذا تهرب؟»، أجاب أرستيبوس: «لأنّه إذا كانت لديك الحريّة في قول الإهانات، فلديّ الحريَّة في عدم الاستماع إليها».

ديوجينيس اللائرتي *2*، *70*.

لمَّا أخبره أحدهم أنّه دائماً ما كان يرى فلاسفة عند باب الأغنياء، قال: «الأطبّاء أيضاً على باب الرجل المريض، ومع ذلك، لا أحد يختار أن يكون مريضاً بدلاً من أن يكون طبيباً».

ديوجينيس اللائرتي *2*، *70*.

الشجاعة والتهوّر شيئان مختلفان. الشجاعة معقولة، والتهوّر يسير جنباً إلى جنب مع الوقاحة. هذه هي حالة الفيلسوف أرستيبوس.

Schol. in apoll. Rhod. Argon. II, 77, ed. Wendel

كان يتعطَّر وهو يقول: «في أعياد باخوس، من كانت تتمتع بالحكمة لا يمكن أن تفسد».

أثينايوس، الثاني عشر، ***544 b***، ط ***Kaibel***.

أنا أيضاً على دراية بكلمات أرستيبوس القورينيّ. كان هذا الأخير يعيش في رفاهية. طرح هذه المسألة المثيرة للاهتمام على أحدهم: الحصان الذي يُفرك بالعطر لا يفقد صفاته كحصان، ولا يفقد الكلب المعطّر صفاته ككلب، وتابع وهو يختتم قوله - كذلك الرجل أيضاً.

إكليمندس الإسكندري، المربي، *2*، *8*، *64*، *1*، ص. *170*.

كان الفيلسوف أرستيبوس، الذي يفرك نفسه بالعطور، يكرّر أنّ الفاسقين يجب أن يموتوا ميتة بائسة، فهم بائسون لأنّهم أنتجوا عطراً شائناً مفيداً.

إكليمندس الإسكندري، المربي، *2*، *8*، *69*، *1*، ص. *173*.

الشيء الأكثر غرابة هو أنَّ هؤلاء الشبّان لديهم كلّ أنواع الثروات تحت تصرّفهم، إلى درجة التخمة، ثروات لم تخطر في بال حتّى السيباريسيين، وأنّ أرستيبوس، الفيلسوف الأكثر حباً للرفاهية، لم يكن يمتلك منها شيئا قطُّ.

ANECD., OXON. III, p. 168, 1, éd. Cramer.

وهو يرشّ نفسه بالعطور، ألا يفعل أرستيبوس شيئاً يرضي به أفروديت؟

كليمنت الأول، المواعظ، ج *5. 147*، ط. ***Migne, P.G. II, coll.***

ذات يوم، كان أرستيبوس، وهو يستمتع باستنشاق العطور، يقول: «ملعونون، أولئك المخنثون الذين يتنازلون عن مثل هذا الشيء العذب!»

سينيك النعم ***XXV***، ص *259*.

ولمَّا انتُقد، ذات يوم، لعيشه أسلوب حياة راقياً، قال: «لو كان هذا السلوك سيّئاً، لما كنا نتبنَّاه في أعياد الآلهة».

ديوجينيس اللائرتي، *2*، *68*.

وأعني بالقول إنّ أرستيبوس عبد اللذّة (...).

عظيمة كانت صراحة خطابات قورينية،

لقد مزج بين الحريّة والليونة من خلال إفساد الجميل بعقيدة مريرة، فكان يشمّ العطر ويهديه إلى جميع ضيوفه،

كانت أخلاقه الحميدة، ودهاء عقله وسيلة لتحقيق المكاسب.

وهكذا، لمَّا قدّم أرخيلاوس الحكيم، ذات مرة، ثوب امرأة هديَّة (لا أعرف كيف ولأيّ سبب)،

من الواضح أنّ أفلاطون رفض ذلك، وهو يستشهد بهذا البيت ليوربيديس:

«ليست معضلة بالنسبة إليّ أن أرتدي ثوب امرأة،»

في حين أنّ أريستبوس ما إن قدّم له رجل مَثُل بين يديه هذه الهديّة، قبلها على الفور، وهو يردّد بيتاً من الشعر أكثر تفنناً:

«لأنّه في أعياد باخوس، لا يمكن أن تنحرف مَن هي حكيمة.»

غريغوريوس النزينزي، الخطابات اللاهوتية، *2*، *10*، ط

***Migne*، *PG XXXVII*، *coll. 702*.**

في خطابه عن القضاة، يذكر الرجل الذي دافع من دون مسوّغ عن أرستيبوس، الذي لم يُسمح له بالكلام.

فيلوديموس، حول البلاغة، ***fr. 12, col. XLI, Sudhaus***

إلى كاتب الاتهامات والمرافعات، الذي دافع عن قضيّته بنجاح، ومن ثمّ سأله: «بأيّ طريقة ساعدك سقراط؟»، فأجاب: «هذا أنّ الكلام الذي قلته في الدفاع عنّي كان صحيحاً».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *71*

لَمَّا أهانه أحدهم لأنّه طُرد من وطنه قورينة، أجاب أرستيبوس: «نعم، أيّها الشابّ، لقد ظلمني وطني وهو يطردني من ليبيا إلى اليونان».

مجلة غنومولوجيا الفاتيكان، *743*، ع *28*.

إلى تشاروندس - أو إلى فيدو، حسب قول آخرين - الذي سأل: «من الذي يتضمّخ بالعطر؟ أجاب: «أنا البائس، لكن هناك من هو أكثر بؤساً منّي، ألا وهو ملك فارس. كن حذراً: إذا كان التعطير لا ينتقص من صفات أيّ كائن حيّ آخر، فإنّ الأمر نفسه ينطبق على الإنسان. فليهلك هؤلاء الفاسقون الأشرار بداء الموت، أياً كان الذين يشوّهون عطرنا الجميل!»

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *76*

لمَّا سئل عن الطريقة التي مات بها سقراط، أجاب: «بالطريقة التي أودّ أن أموت بها.»

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *76*.

زاره السفسطائيّ بوليكسينوس، ذات يوم، ولمّا رأى النساء اللائي كنّ هناك، والطعام باهظ الثمن، وجّه اللوم إلى أرستيبوس، الذي سأله بعد بضع دقائق: «هل يمكنك أيضاً الانضمام إلينا اليوم؟» فلمَّا ردّ بوليكسينوس بالإيجاب، قال أرستيبوس: «علامَ، إذاً، لمتني؟ على ما يبدو، ما تنتقده ليس المائدة، بل ما كان يجب إنفاقه».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *76* و*77*.

كان يُلقى باللائمة على الرجال الذين يدقّقون ويمعنون النظر عند شراء الأواني الفخاريّة، في الوقت الذي لا يملكون فيه معياراً واحداً يحكمون به على الحياة، فيتعاملون معها بالمصادفة. ينسب بعضهم هذه المقولة إلى ديوجينيس الكلبيّ.

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *78*.

قال أريستبوس لأخيه: «تذكَّر أنَّك أنت أصل الفراق، وأنا أصل المصالحة».

أستوبايوس، المختارات، *4*، *27*، *19*، ***éd. Wachsmuth-Hense***.

في الصباح دفنَّا ميلانيبوس. وعند غروب الشمس انتحرت أخته الصغرى باسيلو. لقد وضعت أخاها على المحكّ، ولم تعد قادرة على تحمُّل الحياة. كانت ضربة مزدوجة من سوء حظّ بيت والدهما أريستبوس، فناح أهل مدينة قورينة كلّها وهم يرون بيت الأطفال الجميلين فارغاً!

كاليماخوس، قصائد ساخرة، *20*، ص. *120*.

لمَّا سئل بمَ كان سقراط مفيداً له، أجاب: «في هذا الأمر وجدت العديد من الخطب تصبّ في مصلحتي، إلى درجة أن انتهى بي الأمر إلى إرضاء كلّ أولئك الذين مارست معهم الفلسفة».

فيلوديمس، حول البلاغة، الحادي والثلاثون، ط ***Sudhaus***.

«هل أنت في كلّ مكان؟» قال أحدهم لأرستيبوس، فأجاب ضاحكاً: «إذا كانت ذي هي الحال، فسوف أخسر ما أدفعه للبحَّار مقابل حقّي في السفر على ظهر السفينة».

بلوتارخُس، الفضيلة هي ثمرة التعليم، ص. *356*.

كان ثمَّة أربعة يحملون اسم أرستيبوس: الأول هو الذي نتحدَّث عنه، والثاني هو الذي كتب عن أركاديا، والثالث هو أرستيبوس الحفيد، ابن ابنته آريتي، الملقّب بـــ ميترودبداكتوس، والرابع من الأكاديميّة الجديدة.

ديوجينيس اللائرتي، *2*، *83*.

2- الغرق، درس في الاستقلال

في يوم من الأيام، شرع أرستيبوس يبحر على متن سفينة، حاملاً معه ثروات كبيرة قدّمها له ديونيسيوس. لكن، لمّا بدأ البحارة في التآمر، ذهب إلى وسط السفينة، وتراجع إلى أحد جوانبها، وأمر بتفريغ محتويات الحاويات على الأرضيّة، كما لو كان ينوي عدَّ النقود، ثمَّ، وهو ينظر حوله باهتمام، ألقى بكلّ شيء في البحر. ثمَّ قال للبحّارة الذين غضبوا: «من الأفضل أن أرمي نقودي بنفسي بدلاً من أن يُلقى بي بسبب أموالي».

غنومولوجيا الفاتيكان *743*, ***39 .n***, ط. ***Sternbach***.

كان أرستيبوس، تلميذ سقراط، توّاقاً دائماً إلى المتعة، ودوداً. يُحكى عنه: بينما كان عبده يحمل نقوداً وقد أثقل الحمل كاهله، صرخ فيـه: «ارمِ الحمـل بعيـداً بعيـداً!» وكان أن حوصر في رحلة بحريَّة بسبب الثروات التي جلبها معه، فألقى بهـا في المـاء، قائلاً: «خسارتها هي خلاصي».

معجم سويداس، ط، ***Adler***.

في أحد الأيَّام، لمَّا كان أرستيبوس في عرض البحر، هبَّت عاصـفة، فشـعر بالرعـب. قال له أحد زملائه البحَّارة: «يا أرسـتيبوس، هـل تشـعر بـالخوف أيضـاً مثـل النـاس العاديين؟» فأجاب: «بالطبع. لكن في حالتك، الرغبـة في البقـاء والخطـر الحـالي عـلى محكّ حياة بائسة، أمَّا في حالتي، فهي حياة سعيدة في موضع تساؤل».

كلوديوس أيليانوس، تاريخ متنوع، *9*، *20*، ط. ***Hercher***.

(ترجمة ***A. Lukinovich*** و***A.-F Morand*** بالنسبة إلى إجابة أرستيبوس).

كان أولوس جيليوس كاتباً لا يقلّ استحساناً بأناقـة أسـلوبه عـن اتّسـاع معرفتـه، يروي في كتابه (ليالي أتيكا) أنّه كان في رحلة في البحر مـع رواقـيّ شـهير، فـدهمتهما عاصفة عنيفة كادت تهدّدهما بـابتلاع سـفينتهما: فامتقعـت ألـوان الفيلسـوف مـن الخوف. وقد لاحظ الركّاب الآخرون هذه الحركة، الذين نظـروا إليـه بـاهتمام، عـلى الرغم من أنّهم على أبواب الموت، ليروا ما إذا كان الفيلسوف سيخاف مثل الآخرين. وما إن مرَّت العاصفة، وشعر الجميع ببعض الطمأنينة، بدأ آسيويّ ثريّ ومثير يسخر مـن الرواقـيّ لأنّـه قـد تغـيّرت ألوانـه، في حـين ظـلّ هـو نفسـه صـامداً. لكـنّ هـذا الفيلسوف ردّه بمثل ما ردّ عليه أرستيبوس، تلميـذ سـقراط، في مثـل هـذه المناسـبة، بأنّه كان محقّاً في عدم القلق بشأن روح فاسق حقير، لكن كان عليه أن يـخشى عـلى روح أرستيبوس.

أوغسطين، مدينة الـلـه، *9*، *4*، ص. *298*.

في أثناء رحلة بحريّة، غرق قارب أرستيبوس، وألقـي بـه عـلى شـواطئ سـيراكيوز. لكنّه اطمأنَّ منذ اللحظة الأولى التي فيها رأى شـكلاً هندسـياً مرسـوماً عـلى الرمـال. لقد فهم على الفور أنّه بين الإغريق والحكماء، وليس بين البرابـرة. ثـمّ، مـا إن وصـل إلى صالة الألعاب الرياضيّة في سيراكيوز، تلا الأسـطر الآتيـة: «مـن سـيرحّب بأوديـب الجوّال ببعض الهدايا الصغيرة؟» فاقترب منه بعضهم، وعرفوا اسمه، فأحضروا له كلّ ما يحتاج إليه. ولأنّ هناك أشخاصاً كانوا قد أوشـكوا أن يغـادروا إلى وطنـه قورينـة، فقد سألوه عمّا إذا كان يريد نقل أيّ رسالة، فقال لهم أن يحثّوا مواطنيه على حمـل أكبر قدر ممكن من الأمتعة بقدر ما يمكنهم للنجاة سباحة في حال غرق السفينة.

جالينوس، الإرشادات، *5*، ط. ***Kaibel***.

حثَّ أرستيبوس الشبّان على حمل أكبر عـدد ممكـن مـن المـؤن في السـفر، التـي يمكن أن تنقذهم سباحة في حالة غرق السفينة.

يوحنا الدمشقي، *2*، *13*، *138*،ط. ***Maineke***.

تحطّمت السفينة التي تقـلّ أرسـتيبوس، فيلسـوف قورينـة، في أثنـاء إبحـاره إلى أثينا. ولمّا سأله الأثينيّون، بعد أن أُنقذ، عمّا سـيقوله لمواطنيـه عنـد عودتـه، أجـاب: «ليأخذوا قدراً من المؤن التي لا تعوقهم عند السباحة في حالة غرق السفينة».

غنومولوجيا الفاتيكان، *743*، ع. *23*،ط. ***Sternbach***.

كان أرستيبوس في رحلة على متن قارب عنـدما هبَّـت عاصـفة. كـان خائفـاً جـداً، فقال له أحد الركَّاب: «عزيزي أرستيبوس، هل تشعر بالخوف أيضاً، مثل كلّ النـاس؟ فأجابه: «بالطبع. في الواقع، في حالتك، الرغبة في البقـاء والخطـر الحـاليّ عـلى محـكّ حياة بائسة، أمَّا في حالتي فهي حياة سعيدة في موضع تساؤل».

كلوديوس أيليانوس، تاريخ متنوع، السابع، ص. *97*.

في أحد الأيّام، لمّا كان يعبر في اتجاه مدينة كورينثوس، تعرَّض لعاصفة عاتية، فانتابه شعور بالخوف. فقال له أحدهم: «نحن عامّة الناس لا نخاف، أمّا أنتم أيّها الفلاسفة فتموتون خوفاً!» فأجابه: «حقّاً، لأنّ الروح ليست من روح نوعك نفسه، لذلك نحن نشعر بالقلق».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، ص *71*.

3- إزالة الالتباس عن الأبوَّة

كان يعلّم ابنته آريتي وفاقاً لأفضل المبادئ، ويدرّبها على احتقار ما لا لزوم له.

ديوجينيس اللائرتي الثاني، *72*.

عن أرستيبوس. قال [أرستيبوس] لزوجته، التي عاتبته على عدم اقترابه من ابنه، الذي خرج عن طوره، بصق [أرستيبوس] وقال: «هذا البصاق خرج منّي أيضاً، ومع ذلك فهو لا يفيدني».

أستوبايوس، المختارات، *4*، *24*، *30*، ط. ***Wachsmuth-Hense***

كان أرستيبوس قد طرد أحد أبنائه الفاسدين. بينما كانت زوجته تلومه، ولم تترك أيّ فرصة لتذكيره بأنّ هذا الشخص أيضاً قد خرج منه، بصق أرستيبوس وقال: «هذا أيضاً خرج منّي، لكنّني أطرده، لأنّه يؤذيني».

الحكايات اليونانية، ص. *467*، ط. ***Boissonade***.

كان أحدهم يتَّهمه بأنّه يرفض ابنه بازدراء، كأنّه ليس ابنه. أجاب: «البلغم والقمل أيضاً، نعلم أنّهما يخرجان منّا، لكن نظراً لعدم جدواهما، فإنّنا نلقي بهما بعيداً قدر الإمكان».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *81*.

4- المعاصر المتورِّط

وصل ديوجينيس الكلبيّ، الذي نُفي من وطنه عندما لم يكن مختلفاً بعد عن الآخرين، إلى أثينا حيث كان في اتصال بأصدقاء سقراط: أفلاطون، أرستيبوس، أيشينيس، أنتيستينيس، وإقليدس الميغاري. كان زينوفون غائباً بسبب رحلة قورش الكبير الاستكشافيَّة.

ديو كريسوستوم، الخطابات البيثينية، الثامن، *1*

زينوفون لأصدقاء سقراط. (...) مكث أرستيبوس هنا، وقبله فايدو، وكلاهما أحبّ هذا المكان، وكذلك المنازل والنباتات التي زرعتها بيديّ... وكنت أيضاً قد كتبت مذكّرات عن سقراط. سأرسلها إليكم ما إن تبدو أنّها تستحقّ القراءة. وجدها أرستيبوس وفايدو ممتعة للغاية.

الرسائل السقراطية، الثامن عشر، ط. ***Köhler***.

كان هناك في تلك الأيام أناس يستحقّون التذكّر من خلال تعليمهم: الخطيب إيسوقراط وجميع تلامذته، الفيلسوف أرسطو، أناكسيمينيس من لامبساك، أفلاطون الأثينيّ، وآخر فلاسفة فيثاغورس، زينوفون، كاتب القصص، وكان بالفعل في شيخوخته القصوى: في الواقع، إنَّه يروي نهاية إبامينونداس [القائد الإغريقيّ]، التي حدثت قبل ذلك بقليل، وأرستيبوس وأنتيسِتنيس، وكذلك إيشينس من بلدة سفيتيوس، الفيلسوف السقراطيّ.

ثيودوروس الصقليّ، المكتبة التاريخيَّة، الخامس عشر، *76*، *4*، ط. ***Vogel***.

حدث شجار حام بين أرستيبوس وإيسخينيس، فسأله أحدهم، من الذين شهدوا ذلك عن مصير صداقتهما، فأجاب أرستيبوس: «إنّها نائمة، لكنّني سأوقظها». فذهب إلى إيسخينيس وقال له:

«هل تظنّ أنّني نحس بالولادة وغير قابل للإصلاح، إلى درجة أنّني لا أستحقّ حتّى ملامتك؟» - فقال له إيسخينيس: «لم أُفاجأ بذلك، «فأنت متفوّق عليّ في كلّ شيء، وكنت أول من رأى في هذه المناسبة ما كان يجب فعله».

بلوتارخ، وسائل قمع الغضب، ص. *406*.

لمّا كان أرستيبوس غاضباً على إيسخينيس، قال له بعد ذلك بفترة وجيزة: «ألا نتصالح ونتوقّف عن الكلام عن الهراء؟ هل ستنتظر حتّى يصالحنا أحد على طاس من الخمرة؟» فقال إيسخينيس: «أنا سعيد لأنّنا تصالحنا». قال أرستيبوس: «تذكّر إذاً، لقد اتّخذت الخطوات الأولى، على الرغم من أنّني رجل عجوز». فقال له إيسخينيس: «وحقّ هيرا، ما قلته عين العقل! لأنّ مبادرتك أفضل بكثير من مبادرتى: بالنسبة إليّ أنا من يقرّر الحرب، وأنت من يصنع السلام.» هذه الكلمات منسوبة إليه.

ديوجينيس اللائرتي، *2*، *82*، *83*.

لمّا جاء إيسخينيس، بسبب فقره، إلى بلاط ديونيسيوس، نظر أفلاطون إليه بازدراء، لكنّ أرستيبوس دعم إيسخينيس.

ديوجينيس اللائرتي، الثالث، *36*.

في الاتحاد. أن نتّحد ونصبح أصدقاء ونعيش الحياة نفسها. لمّا وجد نفسه (إيسخينيس) في مأزق ساعده أرستيبوس ورفضه أفلاطون.

معجم سويداس, ط.، ***Adler***.

بعد أن التقى أرستيبوس إيسكوماخوس في الألعاب الأولمبيّة، سأله كيف تمكّن سقراط من كسب الشبّان إلى صفّه، فأعطاه إيسكوماخوس أول بذرة من مبادئ هذا الفيلسوف، التي صدمت أرستيبوس بقوّة، إلى درجة أنّه أصبح

شاحباً ومهزوماً، حتّى قاده أخيراً التوق الشديد الذي كان ينهشه إلى أثينا. ذهب ليروي عطشه من المصدر عينه، ويستمدّ من خطابات سقراط ثوابت تلك الفلسفة التي كانت تعلّم المرء كيف يعرف عيوبه ويصحّحها.

بلوتارخ، في الفضول، ص. *529-530*.

ألم يتحدَّث سقراط عن الاعتدال عندما أقنع أرستيبوس بالتوقّف عن أن يكون عبداً لمعدته؟

ليبانيوس، دفاع سقراط، *150*، ط. ***Foerster***.

أو كما ردّ أرستيبوس على أفلاطون، الذي، في رأيه، كان يتحدّث إليه بنبرة متغطرسة للغاية: «لا شكّ، لكن رفيقنا (كان يقصد سقراط) لم يتحدّث إلينا بهذه الطريقة».

أرسطو، البلاغة، *2*، ص. *180*.

5- تغيُّب عن محاكمة سقراط

يكون الكلام صادقاً عندما يفي بهذين المعيارين: اللباقة والأدلّة. الملاءمة. في سبيل المثال، عندما يريد أفلاطون تجريم أرستيبوس وكليومبروتوس اللذين لم يفكّرا في أَجَانِيطَس إلّا في جشعهما عندما كان سقراط في السجن في أثينا. لم يفعلا شيئاً لتحرير صديقهما ومعلّمهما، على الرغم من أنّهما كانا على بعد مئتي مرحلة من أثينا تقريباً. لم يقل [أفلاطون] كلّ هذه الأمور على نحو مباشر (الخطاب نفسه هو من يفي بدور اللوم)، لكن وفاقاً لمعيار اللياقة، وبالطريقة الآتية: لمّا سئل فايدو، من هم الأشخاص الحاضرون لدى سقراط، وبعد أن قدّم هذا الأخير القائمة، سُئل مرّة أخرى عمّا إذا كان أرستيبوس وكليومبروتوس هناك أيضاً. أجاب فايدو: «كلّا، لقد كانا في إيجينا. كلّ ما

قلناه سابقاً مشمول في هذا الاقتراح: «كانا في إيجينا». بهذه الطريقة يبدو الخطاب أكثر جديّة، لأنّ الحقيقة نفسها هي التي تظهر خطورتها، وليس المتحدّث. على الرغم من أنّه كان من الممكن توبيخ أرستيبوس من دون أيّ مخاطرة، إلّا أنّ أفلاطون فضّل لومه على نحو غير مباشر.

ديمتريوس، حول الأسلوب، *287*، ط. ***Radermacher***.

[يتقدّم] أفلاطون بالطريقة عينها عندما يريد تجريم أرستيبوس وكليومبروتوس، اللذين كانا يقيمان مأدبة في إيجينا، في حين كان سقراط في السجن حقّاً في أثينا لأيّام عدّة. لم يفعلا شيئاً لإطلاق سراح صديقهما ومعلّمهما، على الرغم من أنّهما لم يكونا بعيدين عن المكان. لكن، كلّ هذه الأشياء لم تُقَل علانية، بل قيلت على نحو مجازيّ بكلمات مستترة. لأنّه لمَّا سُئل فايدو مَن كان حاضراً مع سقراط، فبعد أن قدَّم الأخير القائمة، سئل مرّة أخرى عمّا إذا كان أرستيبوس وكليومبروتوس هناك أيضاً. أجاب فايدو: «كلّا، لأنهما كانا في إيجينا. بهذه الكلمات القليلة، صبَّ [أفلاطون] جام لومه كلّه، بسبب عدم المساعدة في إطلاق سراح صديقهما، ولأنّهما انغمسا في الشراهة. وهكذا، يبدو الكلام أكثر جدية من الحقيقة، إذ ليس المتحدّث هو من يظهر فداحة الحقيقة، بل الحقيقة نفسها.

غريغوريوس كورنثوس، إلى هيرموجينيس، الثامن،ط. ***Walz, Rhetor***، غريغوريوس. السابع، *2*، ص. *1179*.

من إيسخينيس إلى زينوفون. كنت بين أصدقائه عند وفاته [وفاة سقراط]: أنا، تربسيون، أبولودوروس، فايدو، أنتيسِتنيس، هيرموجينيس وستيسيبوس. وصل أفلاطون وكليومبروتوس وأرستيبوس بعد فوات الأوان. كان أفلاطون مريضاً، في حين كان الاثنان الآخران في مكان ما في إيجينا.

رسائل سقراطية، الرابع عشر، ط. ***Köhler***.

«أشـ: لكن ماذا؟ هل كان معه أرستيبوس وكليومبروتوس؟

- فا: مُطْلَقاً! في الواقع، قيل إنّهما في إيجينا».

أفلاطون، فايدو، *59* ج، ص. *767*.

أظهر أفلاطون عداءً تجاه أرستيبوس (...). في أيّ حال، في حواره حول الروح، تحدّث عنه بالسوء، مشيراً إلى أنّه لم يكن حاضراً عند وفاة سقراط، بل كان في إيجينا، وهذا يعني أنّه في مكان قريب جداً.

ديوجينيس اللائرتي، الثالث *36*.

6- العَزَبُ العاشق

لمَّا سُئل عن رأيه في الزواج، أجاب [أرستيبوس]: «إذا كانت الزوجة جميلة، فستشاركها مع آخرين. أمَّا إذا كانت قبيحة، فأنت سوف تعاني.»

غنومولوجيا الفاتيكان، *743*، ن. *2*، ط. ***Sternbach***.

لمَّا سُئل عمّا إذا كان من المفيد الزواج، أجاب الفيلسوف القوريني أرستيبوس: «لا، لأنّ المرأة إذا كانت جميلة فستشاركها مع الآخرين، وإذا كانت بلا قيمة، فسوف تعاني».

أنطون، ميليس.، الثاني، *34*، ط. ***Migne*، *PG CXXXVI*، *coll. 1092***.

رأى أرستيبوس ذات مرّة امرأة ذات قامة قصيرة، لكنّها جميلة جداً، فقال: «القبح ضئيل لكنّ الجمال عظيم». [ويقول آخرون: «الجمال ضئيل، لكنّ العظيم هو القبح.»]

أنطون، ميليس، الثاني، *33*، ص. *1088*،ط. ***Migne*، *PG CXXXVI***

لذلك، كان أرستيبوس قد اشترى عدداً من بائعات الهوى بسعر مرتفع للغاية.

يوحنا فم الذهب، المواعظ، *34*، ط. ***Migne*، *P.G. LVII*، *Coll. 392***.

في أحد الأيّام، بينما كان يدخل منزل إحدى المحظيّات، بدأ أحد الشبّان المرافقين له يحمرّ خجلاً، لذلك قال أرستيبوس: «ما هو خطأ ليس عدم الدخول، لكن عدم القدرة على الخروج».

ديوجينيس اللائرتي الثاني، *69*.

لمَّا قالت له إحدى المحظيّات: «أنا حامل منك»، قال: «ليس في وسعك أن تكوني واثقة بذلك إلّا بمقدار ما كنت تدّعينه وأنت تسيرين في حقل زاخر بنبات الأسل، من أنكِ قد أصبت بوخزة شوكة بعينها من أشواكه».

ديوجينيس اللائرتي، *2*، *74*.

الثلاثة؛ أرستيبوس، ديموسثينيس أستاذ البلاغة، وديوجينيس الكلبيّ، كانوا في علاقة حبّ مع لايس.

أثينايوس، الثالث عشر، *588*، ط. ***Kaibel***..

كان أرستيبوس ولايس يمضيان شهرين في إيجينا من كلّ عام، إبَّان أعياد بوسيدون. ولمَّا عاتبه خادمه بقوله: «أنت تعطي الكثير من المال لهذه المرأة، في حين هي تنام مجاناً مع ديوجينيس الكلبيّ!»، أجاب: «أعطي الكثير من المال إلى لايس لأشعر أنا بالذات بالمتعة، وليس لمنع الآخرين من الحصول عليها». ولمّا قال له ديوجينيس: «يا أرستيبوس، أنت تعيش مع امرأة مشاعة! لذلك، إمّا أن تصبح كلبياً مثلي وإمَّا أن تضع حدّاً لهذا الموقف!» فأجابه: «ما الشيء غير العاديّ، يا ديوجينيسن، في العيش في منزل كان يسكنه آخرون من قبل؟»

- لا شيء!

- أو في الحقيقة، الإبحار على متن قارب سبق أن أبحر به آخرون؟

- لا شيء!

- حسناً، إنّه مثل العيش مع امرأة استفاد منها كثيرون قبلك.

أثينايوس، الثالث عشر، *588*، ط. ***Kaibel***.

كـان أرسـتيبوس القـورينيّ، وهـو يسـمع الملامـة بسـبب علاقتـه مـع عشـيقته الكورنثية، قد قال: «أنا أمتلك لايس، لكنّها لا تمتلكني».

ثيودوريطس كيرو، علاجات الأمراض الهيلينية، المجلد الثاني، ج الثاني عشر، *50*، ص. *434*

كانت رغبة رهيبة تجذب رجل قورينة إلى البرزخ، لأنّ أرستيبوس المـتحمّس كـان يعشق لايس، امرأة مـن البيلوبـونيز. لـذلك هـرب متخليـاً عـن جميـع الاجتماعـات العامّة.

هيرميسيان. الثالث، *95*، ط. ***Powell***.

كان أرستيبوس، سيّد القورينيين، في علاقة مع لايس بائعة الهوى الشهيرة. سوَّغ هـذا المعلّم الفلسفيّ الجـديد بـالاحترام هـذه الفضـيحة بـالقول إنّ هنـاك فرقـاً كبـيراً بينـه وبين عشّاق لايس الآخرين، لأنّه كان يمتلك لايس، في حين كانت هي تمتلك الآخرين. يا لها من حكمة رائعة يجب أن يتبعها الطيّبون! هل تأمن على أطفالك مـن تعلـيم هـذا الفرد، ليتعلّموا امتلاك عشيقة؟ كان يقول إنّه كان شيئاً، والآخرون الذين دمّروا أنفسهم كانوا شيئاً آخر، وعلى وجه التحديد لأنّهـم فقـدوا كـلّ ممتلكـاتهم، أمّـا هـو فقـد كـان منغمساً في الفجور مجّاناً. ومع ذلك، في هذه الشـأن، تبـيّن أنّ الأكـثر ذكـاءً هـي بائعـة الهوى، التي كان لها الفيلسـوف قـوّاداً، فكـان الشـبان يهرعـون إليهـا بـلا خجـل وهـم يسـخرون مـن كـلّ سـلطة، عـلى غـرار «المعلّـم». مـا الجـدوى مـن أيّ روح إذا كـان الفيلسوف يتردّد على بائعة الهوى سيّئة السمعة، طالما أنّه كان في نظر الناس ومنافسيه أسوأ من كلّ أولئك الذين كانوا يدمّرون أنفسهم هناك؟ وهو لم يكتـفِ بـالعيش بهـذه

الطريقة، بل بدأ بتعليم التجاوزات، وجلب إلى المدرسة عاداته من بيوت الدعارة، مؤكّداً أنّ متعة الجسد هي الخير الأسمى. هذه العقيدة المقيتة والمخزية لم تأتِ من رأس فيلسوف، بل من حضن عاهرة.

لاكتانتيوس، القواعد الربانية الأساسية، الثالث، *15*، *15*، ط. ***Brandt***.

إلى بيتوس: صديق أرستيبوس، الذي كان يلام لأنّه كان يتردّد على لايس، تجرّأ في الردّ على المجتمع: «أنا أمتلكها، لكنّها لا تمتلكني.» الكلمة أفضل باليونانية.

شيشيرون، الرسائل، ***IX***، ***26***، ***2***، ترقيم جديد: رقم *482*، ص. *437*.

أرستيبوس القورينيّ (...)، لمّا كان يُلام بسبب تردّده المستمرّ على عشيقته الكورنثيّة، كان يقول: «أنا أملك لايس، لكن من دون أن تملكني».

إكليمندس الإسكندري، ***II***، ***XX***، ***118***، ***2***، ص. *123*.

إنَّ حبَّ أحد الجنسين للآخر، حتّى لو حقّق قدراً أكبر من الفوز بالسعادة، فإنَّ هذا الحبّ يقتصر على ملذات الحواس. ويتضح ذلك من خلال ردّ أرستيبوس على الرجل الذي أخبره، لإثارة اشمئزازه من المحظية لايس، أنّها لا تحبّه: لا أعتقد أنّني أكنُّ للسمك والنبيذ أيّ حبّ أيضاً، ومع ذلك فإنّني أشعر بالمتعة بهذا وذاك.

بلوتارخ، في الحب، ص. *499*.

كان يتردّد أيضاً على المحظية لايس، فكان يقول لأولئك الذين كانوا يلومونه على هذا: «أنا أمتلك لايس، لكنّها لا تمتلكني. لأنّ إتقان الملذات هو ألّا تدع النفس خاضعة لها، وهذه هي ذروة الفضيلة، وليس بالامتناع عنها.»

هيسيشياست، الرجال اللامعون، *4*،ط.(***Müller*** (***F.G.H. IV, 156***).

يقول أرستيبوس عن لايس: «أنا أمتلكها، لكنّني لست مملوكاً لها».

أثينايوس، ***XII*، *544 b*، ط. *Kaibel***.

وقال لمن كان يعاتبه على العيش مع محظيّة: «هل يوجد فرق بين أن تسكن في بيت سبق أن سكنه كثيرون، وبيت لم يسكنه أحد؟» أجاب الآخر بالنفي. «ما بين الإبحار على متن قارب سبق أن أقلَّ على متنه آلاف الركّاب، وبين الإبحار على متن قارب لم يقلَّ أيَّ راكب؟» - لا يوجد فرق مطلقاً.

- «حسناً، لا يوجد فرق أيضاً بين النوم مع امرأة كان يتردّد عليها كثير من الرجال، والنوم مع أخرى لم يتردَّد عليها أيّ رجل».

ديوجينيس اللائرتي، ***74،II***.

حتَّى إنَّه كان يتردَّد على المحظية لايس، هذا ما قاله سوتيون في الكتاب الثاني من (تعاقب الفلاسفة). وقال لأولئك الذين يتعرَّضون له باللوم على ذلك: «أنا أملك لايس، لكنّني لست مملوكاً لها، لأنَّ إتقان الملذّات وعدم الخضوع لها هو ذروة الفضيلة، وليس بالامتناع عنها.»

ديوجينيس اللائرتي الثاني، *74* و*75*.

7- المكافآت العلاجيّة

كان يقول إنّه يطلب المال من تلامذته ليس كي ينفقه هو بالذات، لكن لأجل أن يتعلَّموا كيف يكون المال مفيداً. وكان يردّ على أولئك الذين عاتبوه على تلقّي المال، وهو تلميذ سقراط: «هذا صحيح. لمّا كان يبعث له الناس طعاماً وشراباً، يتناول القليل منه، ويرسل الباقي. [لكن أنا لديّ] أوتيكيديس، الذي اشتريته».

هيسيشياست، الرجال اللامعون، *4*، ط. ***156* *F.G.H. IV,* (*Müller*)**.

كان أرستيبوس يقول إنّه يتلقّى أجراً من تلامذته ليس لزيادة مستوى معيشته، لكن حتّى يتعلّموا إنفاق أموالهم على أشياء مفيدة.

غنومولوجيا الفاتيكان، *743*، ن. *24*، ط. ***Sternbach***.

قال إنّه إذا كان يحصل على أموال من تلامذته، فلم يكن لينفقها على نفسه، لكن كي يعرفوا كيف ينفقون من أموالهم عليه.

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *72*.

اعتاد الرجل نفسه القول: «يجب أن يحصل المعلّمون على أجور عالية من كلّ من التلاميذ الأكفاء، لأنّهم يتعلّمون الكثير، ومن التلاميذ العاجزين، لأنّهم يسبّبون الكثير من التعب».

يوحنا الدمشقي، الثاني، *13*، *145*، ط. ***Maineke***.

على العكس من ذلك، كان سقراط معروفاً بأنّه كان صديقاً للشعب، وفاعل خير. على الرّغم من أنّه كان لديه حشد من التلاميذ المتحمّسين، من الأثينيين والأجانب، إلّا أنّه لم يطلب قطّ أيّ أجر مقابل محادثاته، لأنّه كان يوصل معروفه إلى الجميع من دون تحفُّظ. وكثيرون ممّن تلقّوا منه القليل من قصاصات المعرفة مجاناً باعوها بثمن باهظ للآخرين، ولم يكونوا مثله أصدقاء للشعب، لأنّهم رفضوا التحدّث إلى أولئك الذين لا يستطيعون الدفع لهم.

كسينوفون، الخالدون، الأول، *60*، الثاني، ص. *299*.

كان أرستيبوس من مواطني قورينة، لكنّه أتى إلى أثينا بعد أن جذبته شهرة سقراط، كما يقول إيسخينيس. وفي أثناء مسيرته في المدرسة بصفته سفسطائياً، كان الأول بين السقراطيين، كما يقول فانياس، الفيلسوف المتجوّل من أيريس، مَن طالب براتب، وقام بإرسال المال إلى معلّمه. وذات يوم، لمّا أرسل إليه

عشرين منّناً، أعيدت إليه، بعد أن أعلن سقراط أنّ شيطانه لن يسمح له بالقبول، لأنّه لم تكن تعجبه هذه الطريقة في التصرّف.

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *65*.

ردَّ على أولئك الذين اتّهموه بتلقّي المال، (من طلّابه)، وهو تلميذ سقراط: «هذا صحيح. إنّ سقراط، لمّا كان الناس يرسلون إليه طعاماً وشراباً، يأخذ القليل ويعيد الباقي. كان ذلك لأنّ لديه أوائل الأثينيين الذين يضمنون إمداده، في حين لم يكن لديّ سوى أوتيكيديس، العبد الذي اشتريته!»

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *74*.

لمّا كان يجني المال عن طريق التدريس، قال له سقراط: «من أين حصلت على كلّ هذه الأموال؟» أجاب أرستيبوس: «من حيث ليس لديك سوى القليل».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *80*.

8- آليّات المال

إلى أفلاطون، الذي عاتبه على أسلوب حياته المفرط، قال: «هل تعتقد أنّ ديونيسيوس إنسان طيّب؟» لمّا أومأ أفلاطون برأسه علامة الموافقة، قال: «ومع ذلك، فهو يعيش أسلوب حياة أكثر سخاءً منّي. لذلك، لا يوجد سبب يمنعك من أن تعيش حياة راقية، وأن تكون رجلاً صالحاً».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *76*.

قال [أرستيبوس] لشخص اتّهم فلاناً بأنّه نسي إعادة المبلغ الذي أقرضه إيّاه: «وأنت، لماذا لا تتَّهم نفسك أيضاً باختيار الشخص الخطأ الذي كنت تريد إقراضه المال؟»

غنومولوجيا الفاتيكان، *743*، ع. *31*، ط. ***Sternbach***.

وفاقاً لهوراس، يبدو أنَّ أرستيبوس أيضاً أحمق، لأنّه تخلَّص من الأموال التي كـان مع ذلك في حاجة إليها.

بورفيريون، تعليق على هجاء هوراس، *2، 3، 100*، ط. ***Holder***.

يحكى أنَّ أرستيبوس، وهو يونانيّ من قورينة، أمـر عبيـده برمـي أيّ شيء لا لـزوم له، لأنّهم كانوا يجدون صعوبة في المشي عندما كانوا محمّلين بالذهب الـذي أعطـاه إيّاه الملك.

بورفيريون، تعليق على هجاء هوراس، *2، 3، 100*، ط. ***Keller***.

أرستيبوس، عن كميّة الثروة. يجب البحث عن الثروات بطريقة لا تزيـد ولا تقـلّ أهميّة عن حاجة اللحظة.

غنومولوجيا الرهبنة اللاتينية، الأول، *21* (***Caecil. Balb. Wölffing***.، ص.*27*)

الثروة تنتج المتعة، لكنَّها ليست مرغوبة في حدِّ ذاتها.

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *92*.

عن أرستيبوس. الأحذية الكبيرة جدّاً غير مجدية. ليس الأمر نفسه مـع الـثروة. في الواقع، أمَّا في حالة الأحذية فـما هـو زائـد يعوقنـا في المشي، وفي حالـة الـثروة يمكـن استخدام الفائض، كلياً أو جزئياً، في الوقت المناسب.

أستوبايوس، المختارات، الرابع، *31، 128*، ط. ***Wachsmuth-Hense***.

عن أرستيبوس. من الأفضـل أن تعـيش عـلى حصـير، وأن تكـون في سـلام مـن أن تكون ثرياً وتحيط بك الهموم.

الحكايات اليونانية، أنا، ص. *36*، ط. ***Boissonade***.

كان أرستيبوس يقول، إنّنا يجب أن نتعوّد العيش على القليل جدّاً، حتّى لا ينتهي بنا المطاف إلى أن نرتكب أشياء مخزية بسبب الثروة.

غنومولوجيا الفاتيكان، *743*، ع *29*، ط. ***Sternbach***.

ما الذي يشترك فيه سلوك هذا الرجل مع سلوك اليونانيّ أرستيبوس؟ لقد أمر أرستيبوس، وسط ليبيا، عبيده بالتخلّص من الذهب الذي كانوا يحملونه لأنّهم، وهم مثقلون بهذا العبء، كانوا يسيرون ببطء شديد.

هوراس، الهجائيات، الثاني، ص. *158*.

في أحد الأيّام، لمّا تعرَّض لانتقادات بسبب دفعه أجراً لخطيب في دعوى قضائيّة، قال: «عندما تكون لديّ وجبة معدّة للطبخ، أدفع جيداً للطبّاخ!»

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *72*.

قال للرجل الذي عاتبه لأجل مائدته باهظة التكلفة: «وأنت، أليس في وسعك أن تشتري كلّ هذا بثلاثة أوبولس؟» لمّا أجاب الآخر بأنّه سيفعل ذلك، قال: «إذاً، ليس الأمر أنّني أحبّ المتعة، لكن الأمر هو أنّك تحبّ المال».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *75*.

بينما كان خادمه، في رحلة، يحمل نقوداً وقد أثقلت كاهله، كما يقول بيون في خطبه، صرخ فيه أرستيبوس: «اترك الفائض واحمل فقط ما يمكنك حمله».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *77*.

في أحد الأيّام، لمّا كان في البحر، عندما أدرك أنّ السفينة التي تقترب كانت سفينة قراصنة، أخذ ذهبه وأحصاه، ثمّ، كما لو كان يفعل ذلك عن قصد، ألقى به إلى البحر، وأخذ ينتحب على الفور. وفاقاً لما ذكره آخرون، أضاف أنّه كان

من الأفضل أن يـرى هـذه الأمـوال تختفـي بفعـل أرسـتيبوس بـدلاً مـن أن يختفـي أرستيبوس بسبب هذه الأموال.

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، 77

9- الموضوعات الفلسفيَّة

يقول ثيوبومبوس، من جزيـرة خيـوس، في مؤلّفـه حـول حـوارات أفلاطـون، إنَّـه «وفاقاً للبعض، فإنّ العديد من هذه الحـوارات سـيكون عـديم الجـدوى ومغلوطـاً: العديد منها قد دبَّجه مؤلّفون آخـرون: بعضـها مقتـبس مـن محـاورات أرسـتيبوس، وبعضها الآخر من حوارات أنتيسِتنيس، وجزء كبير مـن تلـك الخاصّـة ببريسـون مـن هيراكليوتيس».

أثينايوس، ***XI***، ***508 c***، ط. ***Kaibel***.

وبعد ذلك: «بعض الكتابات التي تحدّثت إلـيكم عنهـا تـأتي مـن الخـارج، وهـي مشكوك فيها، لكـن يمكننـا التأكّـد مـن أقـراطس وخطابـات أرسـتيبوس في حـوارات أفلاطون وتحليلات أرسطو وبعض الأطروحات المماثلة عن الطبيعة، التـي عمـدنا إلى إزالتها».

فيلوديموس، بشأن السفسطائيين.

أُرسلت ثلاثة كتب عن تاريخ ليبيا إلى ديونيسيوس، وكتاب واحـد يحـوي خمسـة وعشرين حـواراً، بعضـها مكتـوب بلهجـة أتيكـا، وبعضـها الآخـر بلغـة الدوريسـيين، مقتبسة من الفيلسوف القوريني، وهي:

أرتابازوس،

إلى الغرقى، الذين تحطَّمت سفنهم،

إلى المنفيين،

إلى المتسوّل،

إلى لايس،

إلى بوروس،

إلى لايس، حول المرآة،

هرميس [رسول الأرباب]

حلم،

إلى القائم على أمر مجلس الشراب،

فيلوميلوس،

إلى الخلّان والأصدقاء،

إلى من يلومه على امتلاك الخمرة المعتقة والمحظيات،

إلى من يوبّخه على ترف مائدته،

رسالة إلى ابنته آريتي،

إلى من كان يتدرَّب للاشتراك في الأولمب،

استفهام،

استفهام آخر،

قول مأثور موجّه إلى ديونيسيوس،

قول مأثور آخر عن نصب،

قول مأثور آخر عن ابنة ديونيسيوس،

إلى من كان يظنّ نفسه مهاناً،

إلى من حاول أن يكون ناصحاً.

يقـول الـبعض إنّـه كتـب أيضـاً سـتّة كتـب لاذعـة، ويقـول آخـرون، بمـن فـيهم سوسكراتس من رودس، إنّه لم يكتب شيئاً على الإطلاق.

ووفاقاً لسوتيون، في كتابه الثاني، ووفاقاً لبانيتيوس، فإنّ أعماله هي كما يلي:

في التعليم،

حول الفضيلة،

نصيحة أرسطو في الفلسفة،

أرتابازوس،

حطام السفن الغارقة

المنفيون،

ستّة كتب في النقد اللاذع،

ثلاثة كتب في الأقوال المأثورة،

إلى لايس،

إلى بوروس،

إلى سقراط،

حول الحظّ.

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *84-85*.

شذرات نظريَّة

1- نظريَّة المعرفة

أ- إثارة مشاعر العواطف الذاتيَّة

الآن، بعد أن انتهيت من تقديم تاريخ الأكاديمية منذ أفلاطون، ليس من المناسب فحص موقف القورينيين أيضاً، لأنّ مدرستهم، على ما يبدو، تنحدر أيضاً من تعليم سقراط، الذي ينحدر أيضاً من مدرسة أفلاطون وخلفائه. يؤكّد القورينيون أنَّ معيار الحقيقة الوحيد هو العواطف. هذه المعايير مفهومة ولا تشوبها شائبة، في حين أنّ أسبابها ليست في أيّ حال من الأحوال مفهومة أو مُنَزَّهة عَنِ الخَطَأِ. في الواقع، عندما نشعر بالبياض والرقة، لا يمكننا أن نقول ذلك بطريقة مشكوك فيها أو يمكن دحضها. من ناحية أخرى، إذا كان ما ينتج عن هذه المشاعر ما هو أبيض أو رقيق، فمن المستحيل تأكيده، إذ من المحتمل أن يكون لدى شخص ما إحساس بالبياض ليس نتاجاً لما هو أبيض، أو إحساس بالرقة ليس نتاجاً لما هو رقيق. وبالطريقة عينها، فإنّ من يعاني الدوار أو اليرقان يكون منزعجاً من لا شيء، ومن يعاني من عينيه يرى اللون الأحمر. ومن يغمض عيناً واحدة تحفّزه صورتان: يرى «طيبة اثنتين»، ويتخيّل الشمس شمسين. في الحقيقة، في كلّ هذه الحالات، إنّهم يعانون مثل هذه الأحاسيس، إنّهم أصبحوا يفتقرون إلى التألق والذكاء، وإنّهم يرون اللون الأحمر أو ما هو مزدوج، كأمر حقيقيّ بلا شكّ. فمن ناحية، إنّ حقيقة أنّ الشيء الذي يسبّب لهم هذا الإحساس هو اللون الأصفر نفسه أو الأحمر، أو يكون مزدوجاً، يعدُّ خطأً، إذ إنّ ذلك يقودنا إلى الاعتقاد بأنّنا لا نستطيع فهم أيّ شيء بعيداً عن

عواطفنا. لذلك، يجب أن نثبت ما إذا كانت العواطف نفسها أو أسباب هذه المشاعر تكون مرئيّة. إذا أكّدنا أنّ العواطف مرئية، يجب أن نقول إنّ كلّ الأشياء المرئية حقيقية ومفهومة. من ناحية أخرى، إذا أعلنّا أنّ أسباب العواطف مرئية، فكلّ الأشياء المرئية خطأ وغير مفهومة، لأنّ العاطفة التي تثير مشاعرنا لا تسمح لنا بمعرفة أيّ شيء يتجاوزها. لهذا السبب، في الحقيقة، لا نرى إلّا العاطفة. أمّا ما هو خارجيّ، أي ما هو سبب العاطفة، فربّما يكون موجوداً، لكنّه غير مرئيّ لنا. لهذا السبب، نحن جميعاً معصومون من الخطأ بشأن عواطفنا، لكننا مخطئون بشأن ما يكمن وراء أنفسنا. إنّ العواطف يمكن أن تكون مستوعبة، وما هو بعيد عنها لا يمكن استيعابه، فالروح أضعف من أن تعرفها، في ظلّ الظروف والمسافات والحركات والتغيّرات وجميع الأسباب الأخرى. يقولون، تالياً، إنّه لا يوجد معيار مشترك بين الناس، لكنّنا نعطي أسماء مشتركة للتفسيرات، لأنّ الناس يسمّون شيئاً واحداً مشتركاً «أبيض» أو «حلواً»، لكنّهم لا يرون أيّ شيء مشترك بين الـ «أبيض» أو الـ «حلو». لأنَّ كلَّ شخص يدرك عواطفه الخاصّة، لكن إذا كانت هذه العاطفة ناتجة عن شيء أبيض في نفسه، وفي جاره، فلا يمكن هو بالذات أن يؤكّد ذلك من دون أن يكون قد اختبر عاطفة جاره، ولا الجار من دون أن يختبر عاطفته. لذلك، نظراً لعدم وجود عاطفة مشتركة، فمن المجازفة القول إنّني متأثر بهذه، وجاري بتلك، لأنّني، ربّما، كان تكويني بطريقة تجعلني أشعر بحساسية خاصّة تجاه البياض الذي يأتي من الخارج، في حين أنّ جاري يمكن أن تكون لديه حساسية مختلفة تماماً، ويشعر بالأشياء بطريقة مختلفة. لذا، هذا ما يبدو لنا أنَّه ليس مشتركاً بيننا. حقيقةً، إنَّنا لا نتأثّر جميعاً بالطريقة عينها، لكن وفاقاً لحساسية كلّ منّا، يصبح من الواضح في حالة الأشخاص الذين يعانون اليرقان، والذين يعانون الرمد، وكذلك في حالة الأشخاص المختلفين بطبيعتهم، لأنّه، تماماً كما

يـرى السـابقون الأشـياء بـاللون الأصـفر أو الأحمـر أو الأبـيض، يبـدو أنّ هـؤلاء، المولودين بعيون ذوات ألوان مختلفـة، مـن خـلال تكـوين حساسـيتهم، لا يتـأثرون جميعاً بالطريقة نفسها، لكنَّ الأشخاص ذوي العيون الخضر يرون على نحو مختلـف عن الأشخاص من ذوي العيون الرماديّة، وعلى نحو مختلف عن الأشخاص مـن ذوي العيون السود. لذلك، حتّى لو وضعنا أسماء مشتركة للأشياء، فإنّنا نشعر بانطباعـات مختلفة عنها. يبدو أنّ هؤلاء الأشخاص يطرحون أيضاً آراء حول غايـات الأشـياء، آراء مماثلة لتلك المتعلّقة بالمعـايير. وهكـذا، تغـزو العواطـف مجـال الغايـات. فـما بـين العواطف، بعض منها لطيف، وبعضها مؤلم، وبعضها الآخـر متوسّـط. إنّهـم يطلقـون على العواطف المؤلمة، التي تهدف إلى إحداث الألم، تسـمية العواطـف الــ «سـيئة»، وعلى العواطف «الرقيقة» المقبولة، التي تهـدف إلى الحصـول عـلى متعـة حقيقيـة، وأخيراً، العواطف «الوسط»، وهي العواطف التي لم تكن رقيقـة ولا سـيئة، والتـي لم يكن هدفها خيراً أو شراً - هذه العواطف تقع في منتصف الطريـق بـين اللـذة والألم. إنّ العواطف هي معايير وغايات كلّ الأشياء الموجودة. فنحن نعيش، كـما يؤكّـدون، من خلال اتّباع انتباههم، سواء للدليل أو للموافقة: للدليل، فيما يتعلـق بـالعواطف على نحو عام، والموافقة، فيما يتعلق بالمتعة. هـذه، إذاً، هـي آراء القـورينيين، التـي تقلّل من معيار [الحقيقة] أكثر ممّا فعل تلامـذة أفلاطـون. في الواقـع، بيـنما الأخـير يجعل المعيار مزيجاً من الأدلة والعقل، فإنّ الأول يحدّده فقط بالدليل والعاطفة.

سكستوس أمبيريكتوس، بشأن علماء الرياضيات، السابع، *190*، ط. ***Mutschmann***.

السلوك شيء، والمعاناة شيء آخـر. ولأنّهـم يعـانون مـن عواطـف معاكسـة أمـام الشيء نفســه، فـإنّهم يتوصّـلون إلى اسـتنتاج مفـاده أنّ طبيعـة الفاعـل لا يمكـن تحديدها. خلاف ذلك، لا يمكن أن يُنتج الشيء نفسه مثـل هـذه التـأثيرات المختلفـة

في الوقت عينه. ومن هنا، جاءت القناعة القورينية بأنّ العواطف فقط هي التي يمكن معرفتها، أمَّا الأشياء الخارجية، بشأن العواطف، فغير معروفة. في سبيل المثال، يقولون، أفهم أنّني احترقت، لكن حقيقة أنّ النار التي تحرق تظلّ غير مفهومة. لأنّه إذا كان الأمر كذلك، فلا بدَّ من أنَّ كلَّ الأشياء ستكون محترقة.

[مجهول]، تعليق على ثئيتتس، أفلاطون [جزء من محاورات أفلاطون, م]، *152* ب، سلسلة. *65*، *18*، ط. ***Diels-Schubart***.

يؤكّد الفلاسفة القورينيون أنّه لا يوجد شيء آخر سوى العواطف. ومن هنا، نستنتج أنّ الصوت عاطفة أيضاً، وعندما لا يكون عاطفة، لكنّه مصدر ينتج العواطف، فإنّه غير موجود بوصفه شيئاً حقيقياً.

سكستوس أمبيريكتوس، بشأن علماء الرياضيات، السادس، *53*، ط. ***Mau***.

«بعد الفلاسفة القدماء، أناط كولوتيس المعركة بمعاصريه، لكن من دون تسمية أيّ منهم على وجه الخصوص، على الرغم من أنّه كان من الأفضل بكثير مهاجمتهم بالاسم، أو عدم تسمية القدماء. لكن، إذا كان كثيراً ما يهين سقراط وأفلاطون وبارمينيدس، من دون مراعاة، فمن الواضح أنّه كان خوفاً من عدم تسمية الأحياء، وليس من منطلق الشعور بالتواضع الذي لم يكن يمتلكه بالنسبة إلى الرجال الذين كانوا أعلى منه بكثير. كان الأوائل الذين يدورون في ذهنه، إذا لم أكن مخطئاً، القورينيين ثمَّ الأكاديميين من طائفة أركسيلاوس. وهذا الأخير لم يؤكّد بذي بال. أمّا الآخرون، الذين وضعوا تصوّراتهم ومشاعرهم في الإنسان نفسه، فلم يعتقدوا أنّهم يستحقّون الثقة الكافية لتأكيد أيّ شيء عن العناصر التي كانوا ينتجونها. وبعد أن وضعوا كلّ المظاهر خلف ظهورهم، كما يفعل المرء في مدينة محاصرة، فإنّهم، إذا جاز التعبير، انغلقوا على أنفسهم في العواطف التي كانوا يؤكدون احتمالية وجودها، لكنهم لم ينطقوا قطّ

بأيّ وجود خارجيّ مثل هذا الشيء. لذلك، يزعم كولوتيس أنّهم بهذه العقيدة لا يمكنهم العيش أو الاستفادة من أيّ شيء، وبعد ذلك، بأسلوب مازح: «هؤلاء الفلاسفة، كما يقول، ينكرون وجود الإنسان والحصان والجدار، لكنّهم يقولون إنّهم أصبحوا هم أنفسهم حائطاً وحصاناً ورجلاً». في هذا يتبع طريقة المفترين الذين يسيئون استخدام المصطلحات على نحو خبيث. في الحقيقة، هذا نتيجة لعقيدة القورينيين، لكن كان ينبغي تفسيرها كما يفعلون هم أنفسهم، فهم يقولون إنّ الشيء يصبح حلواً أو مرّاً أو مضيئاً أو غامضاً، عندما يتأثر بأيّ من هذه الصفات، إلى درجة أنّه لم يعد من الممكن فصله عنها. على الرّغم من أنّه يقال إنّ العسل حلو، وشجرة الزيتون مُرّة، والبَرد بارد، والنبيذ ساخن، والجو ساطع نهاراً ومظلم ليلاً، إلّا أنّ العديد من الرجال والحيوانات والأشياء نفسها شهود على عكس ذلك. لأنّنا نرى الناس يتناولون العسل في حالة نفور، ويمتلكون الحيوانات التي تتغذّى على أغصان الزيتون، وأن بعض المواد يحرقها البرد، وبعضها الآخر ينعشها النبيذ، وأنّ هناك رجالاً وحيوانات يبهرهم نور النهار، ولا يرون بوضوح إلّا في الليل. وهكذا، عندما تقتصر الآراء على الإحساس الذي تواجهه، فهي في مأمن من الخطأ، لكن إذا أرادت تجاوز هذا للحكم على الأشياء الخارجيّة بمزيد من التفصيل، والتأكيد بشكل إيجابيّ على ماهية طبيعتها، فإنّها غالباً ما تصبح غير مؤكّدة، وتجد نفسها في مواجهة الأشخاص الآخرين الذين يتلقون انطباعات وأحاسيس مختلفة من الأشياء عينها. لكنّ كولوتيس مثل الأطفال الذين بدؤوا في تعلّم القراءة: فبعد أن اعتادوا رؤية الحروف على الألواح، حينما يرونها في مكان آخر، يجدون صعوبة في تعرّفها، ومن النادر قراءتها، وبالطريقة عينها، فإنّ الآراء التي يستحسنها كولوتيس ويسوّغها لدى أبيقور، لم يعد يعرفها ويسمعها لدى الفلاسفة الآخرين. إنّ الأبيقوريين الذين يقولون إنّه عندما تظهر أمامنا صورة مستديرة

أو مكسورة، فإنّ الانطباع الذي تتلقاه أعضاؤنا منها يتوافق مع الكائن، ومع ذلك لا يريدون منّا أن نؤكّد أنّ البرج الذي نراه مستدير، وأنَّ المجداف مكسور. أقول إنّ الأبيقوريين يؤكّدون حقيقة تصوّراتهم، لكنّهم لا يريدون الاعتراف بأنّ الأشياء الخارجيّة تتوافق معها. والحالة هذه، عندما لا يقول القورينيون إنّها حصان أو جدار، لكنّ أعضاءهم تستقبل الإحساس بالحصان أو بالجدار، فيجب على الأبيقوريين أيضاً أن يقولوا إنّ حواسهم تستقبل صورة لشيء مستدير أو مكسور، ولا يؤكّدون أنّ البرج مستدير، والمجداف مكسور. إنّ الصورة التي تؤثّر في الرؤية محطّمة، لكنّ المجداف ليس كذلك. «بما أنّ هناك فرقاً بين الإحساس والشيء الخارجيّ الذي ينتجه، يجب علينا إمّا أن نتمسّك بتقرير الإحساس، وإمّا أن نكون مقتنعين بالزيف، بتأكيد طبيعة الكائن على أساس المظهر. وعندما يكتبون ثانية بسخط ضدّ القورينيين، لأنّهم في شرح أحاسيسنا يقولون إنّ الجسم الخارجيّ ليس ساخناً، وإنّ الحرارة موجودة فقط في ذات الإحساس الذي نشعر به، فهل نلوم ما يقال أيضاً بالنسبة إلى الذوق، بأنّ ذلك الشيء الخارجيّ ليس حلواً، وأنّ الحلاوة فقط في الإحساس وفي الانطباع الذي يحدث في العضو؟ من يقول إنّه يرى صورة رجل، لكنّه غير متأكّد من أنّه رجل، فمن أين أتى بهذا المنطق؟ أليس من أولئك الذين يقولون إنّ لديهم صورة لجسم منحنٍ أو مستدير، لكن الرؤية لا تستطيع أن تؤكّد إن كان مستديراً أم منحنياً، وأنّها لم تكن لديها سوى صورة لشكل مستدير؟»

بلوتارخ، بشأن كولوتيس، ص. *42-44*.

سيكون هذا حجّة كبيرة للفلاسفة القورينيين ضدّكم أنتم، أيّها الأبيقوريون، لإثبات أنّ الملذّات التي تؤثر في آذاننا وأعيننا لا تحدث في أعضاء البصر والسمع، بل في الروح نفسها. في الواقع، تجعلنا الدجاجة التي تقرقر، والغراب الذي ينعب، نسمع أصواتاً غير سارّة، لكن يمتعنا الرجل الذي يقلّد

قرقرة الدجاجة ونعيب الغراب. إنّنا نشعر بالألم عندما نرى أناساً نحيلين، لكنّنا نُسرُّ عندما نرى تماثيلهم وصورهم، لأنّ عقولنا تتغنّى بالمحاكاة التي منحتنا الطبيعة ذائقتها.

بلوتارخ، الندوات، أو أحاديث الطاولة، ص. *313-314*.

إنَّ المعيار الآخر هو معيار بروتاغوراس الذي يقول إنّ الحقيقة هي لكلّ إنسان ما يبدو له صحيحاً، والمعيار الآخر هو معيار القورينيين الذين يعتقدون أنّه لا يوجد معيار آخر غير الأحاسيس الداخليّة، أمّا معيار الأبيقوريين فيضع المعيار في المعنى، وفي المفاهيم، وفي المتعة.

شيشيرون، الأكاديميون الأوائل، الثاني، (*142*)، ص. *254*.

وهل يبدو لك أنّ القورينيين فلاسفة يستهان بهم، وهم الذين يقولون إنّه لا يمكن إدراك أيّ كائن خارجيّ، وإننا لا ندرك سوى ما نشعر به من خلال حاسة اللمس الداخلية، مثل الألم والمتعة؟ ويضيفون أنّهم لا يعرفون ما هو لون الكائنات، وما هو الصوت الذي تصدره، لكنّهم فقط يشعرون أنّهم متأثرون بهذه الطريقة أو تلك.

شيشيرون، الأكاديميون الأوائل، الثاني، (*76*)، ص. *222*.

في مباراة الجمباز هذه، سيحوي ملعبنا أولئك الذين يلوّحون بأسلحتهم، وهم عراة من أيّ حقيقة، إلى جانب الفلاسفة المذكورين، ضدّ كلّ المتعصبين معاً، أعني بذلك البيرونيين، الذين بالنسبة إليهم، لا شيء لدى البشر يمكن فهمه، ومدرسة أرستيبوس، التي تعترف بأنّ العواطف هي التي يمكن استيعابها، وكذلك على المترودوراسيين والبروتاغوراسيين، الذين وفاقاً لهم علينا ألّا نعوّل سوى على الحواس الجسديّة.

يوسابيوس القيصري، التهيئة الإنجيلية، الرابع عشر، *2*، *4*.

بالقدر الذي توجّه فيه اعتراضات إلى أولئك الذين يُنظر إليهم بأنّهم يتبعون بيرون في الفلسفة، ستوجّه اعتراضات مماثلة إلى تلامذة أرستيبوس القوريني، الذين يرون أنَّ الأهواء وحدها هي التي يمكن فهمها.

يوسابيوس القيصري، التهيئة الإنجيلية، الرابع عشر، *18، 31*.

سيأتي بعد ذلك أولئك الذين يرون أنّ الأهواء وحدها هي التي يمكن فهمها، وهذا ما قاله بعض القورينيين. كانوا يزعمون، كأنّهم غارقون في نوع من السبات، أنّهم لا يعرفون شيئاً على الإطلاق، إلّا إذا تعرّضوا للضرب والوخز، لأنّهم إذا تعرَّضوا للنار أو الحديد، فإنّهم يدركون الشعور بشيء ما، لكن إذا ما أحرقتهم كانت هي النار، وما قطّعهم كان هو الحديد، ولم يتمكّنوا من القول. عندئذ، سيُسألون على الفور عمّا إذا كانوا يعرفون هذا في الأقلّ، أن لديهم انطباعاً وإحساساً، فمن دون معرفة ذلك لا يمكنهم حتّى القول إنّهم يعرفون الانطباع فقط، وإذا كانت لديهم هذه المعرفة، فلن تكون العواطف هي الوحيدة التي يمكن استيعابها، لأنّ اقتراح «أحرقوني» كان خطاباً وليس انطباعاً.

يوسابيوس القيصري، التهيئة الإنجيلية، الرابع عشر، *19، 1-2*.

لذلك، إنَّ أولئك الذين يؤكّدون أنّ كلَّ الأحاسيس، وكلّ التخيّلات صحيحة، لا يتكلّمون على نحو صحيح، هذا هو الدليل. لكن، على الرغم من هذا الموقف، كان الأبيقوريون لا يزالون ينطلقون من أنموذج أرستيبوس لجعل كلّ شيء يعتمد على اللذة والإحساس، من خلال تحديد أنّه لا يمكن استيعاب سوى العواطف، وأنّ المتعة هي الخير النهائي.

يوسابيوس القيصري، التهيئة الإنجيلية، الرابع عشر، *20، 13*.

لقد أوضح أنّ الغاية هي الحركة السلسة التي يسفر عنها الشعور.

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *84-85*.

ب- العدميَّة المعرفيَّة

يعتقد البعض أنّ القورينيين، أيضاً، لا يتلقّون سوى الأخلاق، ويرفضون الفيزياء والمنطق، اللذين لا يفعلان شيئاً للمساعدة في عيش حياة سعيدة. لكن، يعتقد بعضهم الآخر أنّ هذا الرأي يمكن مواجهته من خلال حقيقة أنّهم يقسمون الجزء الأخلاقيّ إلى أقسام: هناك قسم [يتعامل] مع ما يجب اختياره، وما يجب تجنّبه، وآخر [يتعامل] مع المشاعر، وآخر مع الأفعال، وآخر مع الأسباب، وأخيراً ثمَّة قسم يتعامل مع الحجج. من بين هذه التقسيمات الفرعيّة جعلوا من القسم الذي يتعامل مع الأسباب يتوافق مع الفيزياء، والقسم الذي يتعامل مع الحجج يتوافق مع المنطق.

سيكستوس إمبيريكوس، بشأن علماء الرياضيات، السابع، *11*، ط. ***Mutschmann***.

ينسب البعض إلى القورينيين- بشهادة سوتيون على هذا - الرأي القائل بأنّ الأخلاق والمنطق جزآن من الفلسفة. لكنهم تعاملوا مع الموضوع بطريقة غير متكاملة.

سيكستوس إمبيريكوس، بشأن علماء الرياضيات، السابع، *15*، ط. ***Mutschmann***.

(...) بعض الفلاسفة، وبخاصّة من هم حول سقراط، يقولون إنّ البحث عن (الطبيعة) والانهماك حول (الأجرام السماوية) كثير جداً، وعديم الفائدة، ولا يكلّفون أنفسهم عبئاً في (الانشغال) بـ (مثل هذه) الأمور (...).

(...) ويستخدمون لدراسة الطبيعة، على خجل بالموافقة على (ذلك)، ذريعة أخرى للرفض. إذ عندما يقولون إنّ الأشياء بعيدة المنال، فماذا يقولون أيضاً

غير أنّه لا ينبغي لنا أن نتحرّى عن الطبيعة؟ في الواقع، من سيختار أن يبحث عمّا لن يجده أبداً؟

ديوجينيس اللائرتي، *4* و*5*، ص. *25*.

كلّ هذه المعرفة وأكثر من ذلك بكثير (عن الفلسفة الطبيعية) غير مجدية تماماً للفضائل والأفعال الأخلاقية أو السياسية، وكذلك لعلاج المعاناة النفسيّة. كتب زينوفون عن هذا الموضوع صفحات ممتازة لا يقرّ فيها فقط بعدم جدوى هذه المعرفة، بل يعلن أنّ سقراط نفسه كان يفكّر بالطريقة عينها. ويرى ذلك أصدقاء سقراط الآخرون، بمن فيهم أفلاطون نفسه، الذي أضاف الفيزياء إلى الفلسفة، ونقل هذه العقيدة من خلال تيماوس وليس سقراط.

جالينوس، ***De plac. Hipp. et Plat***.، التاسع، ص. *799*، ط. ***Mueller***.

يمكن أن تفهم الأهواء. إذ كانوا يقصدون العواطف لا أسبابها. كما تخلّوا عن المادة بسبب طبيعتها الجلية غير المفهومة. من ناحية أخرى، كانوا يتشبّثون بالمنطق بسبب فائدته. لكنّ ميليجروس في الكتاب الثاني من مؤلفه (حول الرأي)، وكليتوماكوس في الكتاب الأول من مؤلفه حول (المدارس الفلسفية)، يقولان إنّ القورينيين يعدّون كلّاً من الجزء المادّي والجزء الديالكتيكيّ عديمَي الفائدة. في الواقع، من تعلّم جيّداً نظريّة الخير والشرّ قادر على التحدّث جيداً، والتحرّر من الخرافات، والهرب من خشية الموت.

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *92*.

هذا هو الأمر بالنسبة إلى سقراط. بعده، أقدم أرستيبوس القوريني، ثمّ لاحقاً أريستون من خيوس، على القول إنّ الفلسفة يجب أن تختزل إلى الأخلاق. كان هذا، في الواقع، ممكناً ومفيداً، في حين كانت المشكلات المتعلّقة بالطبيعة

على العكس من ذلك بعيدة عن متناولنا، بل حتّى لو فهمناها، لن تكون ذات فائدة على الإطلاق، لأنّنا لن نكون متقدّمين أكثر من ذلك، حتّى لو ارتفعنا في الفضاء أعلى من بيرسيوس «فوق أمواج البحر، فوق الثريا»، وبأعيننا نتأمّل كلية العالم وطبيعة الأشياء، أياً كان من الممكن أن تكون، في الواقع، ليس لأجل ذلك، أن نكون أكثر حكمة أو أكثر عدلاً أو أكثر شجاعة أو أكثر اعتدالاً، ناهيك عن أن نكون أقوياء أو جميلين أو أثرياء، ومن دون ذلك لن تكون هناك سعادة. لذلك، كان سقراط محقّاً تماماً في قوله، من بين أشياء أخرى، كان البعض فوقنا، في حين لم يكن البعض الآخر معنيّاً بنا، لأنّ الأمور المتعلّقة بالطبيعة كانت فوقنا، لكنّ تلك التي كانت تراقب الموت لم تمسّنا، ولم يمسّنا سوى الأشياء البشريّة. لهذا السبب، قال وداعاً لفسيولوجيا أناكسوغوراس وهيرودس أرخيلاوس، للبحث عمّا يحدث في المنزل من جيّد وسيّئ.

يوسابيوس القيصري، التهيئة الإنجيلية، الخامس عشر، *62*، *7-11*.

وفاقاً لأرستيبوس القوريني، فإنّ غاية الخيرات اللذّة، وغاية الشرّ الألم، لكنّه يستبعد أيّ دراسة أخرى عن الطبيعة، قائلاً إنّ المفيد وحده هو البحث الذي يتناول «ما يحدث من جيد وسيّئ في المنزل.

يوسابيوس القيصري، التهيئة الإنجيلية، الأول، *8*، *9*.

لقد نفى القورينيون الماديّ إلى جانب المنطق ليقتصروا على الأخلاق وحدها. لكنّهم أيضاً يعيدون ما تخلّصوا منه بطريقة أخرى. في الواقع، يقسمون الأخلاق إلى خمسة أجزاء: جزء يحتضن ما يجب تجنّبه والسعي إليه، والآخر يحتضن العواطف، والثالث التدابير، والرابع الأسباب، وأخيراً الخامس الحجج. ترتبط الأسباب بالماديّ، والحجج بالمنطق، والأفعال بالأخلاق.

سينيكا، رسائل إلى لوسيليوس، ج التاسع والثمانون، ص. *399*.

لهذا السبب أيضاً، تعامل بعض السفسطائيين، كما كـان أرسـتيبوس يتعامـل مـع الرياضـيات، بـازدراء، لأنّهـم كـانوا يقولـون، في الفنـون الأخـرى، حتّـى في الفنـون الميكانيكيّة، مثل فنّ النجارة، وفـنّ صـناعة الأحذيـة، في سـبيل المثـال، يعطـي المـرء باستمرار الأفضل والأسوأ كأسباب، أمَّا الرياضيات فلا تأخذ في الحسبان الخير والشرّ.

أرسطو، الميتافيزيقيا، المجلد. الأول، ص. *126*.

ج- المظهر والحقيقة

وبالمثل مرة أخرى، فإنّ التفكير في العـالم المحسـوس هـو الـذي دفـع الـبعض إلى الإيمـان بحقيقـة المظـاهر. إنّهـم يؤمنـون، في الواقـع، أنّ الحقيقـة لا ينبغـي لهـا أن يقرّرها عدد أكبر أو أقـلّ مـن الأصـوات، والحالـة هـذه يظهـر الشيء نفسـه لأولئـك الذين يتذوقونه، حلو للبعض ومرّ للآخرين، وسيترتب على ذلك أنّه إذا كان الجميـع مريضاً، أو إذا فقد الجميع عقولهم، باستثناء شخصين أو ثلاثة فقـط ممّـن احتفظـوا بصحّتهم أو عقولهم، فسيكون هؤلاء الأخيرين، وهم من سيبدون مـرضى أو مصـابين بالجنون، وليس الآخرين! ويضيف هؤلاء الفلاسفة أنَّ العديد من الحيوانـات تتلقّـى انطباعات عن الأشياء نفسها التي تتعارض مع انطباعاتنا، وأنه، حتّى بالنسبة إلى كلّ فرد، فإنّ انطباعاته الحسية لا تبدو له دائمـاً كـما هـي. أيّ مـنهما صـحيح، وأيّ هـو خطأ، لذا ليس من السهل رؤية ذلـك: فمثـل هـذه الأمـور ليسـت، في أيّ حـال مـن الأحوال، أكثر صحّة من غيرها، لكن كلاهما صحيح بدرجة متساوية.

أرسطو، الميتافيزيقيا، المجلد. الأول، ص. *219-220*.

فيما يتعلّق بموضوع الحقيقة، علينا أن نؤكّد أنه ليس كلّ ما يظهر صحيحاً. أولاً، حتّى بـافتراض أنّ الإحسـاس لا يخـدعنا، في الأقـلّ بشـأن موضـوعه، فمـع

ذلك لا يمكننا تحديد الصورة والإحساس. ثمّ، يحقّ لنا أن نتساءل عن الصعوبات، مثل: هل المقاسات والألوان فعلاً كما تظهر من مسافة بعيدة، أو كما تظهر عن قرب؟ هل هي حقّاً كما تبدو للمرضى أو للأصحّاء؟ هل الثقل هو ما يبدو ثقيلاً للضعيف أو للقويّ؟ وهل الحقيقة هي ما نراه في أثناء النوم أو في حال اليقظة؟ في كلّ هذه النقاط، من الواضح بالفعل أنَّ خصومنا لا يصدّقون ما يقولون. لا يوجد أحد، في الأقلّ، يحلم في إحدى الليالي بأنه في أثينا، في حين هو في ليبيا، وينطلق إلى أوديون. فضلاً عن ذلك، فيما يتعلّق بالمستقبل، وفاقاً لملاحظة أفلاطون، فإنّ رأي الطبيب ورأي الجاهل بالتأكيد ليسا على قدم المساواة في الحجّية عندما يتعلّق الأمر بمعرفة، في سبيل المثال، ما إذا كان المريض سيستعيد صحّته أم لا. أخيراً، من بين الأحاسيس المنظورة في حدّ ذاتها، لا تقدّم شهادة الحاسة القيمة نفسها عندما يتعلّق الأمر بموضوع حاسة أخرى، كما هي الحال عندما يعني الأمر موضوع حاسة مجاورة، وكما هي الحال عندما يعني الأمر موضوع الحاسة نفسها: فالبصر هو الذي يحكم على اللون وليس الذوق، والذوق هو الذي يحكم على النكهة وليس البصر. فليس هناك أيّ حاسة من هذه الحواس يمكن أن تكون معنيّة بالشيء عينه، في الوقت نفسه، ولا تخبرنا أبداً أنّ هذا الكائن هو كذلك وليس كذلك في وقت واحد. فضلاً عن ذلك، حتّى في أوقات متباينة، لا يمكن للحاسة أن تكون غير متوافقة مع نفسها، في الأقلّ بشأن الصفة، يمكن أن يكون الخلاف فقط حول الركيزة التي تنتمي إليها الصفة. سآخذ مثالاً: قد يبدو النبيذ نفسه، إمّا لأنه قد تغيّر هو نفسه، وإمَّا لأنَّ جسدنا قد يتغيّر، وقد يبدو حلواً في وقت ما، وليس حلواً في لحظة أخرى. لكن، في الأقلّ، ليس الحلاوة، كما هي عندما تكون موجودة، هي التي تغيّرت فيما بعد، لا تزال لدينا دائماً الحقيقة حول

هذا الموضوع، وما سيكون حلواً هو بالضرورة كذلك. ومع ذلك، فإنّ هذه الضرورة هي أن تدمّر جميع الأنظمة المعنية، ومثلما ينكرون كلّ الجوهر فإنّهم ينكرون أيضاً وجود أيّ شيء ضروريّ، لأنّ الضرورة لا يمكن أن تكون بطريقة أو بأخرى في الوقت عينه، وتالياً، إن كان هناك أيّ شيء ضروريّ، فلن يكون كذلك وغير كذلك. - وعلى نحو عامّ، إذا كان المحسوس موجوداً حقّاً بمفرده، فلن يكون هناك شيء إذا لم تكن الكائنات الحيّة موجودة، فمنذ ذلك الحين لن يكون هناك إحساس. وممّا لا شكّ فيه أنّ من الصحيح القول إنّه لن يكون هناك محسوس ولا أحاسيس (لأنّها تعديلات على موضوع الاستشعار)، لكن من غير المقبول أنّ الركائز التي تنتج الإحساس لا توجد أيضاً في شكل مستقلّ عن الإحساس. في الواقع، إنّ الإحساس ليس بالتأكيد إحساساً بذاته، لكن هناك شيء آخر لا يزال خارج الإحساس، وجوده بالضرورة قبل الإحساس، لأنَّ المحرِّك لديه سلطة طبيعيّة على الحافز. حتّى مع الاعتراف بأنّ المحسوس والإحساس هما مصطلحان مترابطان، مع ذلك فإنّ هذا الأسبق موجود.

أرسطو، الميتافيزيقيا، المجلد. الأول، ص. *225-229*.

ليس هناك ما هو دقيق بطبيعته، جميل أو قبيح، لكنّه من خلال العرف والاستخدام.

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *93*.

يزعمون أنَّ شخصاً ما قد يشعر بالحزن أكثر من شخص آخر، وأنَّ الأحاسيس لا تخبرنا دائماً الحقيقة كاملة.

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *93*.

2- أخلاقيَّة المتعة

أ- الخير الأسمى

1- كـان أرسـتيبوس يسـعى إلى إربـاك سـقراط تماماً كـما أربكـه سـقراط. لكـنَّ سقراط، الذي كان يريد أن يكون مفيداً لمستمعيه، لم يستجب بحـذر لرجـل يـخشى أن يرى كلماته محرَّفة، لكن كرجل مقتنع بأنّ عليه أداء واجبه قبل كلّ شيء.

2- سأله أرستيبوس عمّا إذا كان يعرف شيئاً جيداً، بحيـث إذا ذكـر سـقراط شـيئاً جيداً، مثل الطعام أو الشراب أو الثروة أو الصحة أو القـوة أو الجـرأة، فسـيثبت لـه في بعض الأحيان أنّ ذلك سيّئ. لكنّ سقراط، مع العلم أنّه عندما نكون نشعر بالبرم، نحتاج إلى أمر ليضع حدّاً له، فأجابه بأفضل إجابة ممكنة.

3- قال له: «هل تسألني إن كنت أعرف شيئاً جيداً للحمّى؟»

قال: حسناً.

- ثمَّ، وللألم في العيون؟

- أيضاً.

- وللجوع؟

- وللجوع أيضاً.

ثمَّ قال: - لكن، بعد ذلك، إذا سألتني عمَّا إذا كنت أعرف أيّ شيء جيّد لا يصـلح لشيء، فأنا لم أكن أعرف ذلك، ولا أشعر بالحاجة إلى معرفته.»

4- بعد أن طرح أرستيبوس عليه سؤالاً جديداً، ليعـرف مـا إذا كـان يعـرف شـيئاً جميلاً،

أجاب: «نعم، أعرف عن ذلك، بل وأعرف الكثير».

استأنف أرستيبوس: «حسناً، هل كلها متشابهة؟»

قال: «البعض، على العكس من ذلك، مختلف قدر الإمكان».

استأنف أرستيبوس: «كيف إذاً يمكن من يختلف عن الجميل أن يكون جميلاً؟»

أجاب سقراط: «وحقّ زيوس، يختلف المصارع الوسيم عن العدّاء الوسيم، والدرع التي تكون جميلة في حماية الجسم تختلف قدر الإمكان عن الرمح الذي يكون رشيقاً وهو يحلّق بقوة وسرعة.

5- قال أرستيبوس: «أنت تردّ عليّ بالإجابة نفسها، تماماً كما أجبت عندما سألتك إن كنت تعرف أيّ شيء جيّد.»

أجاب سقراط: «هل تعتقد إذاً أنّ الخير شيء والجمال شيء آخر؟ ألا تعلم أنّ الأشياء جميلة وجيدة فيما يتعلّق بالكائنات عينها؟

في المقام الأوّل، الفضيلة ليست جيّدة بالنسبة إلى بعض الأشياء، وجميلة بالنسبة إلى أشياء أخرى. ثانياً، يُعدُّ الرجل جميلاً وصالحاً بالطريقة عينها بالنسبة إلى الأشياء نفسها. كذلك، لا تزال أجسادنا تبدو جميلة وسليمة بالنسبة إلى الأشياء نفسها، ودائماً بالنسبة إلى الأشياء، تعدُّ جميع العناصر التي تستخدمها البشريّة جميلة وجيّدة، أي بالنسبة إلى الأشياء المفيدة لها.

6- إذاً، قال أرستيبوس، هل سلَّة القمامة شيء جميل؟

أجاب سقراط: «نعم، وحقّ زيوس، وتكون الدرع قبيحة إذا ما كان الشيء الأول مصنوعاً جيداً لغرضه، والثاني مصنوعاً بشكل سيّئ.

«أتعني»، استأنف أرستيبوس، «أنّ الأشياء نفسها جميلة وقبيحة في آن معاً؟»

7- نعم، وحقّ زيوس، وأنّ لكليهما، الجيّد والسيّئ... وغالباً، ما هو مفيد للجوع ضارّ بالحمّى، وما ينفع الحمّى يضرّ بالجوع. وفي كثير من الأحيان، ما هو جميل للسباق هو قبيح للصراع، وما هو جميل في القتال قبيح للسباق، لأنّ

كلّ الأشياء مفيدة وجميلة بالنسبة إلى الوجهة التي تناسبها تماماً، وسيّئة وقبيحة عندما تتكيّف على نحو سيّئ مع غايتها.»

كسيينوفون، الخالدون، الثالث، الثامن، ص. *365-366*.

لكن، من هنا يولد هذا السؤال الآخر: أيّ فلسفة، بين المذاهب الفلسفيّة، تلك التي فيها فائدة أكثر من غيرها للبلاغة؟ سيقتصر الحوار على عدد صغير، لأنّنا، أولاً، سوف نبرّئ أبيقور، الذي أوصى تلامذته بالابتعاد بأسرع ما يمكن عن أيّ مظهر من المذهب، وسوف يعفينا أرستيبوس أيضاً من هذا الألم، الذي يضع الخير الأسمى في ملذّات الحواس.

كينتيليان، مؤسسة الخطابة، الثاني عشر، *2*، *23*، ص. *347*

يرى أرستيبوس القورينيّ أيضاً أنّ الشهوانية هي الغاية في كلّ خير لنا، والألم هو الغاية في كلّ شرّ لنا، إنّه يجعل من علم الطبيعة كلّه مقتصراً على البحث، العلم الوحيد وفاقاً له، عن الخير والشرّ اللذين يمكن أن نشعر بهما في أنفسنا.

بلوتارخ، شذرات، ص. *478-479*.

لم يكن أرستيبوس بأفضل منهم، فهو الذي، كما أعتقد، كي يرضي صديقته لايس، أسّس العقيدة القورينية، التي من خلالها وضع غاية الخير الأسمى في متعة الجسد حتّى تكون العيوب السانحة مسموحاً بها، والرذائل يتعيّن تدريسها.

لاكتانتيوس، مختصر المؤسسات الإلهية، الرابع والثلاثون، *7*، ص. *147*.

فمن بين أولئك الذين يجعلون من الشهوة مبدأً (لفلسفتهم)، (نعلم؟) إنّ هناك القورينيين والأبيقوريين، والذين يقولون صراحة إنّ غاية (الإنسان) هي أن يعيش على نحو ممتع، وإنّ الشهوانيّة هي الخير الكامل.

إكليمندس الإسكندري، ستروماتا، الثاني، الحادي والعشرون، *12*، *1* و*2*، ص. *129*.

هذا الفيلسوف، الذي اشتهر في حياته ومماته، ترك عدداً كبيراً من الأتباع الذين تعاملوا على نحو من التنافس مع الأسئلة الأخلاقية المتعلّقة بالخير الأسمى، التي من دونها لا يمكن للإنسان أن يكون سعيداً. ولمّا كان رأيه غير واضح في ذلك، لأنّ طريقته في النقاش كانت تعتمد إثارة جميع الأسئلة، وعدم إثبات أيّ شيء، فحدث أن أخذ كلّ منهم ما يراه مناسباً، ولم يتفقوا على ما يشكّل خيراً أسمى، الذي جعله بعض تلامذة المعلّم نفسه، على نحو لا يصدّق، في المتعة، مثل أرستيبوس، وجعله البعض الآخر في الفضيلة، مثل أنتيسِتنيس، والبعض الآخر لغايات أخرى، التي ستستغرق وقتاً طويلاً للحديث عنها.

أغسطينوس، مدينة الله، الثامن، الثالث، ص. *268*.

إنَّه يؤكّد بقوة كبيرة أنَّ الطبيعة لا تسعى إلّا إلى اللذّة، ولا تخشى سوى الألم، وبهذين الدافعين يربط كلّ ما يجب أن نلاحقه ونبتعد عنه. هذه العقيدة مأخوذة من أرستيبوس، وقد جعلها القورينيون والأبيقوريون أفضل وأكثر قبولاً. ومع ذلك، لم يعد يبدو لي أيّ شيء أكثر من مثل هذا الرأي.

شيشيرون، النعم والشرور الحقيقية، *1*، *7*، ص. *492*

وهو يضع الخير الأسمى في الشهوانية. كان أوّل الأمر مخطئاً جدّاً، وفي المرة الثانية، لم يقل شيئاً من تلقاء نفسه لأنّ أرستيبوس كان قد أيَّد هذه العقيدة قبله، وبأفضل منه.

شيشيرون، النعم والشرور الحقيقية، *1*، *7*، ص. *492*، الأول، الثامن، ص. *494*

تعلن مدرستك، حسب قوله، أنَّ الشهوانيَّة هي الخير الأسمى. لذلك، علينا أولاً أن نوضّح ما هي الشهوانيَّة، بخلاف ذلك، ليس في وسعنا أن نثبت ما نبحث عنه، وإذا ما شرحها أبيقور تماماً، فلن يتردّد كما يفعل، لأنّه إمّا سيصبح،

مثل أرستيبوس، من أنصار تلك الشهوانيّة التي تدغدغ الحواس بالمتعة، والتي ستدركها الحيوانات نفسها، لو كانت تستطيع الكلام، على أنّها شهوانيّة حقيقيّة، وإمَّا إذا كان يفضّل التحدّث بلغته الخاصّة على نحو أفضل من لغة «جميع الأرجينيين وأبناء ميسينا أو أتيكا»، وكلّ اليونانيين الآخرين المذكورين في هذا المقطع الشعريّ، كان لا يسمّي الشهوانيّة إلّا بالحرمان من الألم، ويحتقر شهوانيّة أرستيبوس، أو، إذا تمسّك في نهاية المطاف بكلتيهما، فسيضمّ بصراحة غياب الألم إلى الشهوانيّة، وتالياً يعترف بغايتين أخيرتين لكلّ أعمال الخير. لقد اعترف العديد من الفلاسفة العظام بأكثر من غاية وراء الخير، وقد انضمّ أرسطو إلى ممارسة الفضيلة مع ازدهار حياة مفضّلة تماماً، وجمع كالايفون بين الاستقامة والشهوانيّة، وجمع ديودوروس إلى الاستقامة غياب الألم. وكان على أبيقور أن يحذو حذوهما من خلال الجمع بين الشعور الذي ربط به هيرونيموس اسمه مع مذهب أرستيبوس القديم. ونظراً لاختلاف آرائهما، فقد وضع كلّ منهما غاية واحدة وراء كلّ الخير، وبما أنّ كليهما يتكلّم اليونانية جيداً، فإنّ أرستيبوس، الذي يضع الخير الأسمى في الشهوانيّة، لا يتحدّث أبداً إلّا عن غياب الألم كونه هو الشهوانية، أمّا هيرونيموس، الذي يجعلها تتمثل في غياب الألم كلّه، بعيداً عن استخدام كلمة شهوانية للتعبير عن هذا التراخي، فلا يحسب حتّى الشهوانية بين عدد من الأمور المرغوب فيها.

متألّم، وأن تكون شهوانياً، هما شيئان مختلفان حقّاً، فأنت لا تفهم فقط تحت المصطلح نفسه أمرين مختلفين، لا يزال من الممكن معاناتهما، لكنّك تجتهد في صنع أمر واحد من أمرين، وهو أمر مستحيل في المطلق. ولمّا كان أبيقور يعترف بكليهما، كان يجب أن يستقبلهما على نحو واضح، وهو ما يفعله حقّاً، لكن من دون أن يعبّر عن هذا التمييز في لغته. فغالباً ما يمتدح الشهوانية كما يفهمها

الجميع، ولا يتردّد في القول إنّه لا يستطيع أن يشكّ في ما يمكن فصله عن الشهوة التي يتحدّث عنها أرستيبوس، وهذا الاعتراف يقدّمه حتّى وهو يتعامل على نحو خاصّ مع الخير الأسمى.

شيشرون، النعم والشرور الحقيقية، الثاني والسادس والسابع، ص. *512-511*.

هذا هو الموضوع الأساس في نظرية الخير والشرّ برمته. لقد اعتقد فليمون وقبله أرسطو أنّ من بين احتياجات طبعنا الأولى، كان من الضروريّ تصنيف كلّ تلك التي تحدّثت عنها توّاً. ومن هنا جاءت عقيدة الأكاديميين المشّائين، الذين وضعوا الخير الأسمى يحيا وفاقاً للطبيعة، أي ليجمعوا معاً بين التمتع بهذه العطايا الأولى للطبيعة والفضيلة. غير أنّ كاليفون يضع الشهوة في صحبة الفضيلة، ويضع ديودوروس فقط غياب الألم. ويعترف عدد من المؤلفين بالمبادئ نفسها في نظرية النعم الحقيقية. أمّا بالنسبة إلى أرستيبوس، فإنّ الخير الوحيد هو الشهوة. وبالنسبة إلى الرواقيين، فإنّ الأمر يتعلّق بالتوافق مع الطبيعة، التي يقولون عنها إنّه لا يمكن تحقيقها إلّا بالفضيلة والصدق، والتي يقدّمون من أجلها هذا التفسير، «إنّ التعايش مع مثل هذا الفهم للأمور التي تحدث على نحو طبيعيّ، يمكّن المرء من أن يختار تلك التي تتوافق مع الطبيعة، ويرفض تلك التي تتعارض معها». وهكذا، هناك ثلاثة آراء حول الخير الأسمى لا تذكر فيها الاستقامة، وتلك هي آراء أرستيبوس وأبيقور، ورأي لهيرونيموس، ورأي لكارنياديس. هناك ثلاثة آراء أخرى وضعت فيها الاستقامة في صحبة معيّنة، وهي آراء بوليمون وكاليفون وديودوروس. وأخيراً، هناك رأي واحد فقط، كتبه زينون، لا يتحدَّث فيه سوى عن الجمال الأخلاقيّ أو جمال الفضيلة، لأنّه، ولفترة طويلة، لم يعد فيها أن وضع كلّاً من

بـيرون وأريسـتون وهريلـوس في الحسـبان. إنّنـي أرى فلاسـفة آخـرين حـازمين في مبـادئهم، ولا يتزعزعـون أبـداً، في سـبيل المثـال، أرسـتيبوس، الـذي يضـع الخـير في الشهوانيّة، ويضعه هيرونيموس في غياب الألم، وكارنياديس، الـذي يجعلـه يتمثـل في التمتّع بأول عطايا الطبيعة.

شيشيرون، النعم والشرور الحقيقية، الثاني، الحادي عشر، ص. *516-517*.

بالنسبة إلى أبيقور، الذي يفضّل الشهوانيّة على كـلّ شيء آخـر، إذا كـان يتحـدّث عن الشهوانية التي يؤيّدها أرستيبوس، كان ينبغي له أن يجعلها أعظم الأشـياء، وإذا كان، على العكس من ذلك، يتحدّث عن شهوانية هيرونيموس، فعليه أيضاً أن يعطي لهذه الشهوانية المرتبة الأولى، التي تختلف تماماً عن لذّة أرستيبوس.

شيشيرون، النعم والشرور الحقيقية، الثاني، الثاني عشر، ص. *517*.

يجب أن نستبعد تماماً من الفلسفة آراء أولئك الـذين يسـتبعدون الفضـيلة مـن الخير الأسمى، أولاً، وقبل كلّ شيء، رأي أرستيبوس والقورينيين، الذين لم يخجلوا مـن وضع الخير الأسمى في الشهوانية التي تغازل حواسنا بما هو ممتع، والذين لم يعلّقـوا أيّ قيمة على غياب الألم. هؤلاء الناس لم يروا سـوى، مـثلما يولـد الحصـان للسـباق، والثور للحرث، والكلب للصيد، كذلك الإنسان أيضاً، مثـل الإلـه الفـاني، وُلِـد لأمـرين عظيمين، كما يقـول أرسـطو، لفهمهـما والعمـل علـيهما، وعـلى العكـس تمامـاً، فقـد زعموا أنّه لم يولد إلّا ليأكل ويتكاثر، وهم يشبّهون هذه الطبيعـة الإلهيّـة الواضـحة ببعض الحيوانات الفاقدة للحسّ والمنحطّة. لم أكن أعرف شيئاً في العالم أكـثر عبثيّـة. هـذا مـا يقـال بشـأن أرسـتيبوس، الـذي نظـر إلى الشـهوة التـي يفهمهـا الجميـع،

ليس فقط كخير أسمى، بل الخير الوحيد. وأنت، أنت لديك رأي آخر، لكنّ أرستيبوس وقع في خطأ مقيت. لأجل شكل جسم الإنسان الجميل، والذكاء الرائع الذي ينعم به الإنسان، يوضّح أنّه لم يولد لمجرد الاستمتاع بالملذات الشهوانية.

شيشيرون، النعم والشرور الحقيقية، الثاني، الثالث عشر، ص. *518*.

دعونا نبحث عن السعادة، لكن ليس في الميوعة والشهوة كما يفعل أرستيبوس [...].

شيشيرون، النعم والشرور الحقيقية، الثاني، الثالث عشر، ص. *518*.

إذا كان الخير الأسمى يتألف من الشهوانيّة، كما قلت، فعلينا أن نقطع عهوداً لقضاء أيام وليال، من دون أيّ انقطاع، في الانغماس في التمتُّع بكلّ الشهوانيّة التي يمكن أن تزيد من سحر الحواس، وتملأها نشوةً وحبوراً. لكن، هل هناك رجل جدير بهذا الاسم أراد الاستمتاع بمثل هذه الشهوانية ليوم كامل؟ أعتقد أنّ أهل برقة لن يرفضوا ذلك.

شيشيرون، النعم والشرور الحقيقية، الثاني، الرابع والثلاثون، ص. *538*.

يقول البعض إنّ أولى حركات الطبيعة فينا هي الرغبة في الشهوة والنفور من الألم، ويقول آخرون إنّ أمنيتنا الأولى هي أن نكون بلا ألم، وخشيتنا الأولى هي من الشعور بالمعاناة. (...) هنا، إذاً، ستّة آراء متنوعة حول الخير الأسمى. قادة الثلاثة الأخيرين هم: أرستيبوس للشهوة، ولغياب الألم هيرونيموس، وبالنسبة لنعم الطبيعة الأولى كارنيديس، الذي دافع عنها من دون أن يكون صاحب هذا المذهب، وجعله سلاحاً للجدل.

شيشيرون، النعم والشرور الحقيقية، الخامس، السابع،، ص. *588-589*.

ماذا عن اللباقة، وعلى وجه الخصوص ما يسمّيه الفلاسفة باللباقـة الداخليّـة، أي لباقـة الألم واللـذّة، التـي يراهـا القورينيـون المعيـار الوحيـد للحقيقـة، الـذي يمكـن موافقتهم عليها؟

شيشيرون، الأكاديميون الأوائل، الثاني، ص. *197*.

السيّد توليوس نفسه، في الكتاب الثاني من أطروحته عن الخير والشرّ، يقول فيه:

«أولاً، أرستيبوس والقورينيون قاطبة، هم الذين لم يشعروا بوازع من خجـل مـن وضع الخير الأسمى في المتعة التي من شأنها أن ترضي الحواس على نحو أكثر قبولاً».

أولوس جيليوس، ليالي أتيكا، الخامس عشر، ص. *249*.

ب- المتعة مبدأ غائيٌّ

أولئك الذين يقولون إنّ الهدف هو المتعة، كما هي الحال مع أرستيبوس.

برديات، أوكسيرينخوس، السابع, *1012* (***B I, 13***, ص. *88*, ط. ***Hunt***).

وبيّن أنّ الهدف (**telos**) هو الحركة البطيئة الموجَّهة نحو الحواس.

هيسيتشيوس، الرجال اللامعون، *4*، ط. ***Müller*** (***F.G.H*** الرابع، *156*).

أولئك الذين ظلّوا مخلصين لأسلوب حياة أرستيبوس، وكانوا يُـدعون بـالقورينيين، أقرّوا بالمذاهب التالية. كانوا يفترضـون عـلى مسـتوى القاعـدة عـاطفتين، هـما: الألم واللذّة، فبالنسبة إلى اللـذة، هـي حركـة سلسـة، أمّـا بالنسـبة إلى الأخـرى، المعانـاة، والحركة قاسية.

لا تختلف لذّة عن لذّة، وشيء ما ليس بمصدر لذة أكثر من أيّ شيء آخر.

تبدو اللذّة مواتية لجميع الكائنات الحيّـة، أمّـا المعانـاة فإنّهـا تشـعر أنـه يجـب تأجيلها.

ومع ذلك، فإنّهم كانوا يقصدون باللـذة متعـة الجسـد - التـي تعـدّ غـايتهم، وفي هذا يقول بانيتيوس في مؤلفه عن المدارس الفلسفيّة - وليس المتعة في الراحـة التـي تعتمد على قمع الآلام والرغبة في نوع من عدم وجود مـا يقلـق، متعـة اعـترف بهـا أبيقور وهو الذي جعل منها غاية.

يعتقدون أيضـاً أنّ الغايـة مختلفـة عـن السـعادة. الغايـة، في الواقـع، هـي لـذّة خاصّة، أمّا السـعادة فهـي نتيجـة ملـذات معيّنـة، بمـا في ذلـك مـن ملـذات المـاضي والمستقبل كلها.

يجب أن يكون اختيار اللذة لذاتها، في حين لا يكون اختيار السعادة لذاتها، وإنّمـا بسبب ملذّات خاصّة.

والدليل على أنَّ المتعة هي الغاية، إنّنا منذ الطفولة مرتبطون بهـا غريزيـاً، وإنّنـا فيما لو واجهناها فإنّنا لا نبحث عن أيّ شيء أكثر مـن ذلـك، وإنّنـا لا نهـرب مـن أيّ شيء بقدر ما نهرب من نقيضها، ألا وهو المعاناة.

اللـذَّة خـير، حتّـى لـو كانـت ناتجـة عـن أكـثر السـلوكات المخزيـة، كـما يقـول هيبوبوتوس في كتابه عن المدارس الفلسفيّة. إذ حتّى لو كـان الفعـل في غـير محلّـه، تظلّ الحقيقة أنّه ينبغي لنا اختيار اللذة لذاتها، وسيكون ذلك خيراً.

حقيقة القول، ليست كلّ ملذات وآلام الروح تعتمد على ملذات الجسـد وآلامـه. إنّ مجرد ازدهار الوطن، مثل وطننا، يثير فينا الفرح.

لكنّهم ينكرون أنّ اللذّة، إذا كانت وظيفة لتذكر أو تتطلّع إلى أشياء نافعة، تبلـغ كمالها - كما كان أبيقور يعتقد بذلك - لأنّ حركة الروح تُستنفد بمرور الوقت.

يقولون: إنّ الملذات لا تحدث لمجرّد الإحساس بالبصر أو السمع. في سبيل المثـال، نستمع بكلّ متعة إلى أولئك الذين يقلّدون الأغاني الجنائزيّة، لكنّنا لا نشـعر بالمتعـة عند سماع أولئك الذين ينشدونها حداداً حقيقياً.

كانوا يصفون غياب اللذة وغياب الألم بأنَّهما من حالات وسيطة.

في الواقع، إنَّ الملذّات الجسديّة أعلى بكثير من ملـذّات الـروح، والآلام الجسـدية أسوأ بكثير. لهذا السبب، فإنّ العقوبات الجسديّة هي التي تُنزّل على مـن يرتكبـون المعاصي.

كانوا يفترضون أنَّ تحمّل المعاناة أصعب، وأنّ اللذّة أكثر ملاءمة - ومن هنا، كـان اهتمامهم الأكبر بالتعامل معها. هذا هو السبب في أنه بينما يجـب اختيـار اللـذة في حدّ ذاتها، فإنّ الأسباب المؤلمة التي تنتج بعض الملذات غالباً ما تتعـارض مـع اللـذّة، لذا فإنّ تراكم الملذّات، الذي لا ينتج السـعادة في هـذه الحـال، كـان يبـدو بالنسـبة إليهم غير مرغوب فيه للغاية.

فـي رأيهم، لا يعيش الرجل الحكيم حياة سعيدة تماماً، ولا يعـيش الشرّيـر حيـاة مؤلمة تماماً، لكن في الغالب. يكفي أن نتذوّق الملذّات التي تمثل أمامنا، الواحدة تلو الأخرى.

يقولون إنّ الحكمة النافعة هي الخير، ومع ذلك لا ينبغي اختيارها لـذاتها، لكـن لأجل عواقبها، فالصديق هو الخير لما يزوّدنا به من فوائد، ونحبّ جزءاً مـن جسـده أيضاً، الذي نمتلكه طوال الوقت.

تتشكّل بعض الفضائل حتّى لدى الحمقى.

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، من ص *87* إلى *91*.

كان أرستيبوس القورينيّ يسعى إلى نيل الملذّات من دون أن يكلّف نفسـه عنـاء السعي وراء التمتع بما لم يكن لديه. لهـذا، أطلـق عليـه ديـوجينيس لقـب «الكلـب الملكيّ».

هيسيتشيوس، الرجال اللامعون، *4*، ط(***Müller* (*F.G.H. IV, 156***

وهو يتَّخذ من يوليسيس أنموذجاً لحياتـه، حـارب أرسـتيبوس بقـوّة ضـدّ الفقـر والبؤس من خلال احتضان المتعة من دون تحفّظ.

بلوتارخ، في حياة وشعر هوميروس، الثاني، *150*، ط. ***Bernardakis***.

كانت مدارس الفلسفة برمّتها تتجادل في ما يدور حـول اختيـار اللـذّة. فالمدرسـة المسمّاة الـ«قورينية»، التي أسّسها أرستيبوس، أحد تلاميـذ سـقراط، كانـت تؤكّـد أنّ اللذّة هي هدف [الفلسفة]، وسبب السعادة. وفاقاً لها، لا تـدوم اللـذة سـوى قليـل من الوقت، مثل اللذّة الجسدية، وتؤكّد في الوقت نفسه أنّه لا قيمة لذكرى ملـذّات الماضي، ولا تلك الملذّات المأمولة في المستقبل. في الواقع، ترى أنّ الخير ينتمي حصرياً إلى اللحظة الآنية، وتعتقد أنّه لا المتعة التي شعرت بها في المـاضي، ولا تلـك المأمولـة في المستقبل لها أيّ قيمة في حدّ ذاتها، الأولى لأنّها لم تعد موجـودة، والثانيـة لأنّهـا لا تزال غير موجـودة (لـذا فهـي غامضـة للغايـة). وتالياً، فـإنّ أولئـك الـذين اختـاروا الشـهوانيّة لا يعيشـون إلّا في الحـاضر، وهـم يـرون في ذلـك أنّهـم يفعلـون الشيء الصحيح.

أثينايوس، الثاني عشر، ***544 a***، ط. ***Kaibel***.

إذا ما أعرنا انتباهنا إلى حجج أرستيبوس، فإنّنا نعتني بالجسـد، وكـلّ اللـذة تـأتي من الشراب والطعام و(العلاقات الجنسيّة)، وفي الحقيقة تماماً من كـلّ الأشـياء التـي (...) لم (...) تعد (...)

ديوجينيس من أوينواندا. *49*، ص. ***fr.50***

يقول ثيوفيلوس: «لا أفكّر مثل فيلوكسينوس ابن أركسـيس: عـلى مـا يبـدو أنّه وجد شائبة في الطبيعة حول ملكة الاستمتاع، وتمنّى يوماً ما أن يكون لديه عنق طَائِر الْغُرْنُوق. لكنّه كـان يفضّـل أن يصـبح حصـاناً وثـوراً وجمـلاً وفـيلاً.

وهكذا، يكون الاشتهاء والاستمتاع أعظم وأكثر حيوية: لأنّه وفاقاً للقدرات يتحقّق الاستمتاع».

أثينايوس، (*10*)، الأول والثاني، ص. *13*.

ومع ذلك، أرى كيف تغري اللذّة حواسنا على نحو مُبْهِج. وأسمح لنفسي أن أكون موافقاً لرأي أبيقور أو أرستيبوس (...). يمكنني أن أكون بينهما، بما أنّ أرستيبوس يفضّل الجسد وحده كما لو لم يكن لدينا روح (...)

شيشيرون، الأكاديميون الأوائل، الثاني، ص. *252*.

كان يعتقد أنّ أرستيبوس يدلي بأمور صحيحة للغاية عندما كان يأمر الرجال ألّا يقلقوا بعد فوات أوان الماضي، وألّا يقلقوا بشأن المستقبل سلفاً... مثل هذا الموقف هو في الواقع علامة على الثقة، وبرهان على صفاء الذهن. كان يحثّنا على التركيز على حاضر يومنا، حتّى على جزء من اليوم، فنتصرّف ونفكّر بدقة. كان يقول إنّ الحاضر وحده الذي يعنينا، وليس ما حدث توّاً، ولا ما نتوقّعه: أحدهما ضاع بلا رجعة، والآخر نجهل ما إذا كان سيحدث.

إيليانوس، تاريخ متنوع، (*6*)، الرابع عشر، ص. *154*.

يكتب أرستيبوس (إلى المنفيين): «أينما يبدأ، أليس هذا هو الطريق نفسه الذي يؤدّي إلى هاديس؟» [الإله هاديس ملك العالم السفلي، م]

تيليس، حول المنفى، (*13-30*).

ج- مجانبة الاستياء

لكنَّ قمع الألم، كما تصوّره أبيقور، ليس متعة في نظرهم، ولا غياب المتعة معاناة.

في الواقع، يعدُّ كلٌّ من الألم واللذة جزءاً مـن الحركـة، في حـين أنّ غيـاب المعانـاة وغياب اللذة لا يشكّلان جزءاً من الحركة، لأنّ غياب المعاناة هـو بطريقـة مـا حالـة الرجل النائم. يقولون إنّه حتّى اللذة قد يختارها البعض من خلال الضلالة.

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *89*.

بادئ ذي بدء، هناك نقطة واضحة مفادها أنّ ظهور الحزن مرتبط بالانطباع بـأنّ شرّاً ذا طبيعة مروّعة قد أصابنا وطغى علينا. بالنسبة إلى أبيقور، فـإنّ رأي الشرّ هـو الذي يشكّل حزناً بتأثير طبيعيّ، لذا يكفي التفكير في شرّ عظيم إلى حدّ ما، مع فكرة أنه قد حدث لنا، كي نقع من خلال الفعل عينه في الحـزن. ويعتقـد القورينيـون أنّـه ليس أيّ شرّ يمكن أن ينتج الحزن، بل الشرّ غير المتوقّع والمفاجئ، وهـذا صـحيح، إذ إنَّ هذا الظرف يسهم بدرجة كبيرة في زيادة الحزن، لأنّ كلَّ الشرور التي يعانى منهـا تترك انطباعاً أكبر.

شيشيرون، توسكولانيس ***Tusculanes***، الثالث، (*28*).

لذلك، لا أتردّد في استعارة هذه الأسلحة من القـورينيين، التـي يقـدّمونها لي ضـدّ مصادفة الأحداث، وعندما يندفعون إليّ، فسأحطّم هجومهم، لأنّني سأسبقهم بتأمل طويل. في الوقت نفسه، أقول إنّ الحزن مسألة رأي، وليس مسـألة طبيعـة، لأنّـه إذا كان حقيقيّاً، فلماذا يجب أن تكون الشرور المتوقّعة أخفّ؟

شيشيرون، توسكولانيس ***Tusculanes***، الثالث، (*31-32*).

بقي رأي المدرسة القورينية. فوفاقاً لها، كي يعبّر الحزن عن نفسه، يجب أن تحـلّ المصيبة على غفلة.

شيشيرون، توسكولانيس ***Tusculanes*** الثالث، (*52*).

وهذه واجبات المعزّي: إزالة الحزن جذريّاً، أو تهدئته، أو تقليصه قدر الإمكان، أو كبحه ومنعه من أن يتوسَّع، أو البحث عن وسائل تشتيته.

بعض الناس يختزلون هذه الواجبات إلى واجب واحد: لإظهار أنَّ ما نعتقد أنّه شرٌّ ليس شرّاً - هذا هو رأي كليانثس- أو أنه ليس شرّاً كبيراً، كما يفعل المشّاؤون. ويرى آخرون، من الضروريّ فصل العقل عن رؤية الشرور من خلال استحضار رؤية النعم، كما فعل أبيقور. وبالنسبة إلى الآخرين (القورينيون، في سبيل المثال)، يكفي تبيان أنّه لا يحدث شيء غير متوقَّع.

شيشرون، توسكولانيس ***Tusculanes***، الثالث (*75-76*).

لكن، ما يقال هنا يكفي عن أعمال العظماء المجيدة. سيتعيّن علينا لاحقاً أن نظهر صراحة أنّ جميع الفضائل تميل إلى الشهوانية. علينا الآن أن نبيّن ممَّ تتكوّن الشهوانية على وجه التحديد لأجل إزالة أيّ موضوع ملتبس ممَّا يفكّر فيه الجهلة، ولإثبات كم أنّ الطائفة التي عرفت بالشهوانية وملاذ الرقة، والملذات الحسية، هي خطِرة، وصارمة، ومتماسكة. لأنّنا لسنا مرتبطين بالشهوة وحدها التي تدغدغنا على نحو ممتع، وتولّد في أرواحنا الأحاسيس اللذيذة. لكن، بالنسبة إلينا، فإنّ أولى اللذّات هي عدم وجود الألم.

في الواقع، بما أنّنا منذ اللحظة التي لا نشعر فيها بأيّ ألم، فإنّ هذه الهدنة وهذا الارتياح يمنحاننا البهجة، لأن كل ما يمنحنا البهجة هو متعة، كما إن كلَّ ما يجرح مشاعرنا هو الألم. وعليه، من المنطقيّ أنَّ غياب أيّ نوع من الألم يسمَّى شهوانيّة. وكما هي الحال عندما نتخلَّص من العطش والجوع بالأكل والشراب، فإنّ لمن دواعي المتعة أنّنا لم نعد نشعر بالحاجة، وإنه لمن دواعي المتعة أيضاً أن نجعل الألم يتلاشى. لهذا السبب، لا يريد أبيقور الاعتراف بأيّ حلّ وسط بين الألم والشهوة. وما رآه البعض بأنّه حلّ وسط بين هذا وذاك - أعني غياب الألم برمّته - يعلن أنّها

ليست مجرد شهوة، بل هي الأعظم على الإطلاق. في الواقع، أن تكون مدركاً للانطباعات التي يشعر بها المرء يعني بالضرورة الاستمتاع أو المعاناة، ويعتقد أبيقور أنّ غياب الألم هو التعبير الأخير للشهوانيّة، التي قد تكون متنوّعة في نواح كثيرة، لكنّها لا يمكن أن تذهب أبعد من ذلك. أتذكّر أنّني سمعت والدي يقول، الذي كان يسخر من الرواقيين بطريقة حضرية ودهاء، إنّ هناك تمثالاً في منطقة كيراميكوس في أثينا يجلس، وهو يمدّ يده إلى الأمام، وتعني هذه البادرة أنّه كان يشعر باللذة كثيراً وهو يؤدّي هذا المنطق البسيط الدقيق:

هل تريد يدك، في حالتها الحاليّة، أيَّ شيء؟

- كلّا، بالطبع لا.

- لكن، إذا كانت الشهوانية هي الخير، ألا ترغب في ذلك؟

- أظنّ ذلك.

- لذا، فإنّ الشهوانية ليست هي الخير.

إذا كان التمثال قادراً على الكلام، كما كان أبي يقول، فمن المؤكّد أنّه لن ينطق بهذه اللغة. فضلاً عن ذلك، هذه الحجّة قاطعة فقط ضدّ أرستيبوس والقورينيين، وليس ضدّ أبيقور إطلاقاً. لأنّه إذا لم تكن هناك شهوانية سوى تلك التي تدغدغ الحواس على نحو ممتع، وتبثّ في أطرافنا رجفة لذيذة، فلن تكون اليد راضية عن الشعور بأيّ ألم، وستظلّ ترغب في الحصول على انطباع حيّ عن اللذّة.

شيشيرون، النعم والشرور الحقيقية، الأول، الحادي عشر، ص. *496-497*.

لذلك، سأبدأ بالحديث عن ضعف العديد من الفلاسفة، الذين ينتمون، فضلاً عن ذلك، إلى مدارس مختلفة. من بينهم، الأول من حيث المرجعية والأقدميّة، أرستيبوس السقراطيّ، الذي لم يتردّد في القول إنّ الشرَّ الأسمى هو

الألم. ثمّ جاء أبيقور، الذي لديه مثل هذا الرأي الجبان، الخليق بامرأة وجـدت كثـيراً من الإذْعان.

شيشيرون، توسكولانيس ***Tusculanes***، الثاني، السادس (ج).

لمَّا كان عدد من الأصدقاء يندبون حزناً، خاطبهم أرستيبوس بعـدد مـن الكلـمات التي من شأنها أن تهدّئ من آلامهم، وقال هذا على وجه الخصوص كمقدّمة: «أتيت إليكم ليس لمشاركتكم ألمكم، لكن لوضع حدٍّ له».

إيليانوس، تاريخ متنوع، (*3*)، السابع، ص. *77-78*.

3- **الحكمة العمليَّة**

أ- فائدة الفلسفة

سأله ديوجينيس عن الفائدة التي جناها من الفلسفة. أجابه أرستيبوس: «لتكون قادراً على أن تكون ثريّاً من دون أن تملك أوبولوساً واحداً».

غنومولوجيا الفاتيكان، *182*، ط. ***Sternbach***.

[أوبولوس: ***obolos***, أصغر وحدة نقدية معدنية يونانية قديمة، المترجم]

لمَّا سُئل في أحد الأيّام عن الربح الذي جناه من الفلسفة، أجـاب أرسـتيبوس: «أن تكون قادراً على التحدّث بجرأة مع الجميع».

JOANN. SARESB., Epist., 190.

لمَّا سُئل عن الربح الذي كان يجنيه من الفلسـفة، أجـاب [أرسـتيبوس]: «لأتمكَّـن من التحدّث من دون خشية مع كلّ من ألتقيهم».

غنومولوجيا الفاتيكان، *743*،ع. *36*، ط. ***Sternbach***.

مـن نـاحيتي، سـأطبّق كلـمات أرسـتيبوس، رئـيس المدرسـة القورينيـة، أو بالأحرى، بالاسم الذي يفضّله، تلميذ سقراط. بعد أن سـأله طاغيـة عـن فائـدة

هذه الدراسة الطويلة والمرهقة للفلسفة، أجاب أرستيبوس: «كي أكون قادراً على التحدّث إلى جميع الناس من دون خشية، ومن دون حرج».

أبوليوس، الفلوريديون، ص. *132-133*.

ولمَّا سئل عن الربح الذي يجنيه من الفلسفة، قال: «أن تكون قادراً على التحدّث بجرأة مع الجميع».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *68*.

لمَّا سُئل مرة عن الطريقة التي يتفوّق بها الفلاسفة على الآخرين، أجاب: «حينما تكون جميع القوانين ملغاة، وسنستمرّ في العيش بالطريقة عينها».

هيسيتشيوس، الرجال اللامعون، *4*،ط. **Müller (F.G.H. IV, 156)**

لمَّا سُئل ذات مرّة عمّا يمتلكه الفلاسفة من تفوّق، قال: «حينما تكون جميع القوانين ملغاة، فسنستمرّ في العيش بالطريقة عينها».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *68*.

قال أرستيبوس: «لقد اكتسبت فائدة واحدة في الأقلّ من الفلسفة: أن أكون قادراً على معارضة أيّ شخص بطريقة معقولة».

غنومولوجيا الفاتيكان، *743*، ع. *44*، ط. **Sternbach**.

لمَّا سُئل عن المنفعة التي يجنيها من الفلسفة، أجاب [أرستيبوس]: «أن تفعل دون إكراه ما يفعله الآخرون مكرهين بالقوانين».

يوحنا الدمشقي، الثاني، *13*، *146*، ط. **Maineke**.

بينما كان أحدهم يتفاخر بمعرفته العظيمة، قال: «مثلما الناس الذين يأكلون كثيراً ويمارسون الرياضة، وهم ليسوا أكثر صحّة من الناس الذين لا يضعون

في أفواههم غير ما يحتاجون إليه، كذلك الحكماء، فهم ليسوا أيضاً أولئك الذين يقرؤون كثيراً، لكنّهم أولئك الذين يقرؤون ما هو مفيد».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *71*.

كان يقارن أولئك الذين حصلوا على نصيبهم من المناهج المعتادة، لكنّهم حُرموا من الفلسفة، بخاطبي بنيلوبي. ذلك أنّ هؤلاء قد يفلحون في الظفر بـميلانتو وبوليدورا أو بواحدة من سائر الوصيفات الأخريات، لكنّ الحظ لن يحالفهم أبداً في الزواج من سيّدة المنزل (الملكة) نفسها. كما أجرى أريستون الضرب نفسه من المقارنة. كان أوديسيوس، عند نزوله إلى هاديس [العالم السفلي]، قد رأى والتقى جميع الموتى تقريباً، لكنّه لم يشاهد بعينه الملكة نفسها.

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *79-80*.

ومع ذلك، فإنّ الرجل الفاضل لن يفعل شيئاً في غير محلّه عندما يكون مهدّداً بالعقاب أو الرأي.

من ناحية أخرى، ذو العقل موجود. إنّهما يعترفان بالتقدّم، سواء في الفلسفة أم في المجالات الأخرى.

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *93*.

ب- الزهد والإتقان

يسهم الزهد الماديّ في اكتساب الفضيلة.

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *91*.

كان دائماً ما يسخر من قسوة أنتيسِتنيس.

سويداس، ط. ***Adler***.

«كلّ لون، كلّ موقف، كـلّ شيء يناسـب أرسـتيبوس.» (هـوراس، أبيقـور، المجلـد الأول، الجزء الخامس، ص 23) وهو يثني عـلى أرسـتيبوس وفاقـاً لكلـمات أفلاطـون، الذي عندما رآه منبوذاً بعد غرقه، مغطّى بمعطـف مـن قطعتـين (أي بمعنـى يطـوى طيتين)، وفي تلك الحال، إذ كان في حال سيئة للغاية، هنّأه بـالقول: «كـلّ لـون، كـلّ موقف، كلّ شيء يناسب أرستيبوس، المشـهور بحكمتـه، وهـو الـذي كـان، في الأقـلّ، يعرف كيف يجني المنفعة من أمور صغيرة وعظيمة.»

وعن أرستيبوس: لمّا كـان أرسـتيبوس يُسـأل عـن أكـثر الأشـياء إثـارة للإعجـاب في الحياة، يجيب: «رجل صالح ويتّسم بالرصانة، لأنّ مثل هذا الرجل لا يمكن أن يطـيح به أيّ نحس.»

إستوبايوس، المنتخبات، الثالث، *37*، *24*، ط. ***Wachsmuth-Hense***.

على الرغم من أنّ أرستيبوس تفوح منه رائحة العطر، ويرتدي الثياب ذات اللـون الأرجوانيّ، إلّا أنّه لم يكن أقلّ حكمـة مـن ديـوجينيس. تماماً كرجـل يجـرؤ، بعـد أن وصل إلى هذه القوة الجسديّة التي لا يمكن حتّى للنار أن تحـرق جسـده، أن يلقـي بنفسه في جبل إتنا، وهكذا فإنّ من يتدرّب جيّداً بهدف تحمُّل الملذّات، ليست هـي التي تشعل النار فيه وتحرقه وتستهلكه.

مكسيموس تيريوس، أطاريح، الأول، *9*، ط. ***Hobein***.

لمّا سئل كيف يختلف الحكيم عن غير الحكيم، قال: «أرسلهما عريـانين إلى أنـاس لا يعرفونهما، وستعرف الفرق».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني *73*.

لن يستسلم الحكيم للجسد، ولا للأهواء الغراميّة، ولا للخرافات، كلّ المشاعر تنبع في الواقع من رأي لا أساس له من الصحّة. ومع ذلك، سيشعر بالحزن والخوف لأنَّ هذه المشاعر طبيعيّة.

ديوجيتيس اللائرتي، الثاني، *91*.

عن أرستيبوس: ليس من يمتنع عن اللذة هو الذي يسيطر عليها، بل من يستمتع بها بلا إفراط. تماماً مثل ربّان السفينة أو سائس الحصان، لا يسيطر عليهما من لم يستخدمهما، بل من يوجّههما حيث يشاء.

إستوبايوس، المنتخبات، الثالث، *37*، *24*، ط. ***Wachsmuth-Hense***.

قال أرستيبوس: «مثلما تنمو أجسادنا من خلال تغذيتها، وتقوى برياضة الجمباز، كذلك يمكن أن تنمو روحنا إذا ما اعتنينا بها، وتقوى إذا ما درّبناها باستمرار.»

غنومولوجيا الفاتيكان، *743*، ع. *34*، ط. ***Sternbach***.

وفاقاً لرأي القورنيين والأبيقوريين، فإنّ الشجاعة تتمثّل في تحمّل البلايا المروّعة بالحفاظ على الهدوء ورباطة الجأش. كما يقول الشاعر: «يضع في روحه شجاعة ذبابة.»

الحاشية. هوميروس، الإلياذة، *5*، *2*، ط ***Dindorf***.

يقال إنَّ الفيلسوف أرستيبوس، تلميذ سقراط، بعد أن أنقذ من الغرق على شواطئ جزيرة رودس، وبعد أن لمح أشكالاً هندسية مرسومة على الرمال، قال لمن كان معه وهو يصرخ: «دعونا لا نخشَ شيئاً، إنّني أرى آثار رجال!» ومن هناك، بعد أن ذهب إلى المدينة، دخل المدارس العامّة، وفيها ناقش حول الفلسفة، ونال إعجاباً كثيراً إلى درجة أنّ السكّان قدّموا له هدايا قادرة على أن

تعيله بأمان هو ورفاقه. وبعد أن أرادوا العودة إلى بلدهم، وبعد أن سألوه عمّا يريد قوله لأطفالهم، أمرهم أن يوصوهم بأن يكرّسوا اهتمامهم في وقت مبكر للحصول على نِعم من هذا القبيل، وإذا ما حدث لهم أن غرقوا في يوم من الأيام، يمكن لهذه النعم أن تسبح معهم بطريقة ما، وتتبعهم إلى الشاطئ، لأنّه أدرك أنّه في الحياة يجب على المرء أن يعتمد فقط على ما لا يخضع لفرص الحظّ، وسقوط الجمهوريات، ومآسي الحرب.

فيتروفيوس، في العمارة، السادس، ص. *90-91*.

كان أرستيبوس يتصرَّف بأكبر عقلانية: كان يزن نِعم الحياة وشرورها في الميزان، وهو يرتقي، إذا جاز التعبير، مع الأولى، ويهمل الشرور، حتّى التي تؤدّي إلى إثارته. ذات يوم، أعرب له أحد أصدقائه عن أسفه لخسارة قطعة أرض جميلة للغاية. فقال أرستيبوس: «أليس لديك عقار صغير واحد فقط، في حين لا يزال لديّ ثلاثة عقارات؟» أجابه صديقه: «هذا صحيح». استأنف أرستيبوس: «لذا، فقد حان دوري لأشفق عليك».

بلوتارخ، حول هدوء الروح، ص. *421-422*.

أعتقد أنّ من الأفضل للشيء أن يطيع العقل من أن يطيع العقلُ الشيءَ. يرغب كروسوس في كلّ شيء، ولا يرغب ديوجينيس في شيء. ألقى أرستيبوس ذهبه في لجّة بحر سيرت، وكلّ الذهب في ليديا لا يكفي ميداس.

أوسونيوس، حول أرستيبوس، ص. *11-13*.

نعني بكلمة «الظروف» التغييرات التي أدّت إلى الأحداث التي أنتجتها، بالطريقة التي يدار بها شأن ما، وبالدوافع التي ترشدنا، التغييرات التي تؤدّي إلى أنّ الحقائق لم تعد كما كانت من قبل، أو كما هي عادة. وتالياً: «من المخزي أن تنقل الأموال إلى العدو، لكن ليس عندما يكون ذلك للغرض نفسه، مثل

يوليسيس. فمن الحماقة أن يلقي المرء أمواله في البحر، لكن ليس عندما يكون ذلـك لدوافع أرستيبوس نفسها».

شيشيرون، البلاغة، أو فنّ الخطابة، الثاني، السابع والعشرون، ص. *168*

أحياناً أُصبح رجل عمل، وأغرق نفسي في أمواج السياسة المضطربة، وصيّاً، وتابعـاً صارماً للفضـيلة الحقيقيَّـة، وأحيانـاً أسـمح لـنفسي بـالعودة إلى مبـادئ أرسـتيبوس، وأسعى جاهداً إلى تأسيس نيري على الأشياء من دون الخضوع لنيرهم.

هوراس، الرسائل، الأول، ص. *37*.

إذا كان يستسلم لتناول وجبة غداء من الخضراوات، فلن يعود أرستيبوس يرغب في العيش مع الملوك. - وإذا كان يعرف كيف يعيش مـع الملـوك، فـإنّ مـن يلـومني سيحتقر الخضراوات. فأيّ من هذين الرجلين، في رأيك، كان يتحـدّث ويـتصرّف عـلى نحـو أفضـل، دعنـي أعـرف، أو، لكـوني الأصـغر سـنّاً، اسـتمع إلى سـبب كـون رأي أرستيبوس هو الأفضل. فإليك، في الواقع، كيف كان يـتملّص، كـما يقـال، مـن أسـنان الكلبيّ: «كلانا يؤدي دور المسلّي، أنا لصالحي، وأنت لصـالح النـاس. سـلوكي إلى حـدّ بعيد هو الأكثر منطقيّة وسموّاً. سيكون لديّ حصان يحملني، وملك يطعمنـي: لهـذا السبب، ألعب دور الحاشية، أمّا أنـت، فتتسـوَّل أشـياء لا قيمـة لهـا، لكنـك [وأنـت تتسوَّل] أقلّ من الذي يعطيك، على الرغم من أنك تـدّعي أنـك لسـت في حاجـة إلى أحد». أيّ فارق بسيط في الحياة، وأيّ حال، وأيّ ثروة تناسب أرستيبوس، وهو الـذي عادة ما يسعى إلى الارتقاء، لكنّه هو العارف كيف يستوعب الحـاضر. هـذا الرجـل، على العكس من ذلك، الذي يغطيه الصبر بقطعـة قـماش مطويـة إلى قطعتـين، مـن شأنه أن يفاجئني كثيراً إذا كان يتكيّف مع تغيير مسار حياته. الأول لن ينتظر عباءة

أرجوانيّة، وسيظهر مرتدياً ملابسه بطريقة أو بأخرى، في أكثر الأماكن ازدحاماً، ويتولّى كلا الدورين بسهولة. والآخر، سيحتمي بجبّة منسوجة في ميليتوس أكثر من كلب وثعبان، وسيتجمّد حتّى الموت إذا لم تعد إليه قطعة القماش، أعدها إليه، ودع هذا الرجل الأخرق يعِش.

هوراس، الرسائل، السابع عشر، ص. *113-114*.

[الأفضل] عدّل زينون الرواقيّ هذه الأبيات بقوله:

«الأفضل هو من يثق بالحكيم، أمّا النبيل فهو من يحكم وحده على كلّ شيء في العالم.»

لذلك، هو يمنح المكانة الأولى للانقياد، والثانية للحكمة. وعلى العكس منه، كان أرستيبوس السقراطيّ يقول إنّ الحاجة المستمرّة إلى مرشد هي أسوأ من الاستجداء.

برقلس إلى هسيودوس.

ج- توافق الذوات التهكميَّة

يقول أرستيبوس: «نحن نفضّل أن نكسب بالأقوال أكثر لا بالأفعال، لكن هذه هزيمة وليست انتصاراً. فمن يستطيع أن يتنازل عن النصر لجبان يدير ظهره في الحرب؟ أو من يمنع انتصار المحارب الذي مات في معركة مع جواده؟ لهذا السبب، لا يتحقّق النصر بالكلمات، مثلما لا يصبح الفقير غنيّاً بالكلمات، بل بالتسوّل للحصول على المال.

السريانية المجهولة، ص. *363*، ترجمة. باسكال مارتيلو.

لمَّا أرسل والده في طلبه مرَّات عدَّة، ورفض أرستيبوس الانصياع، كتب إليه الأب أنّه سيبيعه وفاقاً للقوانين التقليديّة، فأجابه أرستيبوس: «مع ذلك، إذا

بقيت لفترة أطول فسأصبح أكثر فضيلة. حينها يمكنك أن تبيعني بسعر أفضل».

غنومولوجيا الفاتيكان، *743*، ع. *42*، ط. ***Sternbach***.

وهو يلتقي شخصاً كان يؤذيه، فكان يتجنّبه، ولمّا كان يريد أن يدير له ظهره مرّة أخرى بسبب الخجل الذي يشعر به، قال له [أرستيبوس]: «ليس أنت من تتجنَّبني، لكن أنا من يتجنّبك، لأنّ الشخصية الشرّيرة هي أنت».

غنوومولوجيا الفاتيكان، *743*، ع. *27*، ط. ***Sternbach***.

ذات يوم، خاض أرستيبوس جدالاً مع رجل ممتلئ بالجرأة، لكنَّه فضلاً عن ذلك، يفتقر إلى التفكّر والبصيرة، ولمَّا رآه منتصراً ومنتفخاً بفوزه، قال له: «أنا مهزوم، لكنّني سأنام بسلام أكثر منك، مهما كنت منتصراً».

بلوتارخ، عن التقدم في الفضيلة، ص. *179*.

لمَّا أراد أحدهم أن يعهد بابنه إليه، طلب إليه أرستيبوس خمسمئة دراخما، فردَّ الآخر بقوله: «لكن، بهذا السعر يمكنني شراء عبد». عندئذ، أجابه أرستيبوس: «اشترِه إذاً، وسيكون لديك اثنان».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *72*.

لمَّا كان أحدهم يفتخر بأنّه يشرب كثيراً ولم يثمل، قال: «البغل يفعل الشيء نفسه».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *73*.

[ذات يوم] ردَّ أرستيبوس على من كان يتعرّض له بالتوبيخ: «أنت حرّ في أن تهيل عليَّ الإهانات، وأنا أيضاً حرّ في أن أستمع إليك أو لا أستمع».

ستوبيوس، المنتخبات، الثالث، *19*، *6*، ط. ***Wachsmuth-Hense***.

بينما كان يبتعد عن أحدهم كان يشتمه، قال أرستيبوس: «أنت سيّد لسانك، وأنا سيّد أذنيَّ».

غنومولوجيا الرهبان اللاتين، الأول، الخامس والثلاثون.

بعد أن تعرَّض لإهانة أحدهم، حاول أرستيبوس الابتعاد. وبينما كان ذاك يتبعه وهو يقول له: «ماذا، أأنت تهرب؟» أجابه: «بالطبع. بما أنّ لديك القدرة على إهانتي، فأنا أيضاً لديّ القدرة على ألّا أسمعك».

أنطون. مليس.، الأول، *53*، ط***Migne, P.G***. الرابع والثمانون، سلسلة *948*.

لـمَّا رأى الفيلسوف القورينيّ أرستيبوس رجلاً غاضباً يتلفّظ بكلمات بغيضة، قال له: «يجب ألّا يستدعي الغضب الكلمات، بل يجب تهدئة الغضب بالكلمات».

إستوبايوس، المنتخبات، الثالث، *20*، *63*، ط. ***Wachsmuth-Hense***.

قال أرستيبوس، وقد قيل له إنّ الناس كانوا يحتقرونه، فأجاب: «الحمير أيضاً تحتقر الرجال. مثلما لا يعير الرجال أيَّ اهتمام للحمير، لا أعير أيّ اهتمام للرجال أيضاً.»

غنومولوجيا الرهبان اللاتين. الثاني، *3*.

أخبره أحدهم أنَّ «حقله قد دُمّر بسببه»، فأجابه أرستيبوس: «أفضل أن يُدمّر الحقل بسببي من أن أُدمَّر أنا بسبب الحقل.»

إستوبايوس، المنتخبات، الرابع، *15*، *32*، ط. ***Wachsmuth-Hense***.

لمَّا سئل لماذا يحافظ على علاقات مع أناس من ذوي الطبيعة السيّئة، أجاب أرستيبوس، «للأسباب نفسها التي تجعل الأطبّاء يحافظون على علاقات مع المرضى».

غنومولوجيا الفاتيكان، *743*، ع. *37*، ط. ***Sternbach***.

قيل إنّه أمر في يوم من الأيام بشراء طائر حجل بخمسين دراخما، فنهره أحدهم لأجل ذلك، فقال: «أمّا أنت، أفليس في وسعك أن تشتريه بأبولوس واحد؟» ولمّا أومأ الآخر برأسه، قال أرستيبوس: «حسناً، بالنسبة إليَّ خمسون دراخما تساوي أوبولوساً واحداً.»

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *66*.

بينما كان يقيم في آسيا، وقد أسره المرزبان أرتافرين، قال لشخص كان يسأله: «هل تشعر بالشجاعة في مثل هذه الظروف؟» أجابه: «متى، أيّها الأحمق المسكين، هل سأشعر بالشجاعة أكثر من الآن، في الوقت الذي أوشك فيه أن أجادل أرتافرين؟»

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *79*.

4- سياسة انتقاديَّة

أ- ديناميَّات التعليم

قال أرستيبوس لأب كان يقسم لابنه أنّه سيكون عادلاً وصادقاً: «اجعله يقسم أيضاً أنَّه سيصبح نحويّاً وموسيقيّاً، ثمَّ انظر ما إذا كان سيصبح ذلك من دون دراسة القواعد أو الموسيقا!»

غنومولوجيا الفاتيكان، *743*، ن. *33*، ط. ***Sternbach***.

«يدع الناس الأشياء لأطفالهم، لكنّهم لا ينيطون بهم فنّ استخدامها. هذا ما يسمّى «الْكَلِمَة» وفاقاً لطريقة أرستيبوس».

ديمتريوس، الأسلوب، *296*، ط. ***Radermacher***.

بل إنّ هناك من يذهب بعيداً في حبّه للمال وعدم المبالاة في رعاية أطفالهم، إلى حدّ أنّهم، ولسبب وحيد هو التوفير الدنيء، يختارون لأوصيائهم رجالاً لا

يمتلكون أيَّ أهليَّة، إذ إنَّ قلّة الخبرة رخيصة دائماً. ذات يوم، أجاب أرستيبوس أحد هؤلاء الرجال الحقيرين إجابة مفحمة. لمَّا طلب منه ألف دراخما لتدريس ابنه، «كيف! صاح الأب، بهذا المبلغ أشتري عبداً!»، فقال له أرستيبوس: «افعلها، وسيكون لديك اثنان، ابنك والآخر الذي اشتريته».

بلوتارخ، حول تعليم الأطفال، ص. *8-9*.

ولمَّا سئل عن الاختلاف الذي يفصل بين المتعلّمين وغير المتعلّمين، قال: «نفسه الذي يفصل بين الخيول المروّضة وغير المروّضة».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *69*.

كان يقول: «من الأفضل أن تكون متسوّلاً من أن تكون غير متعلّم، فإذا كان المتسوّلون يفتقرون إلى المال، فإنّ غير المتعلمين يفتقرون إلى الإنسانيّة».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *70*.

لمَّا سأله أحدهم كيف جعل التعليم ابنه أفضل، أجاب: «إذا لم يكن هناك شيء آخر، فهو في الأقلّ في المسرح ليس حجراً يجلس على حجر».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *72*.

في أيّ حال، لمّا سئل أرستيبوس عن الميادين التي ينبغي تعليمها للأطفال الموهوبين، أجاب: «تلك التي ستنفعهم عندما يصبحون راشدين».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *80*.

اتّهمه مواطنوه بقضاء كثير من الوقت بصحبة الشبّان وهم يناقشون الحكمة، فأجابهم: «أنتم أيضاً تروّضون المهور، وليس الخيول الكبيرة».

غنومولوجيا الفاتيكان، *743*، ن. *45*، ط. ***Sternbach***.

ب- عمل مَن هو فـي حاشية الملك

ذات يوم، لمَّا أراد أن يطلب معروفاً لصديق، ولم يحصل عليه إطلاقاً، ألقى بنفسه عند قدمَي [الطاغية] وأقنعه أخيراً. وبذلك قال: «لست أنا سـبب هـذا التملّـق، بـل ديونيسيوس، الذي كانت أذناه في ركبتيه».

معجم سويداس، ط. ***Adler***.

ذات يوم، لمَّا كان يطلب من ديونيسيوس معروفاً لصديق ولم يحصل عليـه، وقـع عند قدمَي الطاغية، وقال لأولئك الذين سخروا منه بسبب موقفـه: «لـيس خطئـي، بل خطأ ديونيسيوس الذي يملك أذنين في قدميه».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *79*.

كـان يـتردَّد علانيـة عـلى المحظيّـة لايـس، واسـتفاد اسـتفادة كاملـة مـن كـرم ديونيسـيوس، عـلى الـرغم مـن أنـه تعـرّض للإهانـة في كثـير مـن الأحيـان. يـروي هيجيساندروس أنّه في يوم من الأيام خصّصوا له مكاناً إلى المائدة من دون تشريـف: سأله ديونيسيوس كيف كان يجد هذا المكان مقارنة بالمكان الذي كان عليه في اليوم السابق، فأجاب أنّه وجده متطابقاً تقريبـاً: «لقـد فقـدَ مكـان الأمـس قيمتـه بمجـرّد انفصالي عنه، وكان أمس، بفضلي، مكرّماً كثيراً، من ناحية أخرى، أصـبح هـذا المكـان اليوم هو الأهمّ بسبب حقيقة وجودي فيه، أمَّا مكـان أمـس، فطالما لم أكـن جالسـاً فيه، فلم يكن ليستحقّ شيئاً».

في مكــان آخــر، يــروي هيجيســاندروس [الآتي]: ذات يــوم، لمَّــا بصــق خــادم ديونيسيوس في وجهه، وبدأ أنتيفونون يسخر منه لأنّه تحمَّل هذا، قال: «ولـو كنـت صيّاداً، لكنت تخلّيت عن صيدي ومضيت!؟»

أنتيباتروس، الثاني عشر، *544 **b***، ط. ***Kaibel***..

لمَّا بصق ديونيسيوس في وجهه، تحمَّل الإهانة. وبعد أن لامه أحدهم على سلوكه، قال: «وماذا في ذلك؟ يتحمّل الصيادون رشَّهم بمياه البحر لاصطياد سمكة، أمّا أنا، أفلا أتحمّل أن ترشّني بصقة لأظنّها لعاباً؟»

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *67*.

كان قادراً على التكيّف مع المكان والزمان والإنسان، ويلعب دوره بشكله الملائم في أيّ ظرف من الظروف، وكان يحظى بتقدير ديونيسيوس أكثر ممّا يحظى به آخرون، لأنّه دائماً ما كان ينظر إلى الجانب المشرق من المواقف عند ظهورها: كان يستمتع باللذة التي كانت تمنحه إيّاها النعم الموجودة، ولم يكلّف نفسه عناء الركض وراء أمور لا يمتلكها ليتمتّع بها، لهذا أطلق عليه ديونيسيوس لقب (الكلب الملكيّ)، من ناحية أخرى، انتقده تيمون انتقاداً لاذعاً بسبب ميوعته، قائلاً ما معناه: «هذا هو أرستيبوس الشَّهْوانِيّ الذي يتعامل مع الأكاذيب».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *66*.

في بلاط ديونيسيوس، كان في نزاع حول اختيار ثلاث نساء.

أنتيباتروس، الثاني عشر، ***544 b***، ط. ***Kaibel***

ذات يوم، لمّا طلب إليه ديونيسيوس اختيار محظية من بين ثلاث محظيّات كنَّ هناك، اصطحبهنَّ ثلاثتهنَّ، قائلاً، ألم يكن الثمن الذي دفعه ثمناً فادحاً لأنه اختار من بينهنّ واحدة فقط. وحقيقة القول، كان قد اصطحبهنّ، كما يقال، إلى باب منزله ثمَّ أطلق سراحهنَّ، وكان قوياً للغاية ليستأثر بهنَّ ويحتقرهنَّ.

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *67*

لمَّا سأله ديونيسيوس لماذا يأتي الفلاسفة إلى أبواب الأغنياء في حين لا يأتي الأغنياء إلى أبواب الفلاسفة، قال: «لأنّ البعض يعرفون ما يحتاجون إليه، والبعض الآخر لا يعرفون ما يحتاجون إليه مطلقاً».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *69*

بعد أن سأل الطاغية [أرستيبوس] لماذا لا يذهب الأغنياء أبداً إلى الفلاسفة، لكنّ الفلاسفة هم من يأتون إلى الأغنياء، أجاب: «لأنّ الفلاسفة يعرفون ما يحتاجون إليه للعيش، أمَّا الآخرون فلا يعرفون ذلك، لأنّهم يهتمّون بثرواتهم أكثر من حكمتهم».

غنومولوجيا الفاتيكان، *743*، ن. *6*، ط. ***Sternbach***.

قال ذات يوم، وقد أجبره ديونيسيوس على التحدث بالفلسفة: «سيكون من المضحك أن تتعلم مني عن فن الكلام وأن تعلمني متى أتحدث.» استاء ديونيسيوس بشدة من هذا الكلام، وأجلسه في نهاية السرير. فقال له: «لقد اردتَ أن تمنح المزيد من الشرف لهذا المكان».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *73*.

ذات يوم، لمَّا أتاح له سيموس، وصيف ديونيسيوس، معاينة منازل فخمة مرصوفة بالفسيفساء - وكان فريجيّاً [فريجيا إقليم قديم في الوسط الغربيّ من الأناضول، م] وشرّيراً! -، سعل أرستيبوس، فتطايرت منه بصقة على وجهه. ولمَّا غضب الآخر، قال: «لم يكن لديَّ مكان أكثر ملائمة لها».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني *75*.

لمَّا سأله ديونيسيوس في أحد الأيام عن سبب مجيئه لزيارته، قال إنّ ذلك سيمنحه جزءاً ممّا لديه، ويتلقّى في المقابل جزءاً ممّا لم يكن لديه. يقال إنّ إجابته

كانت: «لمَّا كنت في حاجة إلى الحكمة، كنت أذهب إلى سقراط، أمَّا الآن فإنَّ حاجتي للمال، لذا فإنّي آتيت إليك».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *77-78*.

ذات يوم، في أثناء مأدبة، أمر ديونيسيوس الجميع بارتداء رداء أرجوانيّ، وأن يرقصوا. رفض أفلاطون الدعوة قائلاً: «من المستحيل أن أرتدي فستاناً نسائياً». في المقابل، ارتدى أرستيبوس الثوب، ولمَّا أوشك أن يرقص، ردَّ بهذه الإجابة السريعة الماهرة: «في أعياد باخوس، لا يمكن أن ترتكب المرأة الحكيمة الفسوق».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *78*.

وضع ديونيسيوس في رأسه إقناع أرستيبوس بالتخلّي عن عباءة الفيلسوف وارتداء عباءة أرجوانيَّة. ولمَّا وافق، رأى ديونيسيوس أنّ من المناسب اقتراح الشيء نفسه على أفلاطون. لكنَّ أفلاطون أجاب:

«من المستحيل أن أرتدي فستاناً نسائياً».

فردَّ أرستيبوس:

«في أعياد باخوس، لا يمكن أن ترتكب المرأة الحكيمة الفسوق».

ستوبيوس، المنتخبات، الثالث، *5*، *38*، ط. ***Wachsmuth-Hense***.

ذات يوم، لمَّا أمر الطاغية ديونيسيوس بإحضار ملابس نسائيّة إلى مأدبة لمن كان يودّ أن يلبسها ويشارك في الرقص، عندها رفض أفلاطون أن يفعل ذلك وهو يردّد هذا البيت:

«ما أنا بالشخص الذي يرتدي فستاناً نسائياً».

ردَّ أرستيبوس: «أعطِني [هذا الرداء]!

في أعياد باخوس لا يمكن أن ترتكب المرأة الحكيمة الفسوق».

غنومولوجيا الفاتيكان، *743*، ع. *41*، ط. ***Sternbach***.

وبما أنَّ ديونيسيوس، طاغية صقلية، أراد من الفيلسوفين أفلاطون وأرستيبوس ارتداء مثل هذا الثوب، فقد رفض أفلاطون ذلك بهذه الكلمات:

«لم أستطع أن أرتدي ثوب امرأة. أنا رجل».

فقبله أرستيبوس قائلاً:

«في أعياد باخوس، المرأة العفيفة لن تسمح لنفسها بالفساد».

وهكذا، كان يبدو الأمر بالنسبة إلى أحد الفلاسفة غيرَ مخزٍ للآخر.

سكستوس أمبريريكوس، الخطوط البيرونية العريضة، الثالث، الرابع والعشرون، ص. *324*.

في بلاط ديونيسيوس، طاغية صقلية، كان يشرب بكثرة، في حين كان يبدي للآخرين كيف كان ينبغي لهم أن يرقصوا. كان يفعل ذلك وهو يرتدي ثوباً أرجوانياً. لمَّا عُرِض على أفلاطون ثوب مماثل، ردَّ هذا الأخير ببيتين ليوربيدس:

«ما أنا بالشخص الذي يرتدي فستاناً نسائياً،

أنا الذي ولدت رجلاً من سلالة رجوليَّة».

في المقابل، ارتدى أرستيبوس الثوب، وأجاب وهو يضحك، بأبيات أخرى للشاعر نفسه:

«في أعياد باخوس، لا يمكن أن ترتكب المرأة الحكيمة الفسوق».

معجم سويداس، ط. ***Adler***.

قال لمن اتَّهمه بترك سقراط لأجل ديونيسيوس: «لكن، إذا كنت ذهبت إلى سقراط فذلك لأتعلَّم، في حين لدى ديونيسيوس لغرض اللـه».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *80*.

لمَّا قبل أرستيبوس المال الذي كان يأتيه من ديونيسيوس، في حين لم يأخذ أفلاطون سوى كتاب واحد، قال أرستيبوس لمَن كان يوبّخه لأجل ذلك: «هذا لأنّني في حاجة إلى المال، أمّا أفلاطون فيحتاج إلى الكتب».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *81*.

ولمَّا سئل لماذا كان ديونيسيوس يوبّخه، أجاب: «للسبب نفسه الذي يوبّخ به الآخرين».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *81*.

كان يسأل ديونيسيوس المال، فقال له: «ومع ذلك، يا أيّها الحكيم، كما يبدو، إنّك لن تكون في حاجة»... فقال أرستيبوس مقاطعاً: «أعطِنا وسنناقش المسألة». فأعطاه ديونيسيوس. فقال أرستيبوس: «أترى أنّي لست في حاجة؟»

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *82*.

قال له ديونيسيوس: «من يغشَ بلاط الحاكم ويتردّد إليه فهو عبده، ولن يصبح حرّاً أبداً»، فقاطعه أرستيبوس قائلاً: «إنَّ من يأتي إليك وهو حرٌّ، فلن يغدو عبداً أبداً». هذا ما يقوله ديوكليس في كتابه حول حياة الفلاسفة.

في الواقع، ينسب آخرون القول إلى أفلاطون.

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *82*.

لمَّا سأل الطاغية ديونيسيوس أرستيبوس متى سيتوقَّف أخيراً عن التسوّل لأجل المال، أجاب أرستيبوس: «حينما تتوقّف عن إعطائي إيّاه. وسيحدث ذلك عندما لا يغدو أحدنا سعيداً مع الآخر».

غنومولوجيا الفاتيكان، ع، *743*، *35*، ط. ***Sternbach***.

لمَّا كان ديونيسيوس يقول لأرستيبوس: «لم أجنِ منك أيَّ فائدة،» كان يجيب أرستيبوس: «نعم، هذا صحيح، لأنك لو جنيت فائدة، لشفيت من الاستبداد مثلما تشفى من الصرع».

ستوبيوس، المختارات، *4 8*، *23*، ط. ***Wachsmuth-Hense***.

لكن، مع ذلك، قضى مينيبوس في أمر لصالحه. كان ديون السّرقوسيّ يتّهم ديونيسيوس الصقليّ بالعديد من المعاصي التي يشهد عليها تمثله كشبح، وكاد يستسلم للحيوان الخرافيّ، عندما عمد أرستيبوس القورينيّ، الذي يحظى باحترام كبير، ويتمتع بسمعة كبيرة بين الموتى، إلى تبرئته بالقول إنّه أظهر نفسه ليبراليّاً تجاه العديد من العلماء.

[لفهم هذا النص، وهو مقتبس من كتاب لوقيانوس السميساطي، كان في الأصل حواراً في استحضار الأرواح، يحكي كيف نزل الفيلسوف الساخر مينيبوس إلى الجحيم لاستشارة أشباح الموتى. يشير النصّ إلى ديونيسيوس الأكبر، طاغية من سيراكيوز، حكم في القرن الرابع قبل الميلاد. وديون، صهره ومنافسه السياسيّ، الذي حاول الإطاحة به. وفاقاً للوسيان، اتُّهم ديونيسيوس بارتكاب جرائم عدَّة، وكان من المقرَّر أن يسلّمه للوحش الخرافيِّ ليعاقبه، لكنَّ أرستيبوس القورينيّ تدخَّل وأنقذه. م]

لوقيانوس السميساطي، مينيبوس أو استحضار الأرواح، (*13*)، ج. *1*، ص. *174*.

في الغالب، كان ديونيسيوس يقدّم له مبالغ كبيرة من المال هدايا، لكنّ أفلاطون لم يأخذ شيئاً. ومن هنا، قال أرستيبوس القورينيّ، الذي كان أيضاً في البلاط الصقليّ، في ذلك الوقت، إنَّ ديونيسيوس كان يقدّم هداياه وروائعه بالتأكيد: «لأنّه يعطي القليل لنا نحن الذين نطلب الكثير، ويعطي الكثير لأفلاطون الذي لا يأخذ شيئاً».

بلوتارخ، حياة ديون، الثالث والعشرون، حياة الرجال اللامعين، ص. *1005.*

قال أرستيبوس مازحاً إنَّه يعرف أيضاً شيئاً غريباً جدّاً سيحدث عمّا قريب. ولمَّا ألحَّ عليه الآخرون كي يقول ما هو، قال: «إنّني أتكهَّن لكم أنّه بعد مدة وجيزة سيصبح أفلاطون وديونيسيوس عدوّين». وكانت النهاية هي أنَّ ديونيسيوس باع ممتلكات ديون بالمزاد العلنيّ، واحتفظ بالمال، ووضع أفلاطون، الذي كان يقيم سابقاً في البستان المجاور لقصره، بين جنود حرسه، الذين لطالما تمنّوا له ضرراً كبيراً، وسعوا في قتله.

بلوتارخ، حياة ديون، الرابع والعشرون، حياة الرجال اللامعين، ص. *1006-1005.*

الطفيلي: (...) ماذا يمكن أن تقول عن أرستيبوس القوريني؟ أليس في رأيك هو من أشهر الفلاسفة؟

تيشياد: بالتأكيد.

الطفيلي: حسناً، في الوقت نفسه تقريباً، جاء للعيش في سيراكيوز، وأصبح متطفلاً على ديونيسيوس. كان هو الشخص الأكثر احتراماً بين كلّ الجالسين إلى مائدة الطاغية، بسبب تفوّقه في هذا الفنِّ، الذي تفوّق فيه على الآخرين، إلى

درجة أنَّ ديونيسيوس كان يرسل إليه طبَّاخيه كلّ يوم، ليتعلّموا منه دروساً. لذلك، يبدو لي أنّنا رفعنا فنَّنا إلى المستوى الذي يستحقّه.

لوقيانوس السميساطي، الطفيلي أو أن مهنة الطفيلي هي فن، (*33*)، ص. *183*.

إيسخينيس إلى فايدو: في سيراكيوز التقيت أرستيبوس في الساحة العامّة. أمسك بي من ذراعي اليمنى، وعلى الفور، ومن دون أدنى تردُّد، ذهب بي إلى ديونيسيوس، وسأله: «يا ديونيسيوس، إذا جاءك شخص ما إلى منزلك ليجعلك أحمق، أفلا يؤذيك هذا الشخص؟ ولمَّا جزم له الملك، تابع أرستيبوس: «وماذا ستفعل بمثل هذا الرجل؟» أجاب ديونيسيوس: «أسوأ الأمور».

- وتابع أرستيبوس: «ومن ناحية أخرى، إذا جاءك شخص ما إلى منزلك ليجعلك حكيماً، ألا يفيدك هذا الشخص فائدة عظيمة؟»

- «بالطبع»، أجاب ديونيسيوس.

«حسناً»، قال أرستيبوس، «حسناً، ها هو ذا إيسخينيس، أحد تلامذة سقراط، الذي أتى إلى هنا ليجعلك حكيماً، أي أن يفعل الخير لك. لذا، إذا كنت تتفق مع ما قلته لي توّاً، فعامل، إذاً، إيسخينيس كما ينبغي».

وعندها تكلَّمت وقلت:

«يا ديونيسيوس، بادر أرستيبوس ببادرة صداقة رائعة نحوي، وهو يصطحبني معه. اعلم أنَّ حكمتي ليست غير عادية [كما قدّمها لك]، لكنّها تكفي لعدم ارتكاب الظلم تجاه الأصدقاء.» وبعد أن اقتنع بأقوالنا، قال ديونيسيوس إنّه كان يقدّر كلمات أرستيبوس، وأنّه سيكافئني، كما وعد، وهو يستحسن خطاب أرستيبوس. ثمّ استمعَ إلى سيبياديسي ***Alcibiade***

[حواراتي]، وقد بدا أنَّها تعجبه، لأنّه طلب إليَّ أن أرسل إليه حوارات أخرى كنت قد ألفّتها. نعدكم، أيّها الأصدقاء الأعزاء، بالعودة في أسرع وقت ممكن. لكنّني كدت أنسى... حضر أفلاطون قراءتي أيضاً، لكنّه وجد أنّ من المنطقيّ التحدّث إليه عنّي [مع ديونيسيوس] على نحو منفصل، بسبب وجود أرستيبوس. ما إن صرفه ديونيسيوس، قال لي [أفلاطون]: «يا إيسخينيس، في حضور هذا الرجل - وكان يعني أرستيبوس- لا رغبة لي في التحدّث بصراحة. لكنّ ديونيسيوس سيؤكّد لك أنّني تحدّثت إليه عنك. وبالفعل، في اليوم التالي، في الحديقة، أكّد لي ديونيسيوس أنّ أفلاطون أخبره بأشياء كثيرة عنّي. لكنّني طلبت إلى أفلاطون وأرستيبوس التوقّف تماماً، وإلى الأبد، عن هذه الصبيانيّة - هذه بالضبط هي الكلمة التي يجب استخدامها بشأنهما - نظراً للمكانة التي يتمتعان بها بين الناس. لأنّنا لا نستطيع أن نصبح أكثر سخافة من خلال التصرّف بهذه الطريقة، وبإعلان أفعالنا [الغبية] على الملأ.

الرسائل السقراطية، الثالث والعشرون، ط. ***Köhler***.

يقال إنّ أفلاطون أبحر ثلاث مرَّات إلى جزيرة كاريبديس، إذ جذبته ثروات صقلية، وإنّ أرستيبوس القوريني وهيليكوناس السيزيكوسي وفيتون، عندما غادر ريجيوم، انغمسوا في كنوز ديونيسيوس إلى درجة أنّهم بعناء تمكّنوا من مغادرتها.

معجم سويداس، إيسخينيس، ط. ***Adler***.

(...) وعندما كان أبوليونوس يريد مساعدته في خطابه، تابع: «ألن تكون قدوة يا داميس؟ وهنا بعض منهم: عاد إيسخينيس، وابن ليسانياس، إلى صقلية وإلى ديونيسيوس ليحصلا على المال. ويقال إنّ أفلاطون عبر مضيق كاريبديس ثلاث مرات بحثاً عن كنوز صقلية. وعندما نفي أرستيبوس القوريني وكلّ من

هيليكوناس السيزيكوسي، وفيتون الريجيوني، انغمسوا في خزائن ديونيسيوس إلى درجة أنَّهم واجهوا صعوبة كبيرة في الخروج منها.

فيلوسترات، حياة أبوليونوس الطواني، ص. *1062*.

كان أنتيستينيس، الفيلسوف الساخر، يغسل الخضراوات، عندما رأى أرستيبوس، فيلسوف قورينة، وديونيسيوس، طاغية صقلية، يقتربان. فقال لأرستيبوس: «إذا كنت راضياً عن ذلك، فلن تضطرّ إلى السير على خطى الملك. أجاب أرستيبوس: «وإذا كنت تستطيع التحدّث بهدوء مع الملك، فلن تعود راضياً عن خضراواتك.»

[***De chria***] ***CAES. BASS.***، ط. ***Keil***.

ذات يوم، لمَّا رأى أرستيبوس ديوجينيس يغسل الخضراوات البريّة بالقرب من نبع، قال له: «يا ديوجينيس، إذا ما تودّدت إلى الطغاة، فلن تأكل الخضراوات». فردَّ عليه ديوجينيس: «يا أرستيبوس، إذا كنت تأكل الخضراوات، فلن تأكل من موائد بلاط الطغاة».

غنومولوجيا الفاتيكان، *743*، ع. *192*، ط. ***Sternbach***.

ذات يوم، لمّا كان أرستيبوس يمرّ، سخر منه ديوجينيس، الذي كان يغسل الخضراوات، قائلاً: «إذا كنت قد تعلّمت أن تأكل هذه الخضراوات، فلن تأكل من موائد الطغاة»، فردَّ عليه أرستيبوس: «وأنت، إذا كنت قادراً على العيش بصحبة الرجال، فلن تغسل الخضراوات!»

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *68*.

«إذا كان يتناول في الغداء خضراوات!» تعود هذه العبارة إلى ديوجينيس الكلبيّ، وكانت موجّهة إلى أرستيبوس، فيلسوف المدرسة القورينية. ومعناها

أنّه إذا قبل المرء الفقر بصفاء، فلن يضطرَّ أبداً إلى اتّباع الملوك، لكن إذا فضّل المرء أن يتبع الملوك، فلن يكون قادراً على تحمّل بؤس الفقر بروح صافية.

ومن هنا جاء المثل القائل: «الحصان يحملني، والملك يطعمني.»

ويروى أنَّ أفلاطون قال لأرستيبوس، بنبرة مازحة، عندما رآه يلتفّ بثياب رثّة بعد غرق السفينة: «يا أرستيبوس، كلّ شيء يناسبك!». يقال إنّ هذا لم يخترعه هوراس، لكن الحقيقة الخالصة. يقال إنّ أرستيبوس اقترض المعطف البالي من ديوجينيس وترك له معطفاً أرجوانيّاً.

بورفيريون، التعليقات على رسائل هوراس، الأول، *17*، *13* مربع، ط. ***Holder***، ج. *13*، *20*، *23*، *32*.

«إذا استسلم لتناول وجبة غداء نباتيَّة بفارغ الصبر...»، يوضّح لنا التاريخ مدى فائدة صداقة الأقوياء، وهو يقدّم لنا اثنين من الفلاسفة كمثالين: ديوجينيس الكلبيّ، من المدرسة الأبيقورية، المؤيّد للإسكندر الأكبر، وأرستيبوس الرواقيّ، الذي كان يرفض عبادة الأقوياء، مكتفياً بالشحيح. وذات يوم، وبينما كان أرستيبوس يقطف الخضراوات، ظهر ديوجينيس وقال له مازحاً: «إذا كنت تعرف كيف تستفيد من الملوك، فإنّك ستحتقر الخضراوات». فأجاب أرستيبوس: «إنّ ديوجينيس، الذي يلومني الآن، لن يكون لديه بالتأكيد وقت للاستفادة من الملوك، إذا كان يتناول خضراوات مثلي». وهذا نوع من المبالغة.

الخامس 23: يمدح أرستيبوس وفاقاً لكلمات أفلاطون. لمّا رآه هذا الأخير بعد غرق سفينة، مرتدياً معطفاً من قطعتين (أي يطوى إلى قطعتين) وفي حالة سيئة للغاية، [هو] هنَّأه قائلاً: «كلّ لون، كلّ موقف، كلّ شيء يناسب أرستيبوس، أنت رجل حكيم تعرف كيف تستفيد من الأشياء البسيطة، وكذلك العظيمة».

الخـامس. 30: يقـال إنّ أريسـتبوس دعـا ديـوجينيس إلى الحمّامـات، وتأكّـد أنّ الجميع قد ذهبوا إليها قبله، فلبس معطف ديوجينيس، وترك له رداءه الأرجوانيّ. لمّا خرج ديوجينيس، ولمّا كـان لا يريـد أن يرتـدي [معطفـاً أرجوانيـاً]، طالبـه بمعطفـه. وبَّخه أرستيبوس لكونه عبداً لشهرته، ولأنّه كان يفضّل أن يشعر بالبرد عـلى أن يُـرى في رداء أرجوانيّ.

PS. ACRON., Schol. in Horat. epist. , I, 17, 13 sq., éd. Keller, v. 13.

في أثناء إقامة هذا الفيلسـوف في سـيراكيوز، رآه أرسـتيبوس يغسـل الـخضراوات، فقال له: «إذا كنت تريـد أن تتملَّـق ديونيسـيوس، فلـن تأكـل مثـل هـذا الطعـام». أجاب ديوجينيس: «وأنت نفسك، إذا كنت تريد أن تتنـاول مـن هـذا القبيـل، فلـن تتملّق ديونيسيوس.» (334 قبل الميلاد).

فلير مكسيم، أفعال وكلمات لا تنسى، الرابع، والثالث، ص. *657*.

ذات يوم، لاحظ (ديوجينيس) أفلاطون في مأدبة باذخة كان يتناول فيها الزيتون، فقال له: «لماذا لا تستغلّها أنت، أيّها الحكيم، أنت الذي عبر البحر إلى صقلية لـيرضي نفسه على موائد كهذه، بعد أن أصبحت مباشرة أمامـك؟» أجابـه أفلاطـون: «لكـن، وحقّ الآلهة، يـا ديـوجينيس، أنـا أيضـاً كنـت أتنـاول طعـامي العـادي مـن الزيتـون وأطباق من هذا النوع». استأنف ديوجينيس: «إذاً، ما فائدة المجيء إلى سيراكيوز؟» لكنّ فافورينوس، في كتابه (التاريخ المتنوع)، ينسب هذه الملاحظة إلى أرستيبوس.

ديوجينيس اللائرتي، السادس، *25*.

ويروي البعض أنّ أرستيبوس السقراطيّ بعث سابقاً إلى الطاغية (...).

لوسيليوس، هجائيات، المجلد الثاني، الكتاب. الثامن والعشرون، *7*، ص. *175*.

أرستيبوس: كان هذا الفيلسوف مـن قورينـة يشـعر بقـوّة لا تصـدّق تجذبـه إلى الطهاة في سبيل معدته. كان سفسطائياً مـع ديونيسـيوس الأكـبر في صـقلية، يعـيش حياة الميوعة، وهو يمارس مهنة التطفّل بلا خجل، ويتملّق بلا حدود.

لوقيانوس السميساطي، مينيبوس أو استحضار الأرواح، (*13*).

ج- لا أمر ولا طاعة

كان عليه [أرستيبوس] مقابلة فارنافازوس، مرزبان الملك، وعندما قال له أحدهم: «تشجّع، يا أرستيبوس!» ردَّ: «ربّما كان لـديك شيء آخـر تخـبرني بـه. لأنّنـي، منـذ أن تحدّثت إلى سقراط، لم أعد أخشى مواجهة أيّ شخص.»

غنومولوجيا الفاتيكان، *743*، ع. *43*، ط. ***Sternbach***.

كان [أرستيبوس] يقول إنّه لمن السخف أن نصلّي للآلهة لنطلـب منهـا المـال. لأنّ الأطبّاء لا يعطون المريض الطعام والشراب عندما يطلبه، لكن عندما يرون أنّه مفيـد يعطونه له.

غنومولوجيا الفاتيكان، *743*، ع.*32*، ط. ***Sternbach***.

عن أرسـتيبوس: كـان أرسـتيبوس، الفيلسـوف القـورينيّ، يقـول: «إنّ الفـرق بـين الملكية والاستبداد هو نفسه بين القانون والشذوذ أو بين الحريّة والعبوديّة».

ستوبيوس، منتخبات، الرابع، *8*، *18*، ط. ***Wachsmuth-Hense***.

1- كان يبدو لي أيضاً أنّـه مـن خـلال محادثـات مثـل تلـك، التـي أُوشـك أن أتحدَّث عنها، كـان سـقراط يحـثّ تلامذتـه عـلى ممارسـة الاعتـدال في الطعـام والشراب، ومقاومة البرد والحرارة والإرهاق. وبعد أن علم أنّ أحد تلامذته كـان متطرّفاً في هذه الأمور، سأله: «أخبرني، يا أرستيبوس، إذا كنت قد أوكلـت إليـك مهمّة تربية شـابّين، لأن يصـبح أحـدهما قـادراً عـلى القيـادة، والآخـر لا يفكّـر

حتّى في الادّعاء في القيادة، فكيف يمكنك تدريب كلّ منهما؟ هل تريدنا أن نفكّر في القضيّة بدءاً بالعناصر الأولى، أي الطعام؟»

أجاب أرستيبوس: «نعم، يبدو لي، بادئ ذي بدء، أن نأتي بالطعام، لأنّنا لن نعيش حتّى، إن لم نتغذَّ».

2- أليس من الطبيعيّ أن يشعر كلاهما بالرغبة في تناول الطعام في أوقات معيَّنة؟

قال: «في الحقيقة، إنّه لأمر طبيعيّ».

- إذا كان هناك من يضطرّ إلى الاهتمام بمسألة ملحّة بدلاً من إشباع شهيته، فأيّ من الاثنين يمكن أن نعتاد عليه؟

قال: «بحقّ زيوس، من يرقى إلى القيادة، حتّى لا تظلّ شؤون الدولة معلّقة في أثناء إدارته».

وتساءل سقراط: «عندما يريدان الشرب، أليس من ينبغي أن تُبعث فيه القوّة لمقاومة العطش؟» قال: «نعم، بطبيعة الحال».

3- وإذا كان عليه أن يقاوم النعاس، حتّى يتمكَّن من أن يذهب إلى الفراش في وقت متأخّر، والاستيقاظ مبكراً، والسهر، إذا لزم الأمر، فعلى أيّ من الاثنين سنعتاد؟

قال: «هو نفسه أيضاً».

- وإذا كان عليه أن يتحكّم في رغباته الغراميّة، حتّى لا تمنعه من فعل ما قد يتعين عليه فعله؟

أجاب: «هو نفسه أيضاً».

- وإرادة عدم التهرّب من الأعمال، بل مواجهتها بمحض إرادته، على أيّ من الاثنين سنعتاد؟

قال: «هذا الأمر أيضاً منوط بمن نشأ على القيادة».

- وإذا كان هناك فنّ يمكن أن يتعلّم به السيطرة على خصومه، فأيّ من الاثنين هو الأكثر ملاءمة لنقوم بتدريسه؟

أجاب: «بالأحرى، وبكثير، قسماً بزيوس، لمن نشأ على القيادة، لأنّ الفنون الأخرى عديمة الفائدة من دونه».

4- ألا تعتقد أنّ الرجل الذي نشأ على هذا النحو سيكون من السهل على الأعداء اصطياده من اصطياد الحيوانات الأخرى؟ البعض، كما تعلم، تغويهم الشراهة، وعلى الرغم من أنّهم في بعض الأحيان يكونون خجولين للغاية، لكنّ الرغبة في تناول الطعام تدفعهم نحو الطُّعم، وبه يُصطادون، أمّا بالنسبة إلى الآخرين، فإنّ الرغبة في الشراب هي التي توقعهم في الفخّ.

قال: «هذا صحيح».

- البعض الآخر، مثل طيور السُّمانى والحجل، شهوانيون للغاية، إلى درجة أنَّه عند سماع صوت الأنثى تجرفهم الرغبة ورجاء اللذّة، فيفقدون كلَّ إحساس بالخطر، ويرمون أنفسهم في الشِباك. ألا يتصرّفون هكذا؟

قال: «أتفق معك في ذلك أيضاً».

- حسناً، ألا تعتقد أنّ من العار أن يسمح الإنسان لنفسه بالوقوع في الفخاخ نفسها مثل أغبى الحيوانات؟ هذا ما يحدث للزناة، في سبيل المثال، عندما يدخلون شققاً مغلقة، مع العلم أنّهم يعرّضون أنفسهم للعقوبات التي يهدّدهم بها القانون، ويمكن أن يقعوا في شرك وإساءة معاملتهم. عندما يكون الزاني مهدّداً بمثل هذه الأضرار، وبمثل هذا الهوان، بينما، من ناحية أخرى، لديه الكثير من الوسائل للتخلّص من الرغبات الغراميّة من دون التعرّض لأيّ مخاطرة، أليس من الجنون المحض أن يلقي المرء بنفسه إلى التهلكة؟

قال: «هذا رأيي أيضاً».

6- وحينما يُنظر إلى أنّ مهن الرجال الأساسيّة تُمارس في الهواء الطلق، مثل الحرب والزراعة وغيرها، التي ليست ذات أهميّة تذكر، ألا تعدّها تقصيراً كبيراً لأنّ كثيراً من الرجال لا يتدرّبون على تحمّل البرد والحرارة؟

قال: «أتَّفق معك في ذلك».

- «إذاً، ألا تعتقد أنَّه يجب علينا تدريب من يقود على تحمّل سوء الأحوال الجويّة أيضاً؟»

قال: «أجل، حقّاً».

7- إذا كنّا، إذاً، من بين الرجال المناسبين لقيادة أولئك الذين يقاومون كلّ هذه المضايقات، ألا نصنّف أولئك من غير القادرين على فعل ذلك من بين أولئك الذين لا يستطيعون الارتقاء بأدنى مطالبة بالقيادة؟

قال: «أتَّفق في ذلك أيضاً».

«حسناً، الآن، بما أنّك تعرف المكانة التي تستحقّها كلّ فئة من هاتين الفئتين من الرجال، فهل فكَّرت يوماً في أيّ مكانة يمكنك أن تضع فيها نفسك على نحو عادل؟

8- «نعم»، قال أرستيبوس، «وأنا لا أتفق على الإطلاق مع أولئك الذين يريدون القيادة. يبدو لي، في الواقع، أنّ المرء يجب أن يكون مجنوناً بالمعنى الكامل، عندما يكون من المهمّ جداً له أن يتزوّد بضروريات الحياة، حتّى لا يقتصر على هذه الرعاية، ويفرض على نفسه عبء توفير احتياجات مواطنه. أن يحرم نفسه من أشياء كثيرة يرغب فيها، ويضع نفسه على رأس الدولة ليكون مترجماً للعدالة، وإذا لم ينفّذ كلّ ما تريده المدينة، أليس هذا هو ذروة الجنون؟»

9- «بعد كلّ شيء، يدّعي الناس أنّهم يعاملون حكّامهم كما أعامل عبيـدي. أريـد من عبيدي أن يزوّدوني بكلّ ما أحتاج إليه بوفرة، وبكلّ ما هو ضروريّ بالنسـبة إليَّ، لكنَّهم يجب إلّا يلمسوا أيّ شيء، ويتوقّع الشعب أن يزوّده حكّامه بأكبر قدر ممكن من الخيرات، وأنّهم هـم أنفسـهم لا يلمسـون شـيئاً. لـذا، إذا كـان هنـاك أشـخاص يريدون إحداث الكثير من الإحراج لأنفسهم وللآخـرين، فسـوف أدرّبهـم كـما قلنـا، وسأصنّفهم بين أولئك الذين يصلحون للقيادة، لكنّي أصنّف نفسي بين أولئك الـذين يرغبون في الحصول على حياة أسهل وأكثر متعة ممكنة».

10- ثمَّ سأل سقراط: «هل تريد منّـا أن نفحـص أيضـاً مـن يعـيش حيـاة راضـية مرضية، أولئك الذين يحكِمون أو أولئك الذين يُحكَمون؟»

قال: «بكلّ طيبة خاطر».

- لنأخذ أولاً الدول التي نعرفها. في آسيا، الفرس هم الذين يحكمون، والسـوريون والفريجيـون والليـديون هـم مـن يُحكمـون. في أوروبـا، الحكّـام هـم السـكوثيون، والميوتيسيون هم المحكومون، في ليبيـا، الحكّـام هـم القرطـاجيون، والليبيـون هـم المحكومون. من بين هـذه الشـعوب، في رأيـك، أيّ مـن هـذه الشـعوب تعتقـد أنّهـا تعيش على نحو أكثر رضا؟ ومن بين اليونانيين، الذين أنت نفسك واحـد مـنهم، كـما يبدو لـك، أيّهـم في اعتقـادك يعـيش أحـلى حيـاة، أولئـك الـذين يقـودون أم الـذين يُقادون؟

11- أنا، قال أرستيبوس، أنا لا أضع نفسي في عداد العبيد، لكن يبدو لي أنّ هنـاك طريقاً وسطاً أحاول السير فيه. هذا الطريـق لا يسـلك مـن خـلال السـلطة، ولا مـن خلال العبوديّة، بل من خلال الحريَّة التي هي طريق السعادة العظيم.

12- إذا كان هذا الطريـق، الـذي لا يمـرّ عـبر السـلطة، ولا مـن خـلال العبوديّـة (تابع سقراط)، ولم يكن يمرّ عبر مجتمـع الرجـال أيضـاً، فربّمـا يكـون مـا تقولـه هنـا

منطقيّاً. لكن، إذا كنت، بين الرجال، لا تريد أن تأمر أو تطيع، أو تخدم عن طيب خاطر أولئك الذين يأمرون، فأنا لا أعتقد أنك غير مدرك لكيفية تمكّن الأقوى من جعل من هم الأضعف يبكي، ويعاملهم كالعبيد.

13- أوَلا ترى كيف يحصدون المحاصيل التي بذر حبَّها الآخرون، ويقطعون الأشجار التي زرعها آخرون، وكيف يحاصرون بكلّ طريقة أولئك الذين يرفضون خدمتهم، حتّى يقودوهم إلى تفضيل العبوديّة على الصراع مع الأقوياء؟ وبالمثل، في الحياة الخاصّة، ألا ترى أنّ الشجاع والقويّ يستعبد ويضغط على الجبان والضعيف؟

قال: «نعم. لكنّني، لتجنّب هذه الشرور، فأنا لا أحبس نفسي في مدينة، أنا غريب في كلّ مكان».

14- هتف سقراط: «هذه بالتأكيد خدعة ذكيّة. فمنذ وفاة سينيس وسكيرون وبروكروستيس، لم يعد الأجانب يتعرَّضون لسوء المعاملة من قبل أيّ شخص. ومع ذلك، في الوقت الحاضر، يضع أولئك الذين يحكمون بلادهم قوانين لحماية أنفسهم من الظلم، ولا يكتفون بدعم أقاربهم، فهم ما زالوا يكوّنون أصدقاء يدعمونهم، ويحيطون مدنهم بالأسوار، ويمتلكون الأسلحة لصدّ الاعتداءات الغاشمة، ويتحالفون مع حلفاء في الخارج، ولمّا وحّدوا كلَّ هذه القوى، لم يكونوا على هذا الأساس في مأمن من الأذى.

15- وأنت، من لا تملك أيّاً من هذه الموارد، وتقضي الكثير من الوقت على الطرقات، والأماكن التي تُرتكب فيها معظم الجرائم، أنت الذي في أيّ مدينة تصل إليها أقلّ من أدنى المواطنين، أنت، بحكم وضعك، على وجه الخصوص، ستكون مطمعاً لهجمات المجرمين، فهل تتخيّل، لأنك أجنبيّ، أنّك ستنجو من الأذى؟ هل لأنّ المدن لديها نذير يعلن أنّه يجب احترامك عند وصولك،

وعندما تغادر، تشعر بكثير من الثقة؟ أم لأنّك تعتقـد أنّ عبـداً مـن نوعـك سـيكون عديم الفائدة لأيّ سيّد؟ من ذا الذي يريد حقّاً أن يكون في منزلـه رجـل لا يريـد أن يفعل أيَّ شيء، ويحبّ أن يعيش حياة مترفة؟

16- لكن، دعنا ننظر مرة أخرى كيف يتعامل السادة مع مثل هؤلاء الخدم. أفـلا يصحّحون شـهواتهم بالصـوم؟ ألا يمنعـونهم مـن السرقـة بـإغلاق الأمـاكن التـي قـد يمكـنهم أن يختطفـوا منهـا شـيئاً مـا؟ ألا يمنعـونهم مـن الهـرب وهـم يقيـدونهم بالسلاسل؟ ألا يروّضون بالضرب؟ بل بالأحرى، كيف تفعل ذلك أنت بالـذات عنـدما تدرك أن لديك خادماً من هذا النوع؟

17- قال: «أعاقبه، بكلّ أنواع العقوبات التأديبية حتّى أرغمه عـلى أداء الخدمـة. لكن، في الواقع، يا سقراط، أولئك الذين تربوا على مهنة الملوكيّة، أين ترتّب لي وضـع السعادة، فيما هـم يختلفـون عـن أولئـك الـذين يعـانون الفاقـة، إذا كـان لا بـدَّ أن يشعروا بالجوع والعطش والـبرد، ويسـهرون ويتحمّلـون طواعيـة كـلّ أنـواع البـؤس الأخرى؟ وسواء وافق الرجل نفسه على تمزيـق جلـده بالسـوط أم لم يوافـق، وسـواء وافق على أن يتعرّض جسده لكلّ أنواع التعذيب مـن هـذا النـوع أم لم يوافـق، فـلا أرى فرقاً في ذلك، وإلّا فإن الجنون ينضاف إلى حالة من يخضع طواعية للمعاناة».

كسينوفون, الذكريات، ***II, I, (1 à 17), p. 315-31***.

بعد أن أدخله شخص مسكناً رائعاً، ونهاه عن البصق، وبعد أن قشط ديوجينيس حلقه، رمى البصقة في وجهه، وأخبره أنه لم يجد مكاناً أقلَّ ملاءمة. وينسـب آخـرون الحكاية إلى أرستيبوس.

ديوجينيس اللائرتي السادس *32*.

بالنسبة إلى ما نفعله، بحسب الأعراف، أو وفاقاً لمؤسّسات المدينة، لا يوجد، في هذا الصدد، أيّ شيء نوصي به، فالعادات والمؤسّسات هي، في حدّ ذاتها، لوائح وعمل، ويجب ألّا نسمح لأنفسنا بالانحراف إلى حدّ الاعتقاد، لأنّ سقراط أو أرستيبوس كانا يتعارضان أحياناً في أفعالهما أو كلماتهما، مع عادات أو أعراف المدينة، بأن نسمح لأنفسنا بالتصرُّف بالطريقة عينها، وذلك بسبب صفاتهما العظيمة، وصفاتهما الإلهيّة، التي تمكّنوا بها من الوصول إلى هذه الحريّة.

شيشرون، رسالة في الواجبات، الأول، (*148*)، ص. *546*.

شذرات قورينيَّة

1- التلاميذ

أ- القورينيُّون

في الفلسفة ثلاثة أجزاء: المادية والأخلاقية والديالكتيكية. تتعامل المادية مع العالم والكائنات التي يحتويها، وتتعامل الأخلاق مع الحياة والشؤون التي تهمنا، أما الديالكتيك فهو الجزء الذي يتعامل مع المنطق (الذي يطبقه) الجزآن الآخران. حتّى أرخيلوس كانت هناك الفلسفة ذات المظهر المادي، وبدءاً من سقراط فصاعداً، كانت هناك، كما قلنا، الفلسفة ذات المظهر الأخلاقيّ، وبدءاً من زينون، كانت الفلسفة ذات المظهر الديالكتيكيّ.

بالنسبة إلى الأخلاق، كانت هناك عشر مدارس فكريّة، هي: الأكاديمية، القورينية، الأيلية، الميغارية، الكلبية، الإريتريّة، الديالكتيكية، المشائية لأرسطو، الرواقية والأبيقورية.

كان أفلاطون على رأس المدرسة الأكاديمية القديمة، وكان يرأس الأكاديمية الوسطى أركسيلاوس، والأكاديمية الجديدة لاسيديس، أمَّا أرستيبوس القيرويني فكان على رأس المدرسة القورينية، وعلى رأس الأيلية فايدو الأيلي، ويرأس إقليدس الميغاري المدرسة الميغارية، وعلى رأس المدرسة الكلبيّة أنتيسِتنيس الأثيني، والمدرسة الإريترية مينديموس الأريتري، والمدرسة الديالكتيكية كليتومخوس القرطاجني، وأرسطو للمدرسة المشائية، وزينون للمدرسة الرواقية، أمّا المدرسة الأبيقورية فقد سميت باسم أبيقور نفسه.

ويقول هيبوبوتوس (...)، في أطروحته عن مدارس الفكر، إنّ هناك تسع مـدارس أو حركات فكريّة: 1. المدرسة الميغارية، 2. الإريترية، 3. القورينية، 4. الأبيقوريـة، 5. الأنيقاريية، 6. الثيودوروسية، 7. الزينونيـة، و(تـدعى) الرواقيـة أيضـاً، 8. الأكاديميـة القديمة، 9. المشائية. لكنّه لا يذكر الكلبيّة ولا الأيلية ولا الديالكتيكية.

اشتهر بعـض الرجـال في قورينـة، مثـل أرسـتيبوس السـقراطيّ، الـذي كـان أصـل الفلسفة القورينية.

سترابو، الجغرافيا، السابع عشر، *3*، *22*، ط. ***Kramer***.

أرستيبوس ابن أريتاد، من قورينة، الفيلسوف تلميذ سقراط. منه أخذت المدرسة القورينية اسمها. وهو أول السقراطيين ممّن طالبوا بأجر. كان يكره زينوفـون كثـيراً، ويعرف كيف يتكيّف مع كلّ لحظة، وفي كلّ مكـان. كـان يسـتمتع بحـاضر الأشـياء، ويسعى وراء اللذّة في كلّ مكان. لم يكلّف نفسه عنـاء البحـث عـن المتعـة في مكـان آخر غير الحاضر. لهذا السبب، أطلق عليه ديوجينيس اسم «الكلب الملـكيّ». ولـدينا عنه العديد من الأقوال المأثورة.

معجم سويداس، ط. ***Adler***.

كانت آريتي ابنة وتلميـذة أرسـتيبوس قـد أنجبـت أرسـتيبوس الأصـغر، الملقّـب بـ«ميترودیـداكتوس». وهـذا كـان تلميـذاً لثيـودوروس، الـذي كـان يلقـب في البـدء بـ«الملحد»، ثمّ «الإله»، وكـان هـذا الأخـير بـدوره تلميـذاً لأنتيبـاتروس، وهـذا كـان تلميذاً لأبيتيميديس القـورينيّ، وهـذا كـان تلميـذاً لبارييـاتيس، وهـذا كـان تلميـذاً لهجسـياس، الملقـب بــ «الرجـل الـذي يقنـع النـاس بـالموت»، وهـذا كـان تلميـذاً لأنيقريس، الذي دفع فدية أفلاطون.

معجم سويداس، ط. ***Adler***.

أصبح بعض سكّان قورينة مشهورين للغاية، مثل أرستيبوس [...] وابنته، آريتـي، التي خلفته في رئاسة المدرسة، تلاها ابنها أرستيبوس، الملقّب بـ ميترودبداكتوس

سترابو، الجغرافيا، السابع عشر، *3*، *22*، ط. ***Kramer***.

نظـراً لأنّ مدرسـة سـقراط قـد أنجبـت العديـد مـن التلاميـذ، وبمـا أنّ كـلّاً مـن المذاهب المختلفة المدرجة في تعاليمها الواسعة قد ربطت نفسها بموضوع مختلـف، فقد رأينا ولادة العديد مـن الأُسر المتميـزة، المنقسـمة في الـرأي، والمعارضـة لبعضـها بعضاً، على الرغم من أنّ كلّ واحدة ادّعت أنّها وريثة اسم ومبادئ مؤسّسها.

درّس أفلاطون أرسـطو وزينـوقراط: أحـدهما كـان زعـيم المشـائين، والآخـر مـنح مدرسته اسم الأكاديمية. وأنتيستينيس، الذي كان، في محادثات معلمه، شـغوفاً عـلى نحو خاصّ بدروس الصبر والحزم، فأنجب طائفة الكلبيين، ثـمّ طائفـة الـرواقيين. أمّـا أرستيبوس، الذي أغوته خطاباته حول الشهوانيّة، فقد درس الفلسفة القورينية التـي دافع عنها جهراً هو وخلفاؤه.

شيشرون، ثلاث حوارات حول الخطيب، الثالث، والسادس عشر، والسابع عشر، ص. *300*.

بما أنّنا راجعنـا الفلاسـفة مـن أرسـتيبوس وفيـدون، فلنتـابع الآن مـع المتشـائمين [الكلبيين] والرواقيين المنحدرين عن أنتيسِتنيس.

ديوجينيس اللائرتي، السادس، *19*.

الآن، بعد أن كتبنا عن حياته، حسناً لنلقِ نظرة على سلالته: القورينيون - الـذين أطلـق بعضـهم عـلى أنفسـهم اسـم الهيجيسياسـيين، وآخـرون اسـم الأنيقريسيين، وآخرون اسم التيـودوريين -، لكـن مـن الضروريّ أيضـاً المـرور

بأولئك من سلالة فيدون، الذي يعدّ كوريفيوس من الإيتيريين. وإليكم كيفية تمثل التتابع.

تلامذة أرستيبوس: آريتي، ابنته، وكذلك أيثيوبس، بتوليمايسي وأنتيباتروس القوريني، تلميذ آريتي: أرستيبوس الابن الملقّب ميترودياكتوس، وتلميذ أرستيبوس هذا: ثيودوروس الملحد، ثمّ «الإله»، وتلميذ إنتباتروس: إبيتيميدس القوريني، وتلميذ إبيتيميدس: باريباتيس. وتلاميذ باريباتيس: هيجيسياس، المدافع عن الانتحار، وأنيقريس الذي دفع فدية أفلاطون.

ديوجينيس اللائرتي، الثاني *85* و*86*.

استمدَّت المدارس الفلسفية السبع أسماءها من أسماء سبعة من الفلاسفة [...] أو من البلد الذي بدؤوا فيه التفلسف، كما هي الحال مع ما يسمّى بالفلسفة «القورينية».

عمون، أرسطو. فئة، ***p. 1***، ***13***، ط. ***Busse***.

لأنَّ هناك سبع صيغ لتسمية مدارس الفلسفة [...] إمّا من موطن رئيس المدرسة، في سبيل المثال القورينية المستمدّة من موطن أرستيبوس.

فيلوبون،، أرسطو. فئة ***p. 1***، ***19***، ط. ***Busse***.

يُطلق على المدارس الفلسفيّة بسبع طرائق مختلفة [...] على اسم موطن رئيس المدرسة، في سبيل المثال «المدرسة القورينية» لأرستيبوس القوريني [...]. تسمّى المدارس [...] أو باسم مدينة مؤسّسها، مثل المدارس القورينية.

أولمبيودور، أرسطو، فئة،، ص. *3*، *8*، ط. ***Busse***.

أول نقطة مهمّة في فلسفة أرسطو هي التحقيق في عدد وأسماء المدارس الفلسفيّة. يجب أن نعلم أنّ هناك سبع طرائق [...] إمّا مستمدّة من موطن

رئيس المدرسة، كما هي الحال بالنسبة إلى المدرسة القورينيّة، التي استمدّت اسـمها من أرستيبوس القوريني.

إلياس، أرسطو. فئة، ص. *108*، *15*، ط. ***Busse***.

تسمّى المدارس الفلسفيّة بسبع طرائق مختلفة [...] فتكون باسم مـوطن رئـيس المدرسة، مثل المدارس القورينية المنسوبة إلى أرستيبوس.

سامبلسيوس، أرسطو. ***p***، ص. *3*، *30*، ط. ***Kalbfleisch***

تُعرَّف كلّ فلسفة [...] تبعاً لمؤسّسها ومدينته ومذهبـه. في سـبيل المثـال، تُـدعى مدرسة أرستيبوس الأرستيبوسية، نسبة إلى مؤسّسها القورينيّ، وتبعـاً للمدينـة التـي كان ينتمي إليها، المتبنّي مبدأ المتعة، وتبعـاً لهـدف هـذه الفلسـفة. لأنّ أرسـتيبوس كان يميل بالأحرى إلى اللذّة.

[غالين]. التاريخ الفلسفي، الرابع، ط. ***Diels***.

من بين السقراطيين، سنذكر فقط أولئك الذين تركوا تلامذتهم ورثة لهـم. ونعنـي بذلك أفلاطون [...]، كان أرستيبوس ينتمي إلى المجموعـة السـقراطية، ومنـه جـاءت الفلسفة القورينية.

[غالين]. التاريخ الفلسفي، الثالث، ط. ***Diels***.

هَدى سقراط كثـيراً مـن النـاس إلى الفلسـفة [...] وكـذلك أرسـتيبوس القـورينيّ، الذي أنشأ تقليداً فلسفياً منفصلاً، ما يسمّى بالمدرسة «القورينية».

معجم سويداس،، ط. ***Adler***.

وفاقاً لما قاله أنتيكونوس الكاريستيسي، فإنّ الحكيم زينـون، وهـو يتوقّـع - على ما يبدو - حول أسلوب حياتك المنحرفة، قـال إنّ أولئـك الـذين لم يفهمـوا خطبه وكانوا يرفضون الانصياع لقواعدها، سيظلّون وقحين ومستعبدين، تمامـاً

كـما أصـبح فـيما بعـد أولئـك الـذين خـانوا مدرسـة أرسـتيبوس، إنّهـم لخـاسرون متعجرفون.

أثينايوس، الثالث عشر، *565 d*، ط. ***Kaibel***.

فقد كان هؤلاء (الرواقيون) بالتحديد، الذين يشـعرون بـالتفوّق، هـم الأسرع في انتقاد الآخرين بطريقة غير متقنة ومخيفة. هذا ما حدث لتلامذة سقراط قبل مـدة طويلة، عندما استمدّوا من لدنهم حججاً مختلفة، من أرستيبوس، من جانـب، ومـن أنتيستينيس من جانب آخر، ومـن الميغـاريين والإيرتـريين وآخـرين، كـانوا لا يزالـون معهم، من ناحية أخرى. وهنا السبب: فبينما افترض سـقراط ثلاثـة آلهـة، وتفلسـف عنهم، وفاقاً للإيقاع المناسب لكلّ منهم، لم يدرك مستمعوه ذلـك، وكـانوا يعتقـدون أنّه كان يبلغهم كلّ شيء، وفاقاً لنزواته، ووفاقاً لفرصة الانتصـار الـوجيزة، تـارة هـذا الأمر، وتارة ذاك، بسعادة ضئيلة، في مهبّ الريح.

يوسابيوس القيصري، التهيئة الإنجيلية، الرابع عشر، *5*، *4-6*.

هـذا هـو السـبب في أنّ الشـيخ سـقراط، الـذي يمكـن أن يُـدعى الأب ومؤسّـس الفلسفة الرائعة، عدَّ أنّه يجب علينا تحليل الأشياء على نحو مختلـف - مـن ناحيـة، تلك التي تشبهنا، ومن ناحية أخرى، تلك التي لا نرقى إليهـا - وكـان مهـتمّاً حصريّـاً بمسائل الخير والشرّ، [متسـائلاً] كيـف يمكـن للمـرء أن يجعـل مـن السـعادة تغمـر الإنسان أو المنزل أو المدينة؟ وبهذا المعنى كان يتفق مع هوميروس، الذي عدَّ، بادئ ذي بدء، أنّه يجب على المرء أن يفحص «ما هو خير وما هو شرّ في القصور». في هذا الصدد، وقف ورثة سقراط الشرعيون، سبياس، فيدون، أرسـتيبوس وإيسـخينيس، إلى جانب هذا.

ثامسطيوس، ابتهالات، الرابع والثلاثون، *5*، ط. ***Dindorf***.

ألم نرَ من المشهور في مدينة أثينا نفسها، كلاً من الأبيقوريين الذين أكّدوا أنّ الآلهة لم تكن معنية بالشؤون البشريّة، والرواقيين الذين، على العكس من ذلك، كانوا يعترفون بالعناية الإلهيَّة؟ لذلك، أتعجَّب من أنّه كان يجب اتهام أناكساغوراس بقوله إنّ الشمس كانت حجراً ناريّاً، وأنكر أنّها كانت إلهاً، في حين نجح أبيقور وعاش بهدوء في المدينة نفسها، على الرغم من أنه لم ينكر فقط ألوهية الشمس والنجوم الأخرى، لكنّه أكّد أنّه لا يوجد جوبيتر ولا أيّ قوة أخرى في العالم يجب على البشريّة أن تتوجّه إليها نذورهم. ألم يكن أرستيبوس في أثينا، يعلّم أنّ الخير الأسمى يكمن في متعة الجسد، وأنّ أنتيستينيس في الفضيلة، وكلاهما فيلسوف وتلميذ مشهور لسقراط، ومع ذلك، كانا يضعان النعيم الأسمى في مثل هذه الأمور المتعارضة تماماً؟ فضلاً عن ذلك، كان الأول يقول إنّ على الحكيم أن يتجنّب الحياة السياسية، والثاني إنّه يجب أن يبحث عنها، وكلاهما كان لديه أتباع.

أوغسطين، مدينة الله، الثامن عشر، الحادي عشر، ص. *614*.

عن إسبوزيبوس: ترك العديد من المؤلفات والعديد من الحوارات، من بينها مؤلفات أرستيبوس القورينيّ (...). عن إسبوزيبوس: يمكن الاستشهاد: (...) أرستيبوس، في كتاب واحد.

ديوجينيس اللائرتي، الرابع، *4*.

- أرستيبوس الأصغر، الملقَّب ميترودیداكتوس

كان من بين مستمعيه ابنته آريتي، التي أنجبت ابناً وأسمته أرستيبوس، عرّفته الأسئلة الفلسفية، التي أكسبته لقب (تلميذ والدته)، ولقد حدّد بوضوح أنّ الغاية هي أن نعيش بسرور، موضّحاً أنّ الأمر كان يتعلق باللذّة في الحركة، فكان يقول، في الواقع، إنّ ثلاث حالات تتفق مع مزاجنا: الأولى، وفيها نعاني، تشبه عاصفة في بحر؛ والثانية، وفيها نتمتّع، ويمكن مقارنتها بمساواة الأمواج،

لأنّها حركة متساوية كاللذّة، مثل الريح المواتية؛ بقيت حالة ثالثة، وسيطة، حيث نكون بلا ألم ولا لذّة، التي تشبه الهدوء التامّ. ومن هذه الأهواء وحدها، كما يقول، نمتلك الإدراك.

يوسابيوس القيصري، التهيئة الإنجيلية، الرابع عشر، *18*، *32*.

ربّما سمعتم، يا أصدقائي، عن أرستيبوس هذا الذي كان، من خلال والدته، حفيد أرستيبوس، تلميذ سقراط. بالتواصل مع والدته، التي كانت فيلسوفة، نال أكبر قدر ممكن من الفلسفة. وبهذا الصنيع تأهّل ليطلق عليه الجميع لقب ميتروديداكتوس **Metrodidact** [المدرّب على يد والدته].

ثيودوريطس، علاجات الأمراض الهيلينية، المجلد الثاني، الحادي عشر، *1*، ص. *392*.

درّست آريتي القورينية، ابنة أرستيبوس، ابنها، أرستيبوس، الملقّب بـ ميتروديداكتوس.

إكليمندس الإسكندري المتنوعات، *4*، *19*، *122*، *1*، ط. ***Staehlin***.

منذ أن تولّت والدته تربيته بمفردها، في دراسة الفلسفة، أُطلق على أرستيبوس لقب ميتروديداكتوس. يرجى ملاحظة أنّني لا أتكلّم عن أرستيبوس تلميذ سقراط، لكن عن حفيده. لقد أحبّت الأمّ ابنها كثيراً، وأملت عليه دروساً، مجاهدة لتظهر له كلّ ما يليق بها وبجدّه.

تيميستيوس، الابتهالات، الحادي والعشرون، ***B244***، ط. ***Dindorf***.

عن فيثاغورس: يقول أرستيبوس القورينيّ في عمله حول الأبحاث الطبيعيّة إنه لُقّب باسم فيثاغورس لأنّه أعلن الحقيقة تماماً مثل بيثيا [هي الوسيط الروحيّ، وكاهنة الإله أبولو، م].

ديوجينيس اللائرتي، الثامن *21*.

عن بيرياندر: يروي أرستيبوس، في الكتاب الأول من مؤلفه عن شهوانيّة القـدماء، التفاصيل التالية عنه: إنَّ والدته كريتيا، التي كانت مغرمة بـه، كانـت تنـام معـه في الخفاء، وكان يجد متعة في ذلك. لكن لمّـا اكتشـفت هـذه العلاقـة، أصـبح لا يطيـق نفسه أمام الجميع لأنّ حقيقة الاكتشاف جعلته يعاني.

ديوجينيس اللائرتي، الأول، *96*.

عن سقراط: بقي ليلة كاملة في الوضع عينه، و(...)، بعد أن تميّـز هنـاك بقيمتـه، ترك المكافأة لألكبياديس، الـذي كـان مفتونـاً بـه، كـما يقـول أرسـتيبوس في الكتـاب الرابع من (شهوانية القدماء).

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *23*.

عن سقراط: بقي ليلة كاملة في الوضع عينه، و(...)، بعد أن تميّز هنـاك بإقدامـه، ترك المكافأة لألكبياديس، الـذي كـان مفتونـاً بـه، كـما يقـول أرسـتيبوس في الكتـاب الرابع من (شهوانية القدماء).

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *23*.

عن أفلاطون: يروي أرستيبوس، في الكتاب الرابع من مؤلفه عن شهوانية القدماء، أنّ أفلاطون كان يحبّ شابّاً اسمه أستر، كان يدرس علم الفلك معه، تماماً مثل ديون.

ديوجينيس اللائرتي، الثالث، *29*.

عن كسينوفون: يقول أرستيبوس، في الكتـاب الرابـع مـن عملـه عـن شـهوانية القدماء، إنّه مفتون بكلينياس، وإنّه قال مـا يـلي عنـه: «في الوقـت الحـاضر، مـن المريح بالنسبة إليَّ أن أفكّر في بكلينياس أكـثر مـن التفكـير في كـلّ الجـمال الآخـر

الذي يمكن أن نراه لدى الرجال. سأقبل أن أحرم من رؤية كلّ جمال آخر بـدلاً مـن أن أحرم من رؤية كليناس وحده. إنّنـي أعـاني مـن الليـل والنـوم، لأنّنـي لم أرَه. مـن ناحية أخرى، أنا في غاية الامتنان للنهار والشمس لما يقدّمانـه لي مـن فرصـة لرؤيـة كلينياس».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *49*.

عن فليمون: كان فليمون، على مـا يبـدو، يقلّـد كسـينوفون بكـلّ طريقـة. يقـول أرستيبوس، في كتابه الرابع (شهوانية القدماء)، إنّ فليمون وقع في حبّه.

ديوجينيس اللائرتي، الرابع، *19*.

عن أرسطو: يقول أرستيبوس، في الكتاب الأول عن شـهوانية القـدماء، إنّ أرسـطو كان عاشقاً لمحظية هيرمياس.

ديوجينيس اللائرتي، الخامس، *3*.

عن نيقوماخوس: عـن ابـن أرسـطو، نيقومـاخوس، يقـول أرسـتيبوس، في الكتـاب الرابع من (شهوانية القدماء)، إن ثيوفراستوس كان مغرماً بـه، عـلى الـرغم مـن أنّـه كان معلّمه.

ديوجينيس اللائرتي، الخامس، *39*.

عن إمبيدوكليس: كان بوسانياس محبوبه، وفاقاً لأرستيبوس وساتيروس.

ديوجينيس اللائرتي، الثامن، *60*.

معظم الناس يمجّدون ميتروديداكتوس، ابن آريتي، أخت [كذا] أرستيبوس. يقـول أرسطو إنّه رأى صغار العنادل وهي تتعلّم الغناء من أمّاتها.

إليانوس، رسالة في طبيعة الحيوانات، الثالث، *40*، ط. ***Hercher***.

- أرسطو القورينيّ

وحده القوريني أرسطو من احتقر حبّ لايس. وكان قد أقسم للمحظيّة ذات المرتبة الاجتماعية العالية، أنّه سيعيدها إلى وطنها لو ساعدته في محاربة أعدائه. وبعد أن حصل على مبتغاه، أراد أن يفي بكلمته تكرماً، فأرسل إلى قورينة... صورة مخلصة جدّاً لهذه المرأة، كما يروي لنا إيستروس في مؤلفه عن مكافآت السلوك.

إكليمندس الإسكندري، المتنوعات، الثالث، السادس، *50*، *4*، ط. ***Staehlin***

لمَّا سُئل عمّا إذا كان الحبّ يولد بسبب القرب، أجاب الفيلسوف القوريني أرسطو: «لا بسببه، ولا من دونه.»

ستوبيوس، المنتخبات، الرابع، *20*، *32*، ط. ***Wachsmuth-Hense***.

كان أرسطو القوريني يقول إنّه لا ينبغي للمرء أن يقبل أيّ جميل: إذاً، إمّا أن يشعر المرء بالحرج لإيجاد طريقة لردّ الجميل، وإمَّا يبدو أنّه جاحد للجميل إذا لم يفِ به.

إيليانواس، تاريخ متنوع، العاشر، ص. *104*

عن أرسطو القورينيّ: هو من كتب فنَّ الشعر.

ديوجينيس اللائرتي، الخامس، *35*

- أنتيباتر القورينيّ

فضلاً عن ذلك، إذا كان الليل لا يسلب السعادة نهائياً، فلماذا تسلبها النهارات المشابهة للّيل؟ إليكم كلمة عن هذا الموضوع لأنتيباتر القوريني الذي كان متحرّراً بعض الشيء، لكن فكرته لا تفتقر إلى الدقّة. كان أعمى، وكانت صديقاته يتلمَّسن حالته، فقال: بمَ تفكّرن؟ أيمكن أن تكون ليلتكنّ بلا ملذّات؟»

شيشرون، المحاورات، *5*.

- أرِسْطَكَاس القورينيّ

أرِسْطَكَاس، فيلسوف من قورينـة، تبنـى مـن حقيقـة فلسـفة بلـده - بالمناسـبة، تنسب إليه طريقة خاصّة في إعداد نوع من لحم الخنزير يطلق عليها «أرِسْـطَكَاس» - والذي ذهب، بأعلى درجات الدقة، إلى حدّ أن يرشّ في المساء النبيـذ المعسّـل عـلى الخسّ الذي ينمو في حديقته، وعند الفجر، يقطفه وهـو يقـول أصـبحت لديـه الآن «فطائر طازجة» أرسلتها الأرض في مقابل ذلك.

أثينايوس، الأول والثاني، ص. *15*.

وفاقاً لــ أرِسْـطَكَاس، صـنع المهـرّج يوديكـوس اسـماً لنفسـه مـن خـلال محاكـاة المصارعة بالأيدي والقبضات المسطحة.

أثينايوس، الأول والثاني، ص. *44*.

- ديونيسيوس المنشقّ

كان ديونيسيوس المنشقّ يقول إنّ الغاية كانت المتعة، بسبب ظرف مؤلم: أصيب بمرض في عينيه. وكان في الواقع، وهو يعـاني معانـاة رهيبـة، يـتردّد في القـول إنّ الألم كان ألماً غير مبال.

هو ابن ثيوفانوس من مدينة هرقلة. وكـان بـادئ ذي بـدء مسـتمعاً، كـما يقـول ديوكليس، لمواطنه هيراكليدس، ثمّ لإيكسينوس ومينيديموس، وأخيراً لزينون.

وفي البدء، ولأنّه كـان مولعـاً بـالأدب، فقـد جـرَّب قلمـه في كتابـة القصـائد بكـلّ أنواعها، لكنّه أيضاً اتّخذ من أراتوس أنموذجاً، وحاول محاكاتـه. وبعـد أن تخـلَّى عـن زينون، التفت إلى القورينيين. كان يدخل بيوت الـدعارة، ويـنغمس في كـلّ الملـذّات الأخرى من دون خفية. لقد جوَّع نفسـه حتّـى المـوت عنـدما كـان في الثمانـين مـن عمره. ونقلت عنه الكتب التالية:

عن عدم المبالاة، كتابان.

في التمرين، كتابان.

في اللذَّة، أربعة كتب.

وكتاب في كلٍّ من: الثروة، الامتنان والعقاب، طريقة تصرّفه مع الرجال، الحظّ، الملوك القدماء، الأعمال الجديرة بالثناء، الأعراف البربريَّة.

ديوجينيس اللائرتي، السابع، *166*، *167*.

بعد أن كتب ديونيسيوس المنشقّ (أو سبينتاروس، وفاقاً للبعض)، بارثينوبي [إحدى الفاتنات في الأساطير الإغريقيَّة، م] وقّع عليها باسم سوفوكليس. والآخر (هيراقليديس بونتيكوس)، بعد أن صدّقه، أخذ مقاطع منها كمرجع لإحدى أطروحاته، اعتقاداً منه أنّها لسوفوكليس.

فلمّا رأى ديونيسيوس ذلك أخبره بما حدث. لكن بما أنّ هيراقليدس كان يرفض تصديقه، كتب إليه لينظر إلى التطريز الأبجديّ، الذي تضمّن اسم «بانكلوس **Panclos**»: وكان هذا محبوب ديونيسيوس. لكن، بما أنّ هيراقليدس لا يزال غير مؤمن به، فقد قال إنّه من الممكن أن يكون الأمر كذلك عن طريق المصادفة، فكتب له ديونيسيوس مرّة أخرى ردّاً: «ستجد أيضاً هذا:

أ. نحن لا نوقع قرداً عجوزاً في الفخِّ،

ب. أجل، نحن نصطاده: إنّها مسألة وقت لا غير.

ومضى يقول: «لا يعرف هيراقليدس رسائله، ولا يخجل منها».

ديوجينيس اللائرتي، الخامس، *92*، *93*.

ب- هيجيسياس

كان هيجيسياس القورينيّ يقول لا يوجد شيء اسمه صداقة أو فرح. وكان يقـول إنّ هذين الأمرين لا وجود لهما في حدّ ذاتهـما، لكـنّ الرجـل الخـيّر هـو الـذي يمـنح الفرح، والرجل الغنيّ هو الذي يفعل الخير. ويقول أيضاً: الأفضل أن يعـيش الشرّيـر ويموت الحكيم. وبسبب آرائه، أطلق عليه لقب «مَن يوصي بالموت».

أبيفانيوس، بشأن الهرطقات، الثالث، *2*، *9*، ط. ***Diels***.

أقنع هجيسياس بخطبه العديد من مستمعيه بالانتحار.

بلوتارخ، حول حب الآباء والأمهات لأطفالهم، ص. *485*.

ما مدى قوة بلاغة الفيلسوف هيجيسياس القوريني التي يجب ألّا نفترضها؟ لقد كان يرسم صورة حيّة لشرور الحياة، إلى درجة أنَّ هذه الصور الحزينة لم تعد تُمحـى من أذهان مستمعيه، فأراد الكثير منهم الانتحار. لذلك منعـه الملـك بطليمـوس مـن الحديث عن هذا الموضوع.

فالير ماكسيم، حقائق وكلمات لا تنسى، الثامن، التاسع، *(3)*، ص. *767*.

بعد بضع كلمات مع محاوره: «لكن، لماذا كلّ هـذه العبـارات؟ لا تغرَّنـك إياهـا. أقدّم لك هنا من أسلوب هيجيسياس الذي أحبّه كثيراً.»

شيشيرون، الرسائل، ج. الخامس، «رسالة إلى أتيكوس»، رقم *461*، ص. *419*.

ما الهدف من التذمّر هنا بشأن مصير الإنسـان؟ سـيكون مـن حقّـي أن أفعـل ذلك بكلّ إخلاص، لكن بما أنَّني هنا أحاول إبعاد فكـرة أننـا سـنكون تعسـاء بعـد الموت، فهل حان الوقت لأكتفـي أيضـاً بإبعـاد مـآسي الحيـاة مـن خـلال الشـعور بالأسى عليها؟ لقد فعلت ذلك في الكتاب الذي فيـه واسـيت نـفسي قـدر الإمكـان

(1). لذلك، كنت أقول إنّ الموت يقتلعنا من الشرور وليس من النعم، إذا ذهبنـا إلى جوهر الأمور. هذه هي النقطة التي قدّم فيها هيجيسياس القوريني (2) الكثير مـن الأدلّة التي قيل إنّ الملك بطليموس منعـه مـن مناقشـتها في بلاطاتـه، لأنّ كثـيراً مـن الناس بعد سماعه انتحروا.

شيشيرون، الحوارات، الأول.

من جانبه، كتب هيجيسياس عملاً كاملاً بعنوان **Αποκαρτερων**، [الـذي يمكـن ترجمته: اليائس، أو: الموت الطـوعيّ، م] لأنّ البطـل فـرد يحـرم نفسـه مـن الطعـام لأجـل إنهـاء حياتـه، ولمّـا دعـاه الأصـدقاء إلى الـتخلّي عـن هـذا المشروع، أجـابهم بالتفصيل عن شرور الوجود البشريّ.

شيشيرون، الحوارات، الأول.

في ردّه على هيجيسياس، الذي توسّل إليه أن يعيره أحد أعماله، قال ديـوجينيس: «يا لك من أحمق مسكين، يا هيجيسياس! بالنسبة إلى التين المجفَّـف، أنـت لا تأخـذ منه التين الفـارغ، بـل التـين الحقيقـيّ، أمّـا بالنسـبة إلى الزهـد، فأنـت تهمـل التـين الحقيقيّ وتسرع إلى التين الموجود في الكتب».

ديوجينيس اللائرتي، السادس *48*.

ج- الهيجيسياسيون

كان للفلاسفة الذين يقال عنهم إنَّهم فلاسـفة هيجيسياسـيون الأهـداف نفسـها: اللذّة والألم.

ولم يكن للامتنان والصداقة والإحسان أهمية تـذكر في نظـرهم، لأنّنـا لا نختارهـا لذواتها، لكن بسبب المزايا التي تمتلكها، وإذا ما اختفت هذه المزايا، فلـن يعـود لهـا وجود.

إنّ السعادة أمرها مستحيل في المطلق، لأنَّ الجسد مثقل بالعديد من الآلام، والروح التي تشارك في معاناة الجسد هذه، مضطربة أيضاً، وأخيراً يمنع الحظ تحقيق كثير من آمالنا، ولهذه الأسباب لا تمتلك السعادة وجوداً حقيقياً.

يمكن اختيار كلّ من الحياة والموت.

كانوا يفترضون أنّه لا يوجد شيء ممتع أو غير ممتع بطبيعته.

بسبب النقص أو التجدّد أو الشبع، يشعر البعض باللذة، والبعض الآخر بالاستياء.

إنّ الفقر والثروة لا يعنيان شيئاً في اللذّة، إذ لا يوجد فرق في الطريقة التي يشعر بها الأغنياء والفقراء باللذّة.

إنّ العبوديّة على قدم المساواة مع الحريّة، وكذلك نبل المولد على قدم المساواة مع الولادة الوضيعة، والسمعة الطيبة مع السيّئة، لا حسبان لها في حساب اللذّات.

إذا كانت الحياة ذات فائدة للأحمق، فهي ليست ذات بال بالنسبة إلى الإنسان العاقل.

يضع الحكيم نصب عينيه أن تكون منفعة الناس هي نبراسه في كلّ ما يفعله، لأنّه يعتقد أن لا أحد غيره محترم مثله. في الواقع، حتّى لو بدا أنّه يحصل على أعظم المزايا، فهذه لا تقارن بتلك التي يجلبها هو بالذات.

كانوا يرفضون الحواس، لأنّها لا تؤدّي إلى اكتساب معرفة دقيقة.

كانوا يقولون إنّه يجب أن يكون أداء كلّ تلك التصرّفات متوافقاً مع العقل. ويقولون إنّ الأخطاء يجب أن تُغفر، لأنّها لا تُرتكب طواعية، بل تحت إكراه بعض الأهواء.

كانوا يقولون، لا ينبغي للمرء أن يكون كارهاً، بل يجب أن يهتدي من خلال التعلّم.

لن تكون للرجل الحكيم مثل هذه الامتيازات على سواه في اختيار النعم بقدر ما يكون في تجنّب الشرور، لأنّه يضع غاية له في العيش بلا ألم، ولا أحزان، وهي نتيجة يحصل عليها في الواقع أولئك الذين لا يفرّقون بين أسباب اللذّة.

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، , *94-96*..

د- **أنيقريس**

كان أنيقريس القورينيّ فخوراً بفنّه في تدريب الخيول وقيادة العربات الحربيّة. وذات يوم، أراد أن يُظهر براعته الفنيّة لأفلاطون. لذا، استقلّ عربته وقام بالعديد من الدورات حول الأكاديمية، متبعاً المسار بدقّة، إلى درجة أنّه لم يخرج من الأخاديد، بل كان يسلك دائماً مساراً متطابقاً تماماً. كان الجميع في حالة من الرهبة، كما قد تتخيل، في المقابل، انتقد أفلاطون حماسه المبالغ فيه، قائلاً: «من المستحيل على الرجل الذي يولي أهميّة كبيرة للتفاهات أن يأخذ شيئاً عظيماً على محمل الجدّ. فعقله يركّز كلياً على التفاهات، ويفتقر بالضرورة إلى ما هو مثير للإعجاب حقّاً.»

إيليانوس، تاريخ متنوع، الجزء الثاني، *27*.

عن أفلاطون، الذي باعه ديونيسيوس في إيجينا بحسبانه عبداً: يقول بعضهم إنّ أفلاطون قد أُحضر أمام التجمّع، وإنّه، هناك، وبعناد، ظلّ صامتاً، انتظر من دون أن يتوانى عن تسلسل الأحداث. فقرَّر الأجينيون عدم إعدامه، ورأوا أنّ من الأفضل عرضه للبيع، كما لو كان أسير حرب.

عندها، تقدّم أنيقريس القورينيّ، الذي كان هناك بالمصادفة، لشرائه مقابل عشرين ميناساً - ويقول آخرون بل مقابل ثلاثين - وأعاده إلى أثينا، إلى

أصدقائه. أرسل إليه هؤلاء الأصدقاء المال على الفور، فرفضه أنيقريس، معلناً أنّهم ليسوا الوحيدين الذين لهم الشرف في الاهتمام بأفلاطون.

ويروي بعضهم أنّ ديون قد أرسل أيضاً أموالاً، وأنَّ أنيقريس لم يحتفظ بها، لكنّه اشترى لأفلاطون الحديقة الصغيرة الموجودة في الأكاديميّة.

ديوجينيس اللائرتي، الثالث، *19* و*20*.

اشتهر بعض رجالات قورينة، مثل أرستيبوس [...] وأنيقريس، الذي قيل إنّه أصلح المدرسة القورينية حين استبدلها إلى المدرسة «الأنيقريسيّة».

سترابو، الجغرافيا، السابع عشر، *3*، *8*، *22*، ط. ***Kramer***.

كان لدى أنيقريس، الفيلسوف القوريني الذي أصبح أبيقوريّاً، على الرغم من أنّه كان تابعاً لبارياتيس، وتلميذاً لأرستيبوس، شقيق يدعى نيكوتيليس، وهو أيضاً فيلسوف، كان تلميذه اللامع بوسيدون. منه جاء اسم المدرسة «الأنيقريسية». عاش في زمن الإسكندر.

معجم سويداس، ط. ***Adler***

هـ- الأنيقريسيّون

يتفق أتباع الإينيقارسيين في كلّ شيء آخر، الآراء نفسها، مثل هؤلاء [الهيجيسياسيين]، فهم كانوا يعترفون بأنّ هناك متّسعاً في الحياة للصداقة والامتنان وتوقير الوالدين وخدمة الإنسان لبلده.

لذلك، فإنّ الحكيم، حتّى لو عانى من العذاب نتيجة لذلك، لن يكون أقلّ سعادة، حتّى لو كانت الملذّات التي يحصل عليها قليلة.

لا ينبغي اختيار سعادة الصديق في حدّ ذاتها، لأنّ من يكون مقرّباً لا يمكن إدراكه بالحواس.

العقل وحده لا يكفي لكسب الثقة بالنفس، ويولد في دواخلنا الإحساس بالشجاعة، ويجعلنا نرتفع فوق آراء الكثيرين. عليك في الواقع أن تشكّل شخصيتك، بالنظر إلى التصرّفات السيئة التي تطورت فيك لفترة طويلة جدّاً.

نتمسّك بالصديق، ليس فقط بسبب الخدمات التي يقدّمها لنا - بمعنى، حتّى لو قصَّر في تقديم الخدمات، فلا ينبغي لنا أن ننصرف عنه وننبذه - لكن أيضاً بسبب الروابط التي نشأت، والتي تجعلنا في استعداد لتحمّل حتّى المعاناة على قدم المساواة.

في الحقيقة، على الرغم من أنَّنا نمنح أنفسنا الملذّات كغاية، ونعاني إذا ما حرمنا منها، إلّا أنّنا سنتحمّل هذا الحرمان عن طيب خاطر بسبب المودّة التي نشعر بها تجاه صديقنا.

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *96-97*.

يتبنّى الفلاسفة، الذين يسمّيهم أرستيبوس القورينيين والأنيقريسيين، في فلسفتهم أنّ كلّ أنواع النعم تكمن في اللذّة، ويعتقدون أنه إذا كانت الفضيلة جديرة بالثناء، فذلك لأنها تنتج اللذة، لقد خرج هؤلاء الفلاسفة عن السائد، لكن أبيقور، الذي أصبح رائجاً للغاية، يؤيد الرأي نفسه تقريباً.

شيشيرون، رسالة في الواجبات، الأول، ص. *626*.

لم يضع الأنيقريسيون، المنبثقون من المدرسة القورينيّة، أيّ غاية محدّدة للحياة كلّها، لكنّهم ينسبون إلى كلّ عمل اللذة التي يولدها، كغاية له. ويرفض هؤلاء القورينيون تعريف أبيقور للذّة، أي قمع الألم، واصفين إياها بحالة الجثة، فكانوا يقولون إننا نشعر بالمتعة ليس فقط بالملذات بل بالعلاقات الاجتماعيّة والاحترام أيضاً.

إكليمندس الإسكندري، ستروماتا، الثاني، الحادي والعشرون، *130*، *7* و*8*، ص. *129*.

و- ثيودوروس

قال ثيودوروس: من أراد ورغب في أن يكون تلميذاً للحكمة نأى بنفسه عن مزايا المال، وطهَّر نفسه من الأفكار المقلقة في حبّ النساء حتّى لا يعوقه أمر ما. وإن كان أيّ شيء ممكناً وقابلاً للتحقّق، فلا يمكن أن يتعلّق بالنساء، لأنّ عينه تشبه إلى حدّ ما مجرى الماء، وبنظرته الثاقبة يترك الشعور وراءه أثراً، ويمكن أن تستنفده رقته، ويبتعد عن كلام الحكماء والأفعال غير اللائقة نتيجة غموض عقله، ويصل إلى الشعور بالخجل نتيجة رغبته، وإلى الإذلال نتيجة إهماله.

سوري مجهولة، ص. *483*، تر. باسكال مارتيلو.

لا يوجد من يجرؤ على المجاهرة برأي دياغوراس وثيودوروس، أو اختراعات ليوكيبوس الخياليّة، أو توافه ديموقريطس وأبيقور، ضدّ سلطة الفلاسفة السبعة القدامى المشهورين الذين أطلق عليهم الحكماء، وضدّ سلطة فيثاغورس وسقراط وأفلاطون، وجميع الفلاسفة البارزين الذين اعترفوا بوجود العناية الإلهيّة.

لاكتانتيوس، في غضب الآلهة، العاشر، *47*، ص. *141*.

لقد خلق الله العالم، كما اعتقد أفلاطون، لكن من دون أن يوضّح لماذا خلقه. «لأنه صالح، كما يقول، وخالٍ من الحسد. لقد خلق كلّ ما هو صالح. ومع ذلك، نرى أنّ هناك في الطبيعة ما هو صالح، وما هو طالح. لذلك، يمكن أن يوجد عقل منحرف، مثل ثيودوروس، الملحد الشهير، الذي ردَّ على أفلاطون: على العكس من ذلك، لأنّه شرّير خلق الشرَّ.»

لاكتانتيوس، خلاصة المؤسسات الإلهية، الثالث والثلاثون، *1-2*، ص. *247*.

ومع ذلك، في وقت لاحق، عندما لم تعد الفلسفة بالفعل في أوجها، كان هناك شخص يدعى دياغوراس الميلوسي، الذي نفى تماماً وجود الله، وبسبب هذا الرأي أطلق عليه «الملحد»، مثله مثل ثيودوروس القوريني. وكلاهما كان غير قادر على اكتشاف أيّ شيء جديد، ولأنّ كلّ شيء قد قيل سابقاً، وجرى تخيّله، فضلاً عن مخالفة الحقيقة، وإنكار ما اتَّفق عليه أسلافهم بالإجماع على نحو لا لبس فيه.

لاكتانتيوس، في غضب الآلهة، في غضب الآلهة، التاسع، *7*، ص. *123*.

من الضروري قراءة، ليس فقط تعاليم الرسل القدّيسين، لكن أيضاً قراءة أقوال الأنبياء الإلهيين، إذ في رؤية التوافق المتناغم بين اللاهوتين القديم والجديد، فإنّنا سنتمسّك بإعجابنا أمام الحقيقة، ونتجنَّب إلحاد دياغوراس الميلوسيّ، وثيودوروس القورينيّ، ويوهيميروس التيغيّ، هؤلاء الرجال - كما يخبرنا بلوتارخ - الذين اعتقدوا أنّه لا يوجد إله.

ثيودوريطس السوري، علاجات الأمراض الهيلينية، الثاني، *112*، ص. *169*

الملحدون الوحيدون إذاً ليسوا دياغوراس الميلوسيّ، وثيودوروس القورينيّ، ويوهيميروس التيغيّ وأتباعهم، الذين ينكرون تماماً وجود آلهة، كما يقول بلوتارخ، وإنّما أيضاً هوميروس وهسيودوس، ومجموعات من الفلاسفة والمخترعين الخرافيين لـ مجموعات لا حصر لها من الآلهة، يقدّمونها كعبيد فظّين للأهواء البشريّة.

ثيودوريطس السوري، علاجات الأمراض الهيلينية، الثالث، *4*، ص. *171-172*.

لأنَّني لا أصدّق ما يرويه ديوقليس الكنيدوسيّ في المؤلف بعنوان (مقابلات)، فوفاقاً له، كان ذلك بدافع الخوف، عندما كان تلامذة تيودوروس وبيون السفسطائي يؤسّسون حججهم على الفلاسفة، ولم يتردَّدوا في دحضهم بكلّ الوسائل، ولمنع الصعوبات، فإن أركسيلاوس لم يكن ليقدّم أيّ رأي

جذّاب. بل ألقي أمامه، مثل الحبَّار الذي يطلق سائلاً أسود عند مهاجمته، «تعليق الرأي». لذلك هذا ما لا أصدقه.

يوسابيوس القيصري، التهيئة الإنجيلية، الرابع عشر، *6*، *6*، ص. *77*.

ينكر بعض الفلاسفة، مثل دياغوراس الميلوسيّ، وثيودوروس القورينيّ، ويوهيميروس التيغيّ وجود الآلهة (...)

يوسابيوس القيصري، التهيئة الإنجيلية، الرابع عشر، *16*، *1*.

يبدو أنَّه كان يُدعى «اللـه»، لأنّ ستيلبونوس سأله السؤال التالي: «يا ثيودوروس، ما تؤكّده، هل أنت حقّاً؟» ولمّا أومأ برأسه بالإيجاب، قال ستيلبونوس: «أنت الآن تؤكّد أنّ اللـه موجود.» بعد أن أومأ ثيودوروس بالموافقة، خلص ستيلبونوس إلى القول: «إذاً أنت اللـه». وبعد أن أخذ ثيودوروس الأمر بارتياح، انفجر ستيلبونوس ضاحكاً وقال: «لكنّك أيّها الوغد، مع منطق كهذا، سوف تقرّ بأنك أيضاً غراب زيتون، ليس إلّا، أو أنك مماثل لألف شيء آخر».

سأله ثيودوروس، ذات يوم، عندما كان جالساً بالقرب من يوريكليديس الكاهن، الذي يفسّر الأسرار المقدَّسة أو المبادئ الباطنيَّة: «أخبرني، يوريكليديس، من هم أولئك الذين يتظاهرون بالكفر حيال الأسرار المقدَّسة؟» أجاب يوريكليديس: «أولئك الذين يفشونها لعامّة الناس»، فردّ عليه ثيودوروس: «إذاً، أنت أيضاً قد دنست، لأنّك أفشيتها لعامّة الناس»، [لأنك أفشيتها لي]. وفي الحقيقة، أوشك أن يمثل أمام محكمة الأريوباغوس[1] لو لم

1- [أريوباغوس **Areopagus**، **Aréopage**) هو نتوء صخريّ بارز يقع شمال غرب الأكروبوليس في أثينا، اليونان. وفي اليونانية القديمة: **Πάγος ρειος**، المحكمة العليا. وكان اسم أريوباغوس أيضاً يشير في العصور القديمة إلى مجلس الحكم الأثيني، الذي اقتصر لاحقاً على المجلس

ينقذه ديميتريوس الفاليريّ من هذه المحنة. يقول أمفيكراتيس، في مؤلّفه (حول الرجال المشهورين)، إنَّه أُدين وحُكم عليه بشرب الشوكران.

بينما كان ابن لاغوس يقيم في بلاط بطليموس، أرسله الأخير ذات يوم كسفير لدى الملك ليسيماخوس. في هذه المناسبة، بينما كان ثيودوروس يتحدّث بصراحة كبيرة، قال له ليسيماخوس: «لكن، أخبرني، يا ثيودوروس، ألست أنت مَن طُرد من أثينا؟» أجاب ثيودوروس: «لقد أبلغوك بذلك. في الواقع، طردتني مدينة أثينا لأنَّها لم تكن قادرة على أن تتحمَّلني، تماماً كما طردت سيميلي ديونيسوس». فاستأنف ليسيماخوس: «حسناً، احرص إذاً على ألَّا تأتي إلينا مرة أخرى». قال ثيودوروس: «ثق إنّني لن أفعل ذلك ما لم يبعث بي بطليموس إلى هنا». فقال له ميثريس، أمين صندوق ليسيماخوس، الذي تصادف وجوده هناك: «يبدو أنك لا تكتفي بتجاهل الآلهة فقط، بل تتجاهل الملوك أيضاً». - «كيف»، قال ثيودوروس، «كيف تقول إنَّني أتجاهل الآلهة، في حين أنّني أرى أنَّك، أنت، على وجه التحديد، عدوّ الآلهة؟»

يحكى أنَّه ذات يوم، لمّا كان يمرّ في مدينة كورينثوس يصطحب معه العديد من التلاميذ، قال له ميتروكلس الكلبيّ، الذي كان يغسل باقة من البقدونس: «هيه، يا أنت، أيّها السفسطائيّ، لن تكون في حاجة إلى هذا الحشد من التلاميذ لو كنت تغسل الخضراوات!» فالتفت إليه، وقاطعه تيودوروس: «وأنت، إذا كنت تعرف كيف تتحدّث مع الرجال، فلن تضطرّ إلى التعامل مع هذه الخضراوات!» الحكاية نفسها حدثت، كما قلت سابقاً، بين ديوجينيس وأرستيبوس.

القضائيّ الأثينيّ أو المحكمة التي نظرت في قضايا القتل العمد والجروح والمسائل الدينية، بالإضافة إلى القضايا التي تنطوي على إحراق أشجار الزيتون، لأنّها عقدت في هذا الموقع. كان من المفترض أنَّ إله الحرب آريس قد حاكمته الآلهة الأخرى على أريوباغوس بتهمة قتل نجل بوسيدون هاليرهوثيوس.]

هكذا كان ثيـودوروس والخطـب التـي كـان يلقيهـا. في نهايـة المطـاف غـادر إلى قورينة وعاش مع ماجاس [ملك قورينة] واستمرَّ حتَّى نال مرتبـة الشرف. ولمّـا طُـرد في البداية من هناك، قيل، كانت لديه كلمة طيبة ليقولها. تقـول في الواقـع: «حسـناً فعلتم، يا أهل قورينة، وأنتم تنفونني من ليبيا إلى اليونان».

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *100* إلى *102*

لمّا نُفي ثيودوروس، الملقّب بالملحد، كما يقال، من أثينا والتجأ لدى ليسيماخوس، لامه صاحب مقام رفيع على سبب هربه، مشيراً في الوقـت نفسـه إلى أنّـه قـد طُـرد بعد إدانته بالإلحاد وفساد الشباب، عـلى وجـه التحديـد. أجـاب ثيـودوروس: «لقـد طُردت، لكن حسب طريقة ابن زيوس، فهيراقليس هو أيضاً ألقـاه الأرجونـاوتيون في البحر، ليس بسبب أيّ خطأ ارتكبه، لكن لأنّه كـان وحـده مـن يحـدّد وزن السـفينة الإجماليّ، ويحمّلها فوق طاقتها، فخشي رفاقه أن تمتلئ السـفينة بالمـاء. حسـناً، كـان عليّ أن أهاجر لسبب مماثل: لم يكن حكّام أثينـا قـادرين عـلى الحفـاظ عـلى وتـيرة روحي القوية والسامية، وما هـو أكـثر مـن ذلـك، كنـت موضـع حسـد». كـما سـأله ليسيماخوس: «هل بدافع الغيرة، إذاً، طُردت من وطنك؟» قال مـرّة أخـرى: «بـدافع الغـيرة؟ لا، لكـن لأنّ وطنـي لم يـرقَ إلى مسـتوى تفـوّق طبيعتـي. تمامـاً مثـل قصّـة سيميلي: الحامل من ديونيسيس، لم تكن قادرة على تحمّل الحمل حتّى نهايته، وكان على زيوس، المعذّب من القلق، إخراج الجنين قبل الأوان من رحمهـا، ومـنح الطفـل مرتبة الآلهة السـماويّة. هـذه هـي الحـال بالنسـبة إليَّ: كـان وطنـي أصـغر مـن أن يحتوي الحجم الهائل من الفكر الفلسفيّ. لا أعرف ما هـو الشـيطان أو الإلـه الـذي قرّر تالياً أنّ يخرجني، وأراد لي أن أستقرّ في مكان كان من الممكن أن يعاملـه القـدر على نحو أفضل من أثينا».

فيلون الإسكندري، إن كلَّ إنسان شريف حر، الثامن والعشرون، *127* إلى *130*، ص. *231-233*.

إنَّني لدهشٌ من رؤية كيف عاملوا الملحدين يوهيميروس الأغريجنتي، ونيكانور القبرصيّ، ودياغوراس، وهيبون الميلوسي، ومعهم ذاك القوريني الشهير ثيودوروس، وآخرين كثيرين لأنّهم عاشوا حياة حكيمة، وأدركوا، بمزيد من البصيرة، الأخطاء المتعلقة بهذه الآلهة من سائر الناس. وإذا لم يدركوا الحقيقة نفسها، فإنهم في الأقل يشكّون في الخطأ: فهذه بذرة مُقَدَّر لها أن تنمو، إذ لأجل البحث عن الحقيقة تبثّ الحيوية في حماس الفكر.

إكليمندس الإسكندري، بروتربتيكوس، الثاني، *24*، *2*، ص. *79*

أصبح ثيودوروس الملحد مشهوراً.

يوسابيوس القيصري، التهيئة الإنجيلية، ط. ***Helm*، *Ol. CXVII***.

كان ثيودوروس، الملقّب بالملحد، التلميذ السابق لزينون الكيتيوميّ، وكان أيضاً تلميذ برايسون، وكذلك بيرهون المتشكك، يدرّس اللامبالاة، وفي أثناء نقل هذه العقيدة، وجد نفسه على رأس مدرسة تسمّى «ثيودوروسية». كتب العديد من الأعمال الموجَّهة إلى تلاميذه، بالإضافة إلى أشياء أخرى. كان هو من قال عن هيباتيا، زوجة إقراطس: «هذه امرأة، بعد أن «غادرت وتنقّلت وتداولت»، ارتدت عباءة الفيلسوف.»

معجم سويداس، ط. ***Adler***.

كان ثيودوروس أيضاً، الملقّب بالملحد، تلميذاً لبرايسون. علّم اللامبالاة، وفي أثناء نشر هذه العقيدة، وجد نفسه على رأس مدرسة تسمى «ثيودوروسية».

معجم سويداس، عن سقراط، ط. ***Adler***.

أرادت هيبّارخيا الاستماع إلى خطابات إقراطس من دون أن يزعجها أيّ انشغالات أخرى. ففي مأدبة كانت قد حضرتها مع إقراطس، أفحمت بمنطقها

ثيودوروس الملحد من خلال تقديم مفهوم السفسطة، فطرحت عليه الاستدلال المنطقيّ التالي: «إذا كان الفعل الذي ارتكبه ثيودوروس لا يمكن وصفه بأنه ظالم، فلا يمكن حسبان الفعل الذي ارتكبته هيبّارخيا ظالماً. إذا ضرب ثيودوروس نفسه، فهو لا يرتكب ظلماً. وتالياً، فإنّ هيبّارخيا، إذا ضربت ثيودوروس، فهي لا ترتكب أيّ ظلم أيضاً. لم يردَّ ثيودوروس على الحجّة، لكنّه حاول أن ينزع ثوب هيبّارخيا عن جسمها، لكنّها لم تنزعج، ولم يستولِ عليها الاضطراب بوصفها امرأة، فافتضح أمره الضئيل.

معجم سويداس، ط. ***Adler***.

هيبّارخيا، شقيقة ميتروكليس، الفيلسوف الكلبيّ المارونيّ، وزوجة إقراطس الكلبيّ الأثينيّ، تلميذ برايسون وديوجينيس، وفاقاً لآخرين. كتب الفرضيات الفلسفية بالإضافة إلى بعض الحجج والأطروحات ضدّ ثيودوروس الملقّب بالملحد. كانت فترة مجده إبّان الأولمبياد الثالث[1].

معجم سويداس، ط. ***Adler***.

يحكى أنَّ فوكيون لم يكن رجلاً فاضلاً. كان يحبّ عاهرة تعيش بالقرب من ماخور. ذات مرة، بينما كان يستمع مصادفةً إلى خطاب ألقاه ثيودوروس الملحد في المدرسة، حيث قال: «إذا لم يكن من المخجل تحرير صديق، فليس من المخجل أيضاً تحرير صديقة»، إذ جعل هذا الخطاب خاصّاً به، و«حرَّر صاحبته».

بلوتارخ، فوكيون، *38*، *3*، ط، ***Ziegler***.

1- الأولمبياد الثالث: في العصور القديمة لمَّا أقيمت الألعاب الأولمبية بين المدن اليونانية، من القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلاديّ. فرضت الأولمبياد نفسها كتقويم للتأريخ بين الإغريق لأنها جعلت من الممكن توحيد التقويمات المختلفة. الإسكندر الأكبر، في سبيل المثال، بدأ حكمه كملك مقدونيا في السنة الأولى من الأولمبياد الثالث، أي عام 336 قبل الميلاد.

عـن ثيـودوروس. لمَّـا هـدَّده الملـك ليسـيماخوس بـالموت، أجـاب ثيـودوروس القوريني: «كنت أعتقد أنّ لديك قوة ملك، لا قوّة الشوكران».

إستوبايوس، المنتخبات، الثالث *2*، *32*، ط. ***Wachsmuth-Hense***.

بعد دراسة قناعـات هـذا الفيلسـوف، يجـب أن نتقـدّم ونحلّـل، وفاقـاً لكلماتـه الخاصّة، أسئلة ثيودوروس القورينيّ حول الموضوع عينه، وقبل كـلّ شيء تلـك التـي وضعها هو في المقام الأول...

فيلوديموس، في البلاغة، الثاني، ***fr***. التاسع، ط. ***Sudhaus***.

قال ثيودوروس، الملقّب بالملحد، إنّ كلّ الكلام عن اللـــه مـا هـو إلّا هـراء. كـان يعتقد أنّ اللـه غير موجود، ويدفع الجميع للسرقة، وأداء اليمين الكاذبـة، والنهـب، وليس الموت في سبيل الوطن. وفي الواقع، كان يؤكّد على أنّ هناك وطنـاً واحـداً هـو الكون، ولا يسمّي من هو (صالح) إلّا من كان سعيداً، فضـلاً عـن ذلـك، كـان يحـثّ على تجنّب التعساء، حتّى لو كانوا من الحكـماء، وتفضـيل الأغنيـاء، حتّـى الحمقـى منهم والبغضاء.

إبيفانيوس، بشأن الهراطقة، الثالث، *2*، *9*، ط. ***Diels***.

الآن، سنقول عن الألوهيّة كلّ ما تركنـاه جانبـاً حتـى الآن. بـادئ ذي بـدء، نجـد أنفسنا أمـام هـؤلاء الفلاسـفة الـذين يتجـاهلون الآلهـة، مثـل ديـاغوراس الميلـوسي، وثيودوروس القوريني، وإيهيميروس التيغـي. لقـد تجـرَّؤوا عـلى التأكيـد عـلى عـدم وجود الآلهة.

[غالين]. التاريخ الفلسفي، *35*، ط. ***Diels***.

لهذا السبب، بما أنّ هناك إجماعاً راسخاً بين جميـع الأمـم فـيما يتعلّـق بالآلهـة الخالـدة، حتّـى وإن كانـت طبيعتهـا أو أصـلها غـير مؤكّـد، فلـن أتسـامح مـع أيّ

شخص متضخم بمثل هذه الجرأة العالية، ولا أعرف أيّ فلسفة عاقّة تجرؤ على تدمير أو إبطال مثل هذا الدين الجليل المفيد الصالح. وسواء كان من يسمّى ثيودوروس القوريني، أو مَن قبله، دياغوراس الميلوسي، الملقّب سابقاً بـ «الملحد»، فكلاهما، وهما ينكران وجود الآلهة، يدمّر التقديس والخشية التي تهدي البشريّة تماماً. لكنَّهما لن يكونا أبداً موثوقين في مدرسة المعصية هذه، باسم وسلطة ما يسمّى بالفلسفة.

مينوسيوس فيليكس، أوكتافيوس، *8*، *1*، ط. ***Waltzing***.

وما هو أكثر من ذلك، يمكننا أن نبيّن أنَّ كلَّ أولئك الذين قيل لنا إنَّهم آلهة، والذين يطلق عليهم كذلك، كانوا رجالاً، وهم يشيرون إلينا إمّا إلى يوهيميروس الأغريجنتي، الذي ترجم إينيوس كتيباته إلى اللغة الإيطاليكية، حتّى يفهمها الجميع، أو إلى نيكانور القبرصيّ أو ليو بيلا، أو إلى ثيودوروس القورينيّ، أو هيبون ودياغوراس الميلوسيّ، أو إلى سطوة ألف شخص آخر، الذين، من خلال حرصهم الشديد على الدقة، قد سلّطوا الضوء بصراحة الرجال الأحرار، على هذه الأمور المخفية.

أرنوبيوس، بشأن الوثنيين، الرابع، *29*، ط. ***Marchesi***.

يتّفق مع هؤلاء أيضاً ثيودوروس الملحد، ووفاقاً لآخرين، فإنّ بروتاغوراس الأبديري، هو أول من دمّر بمهارة، من خلال أطروحته عن الآلهة، كلَّ لاهوت الإغريق [...].

سكستوس أمبيريكوس، ضد علماء الرياضيات، التاسع، *55*، ط. ***Mutschmann***.

كان ثيودوروس القورينيّ يقول إنّ الحكيم ليس لديه سبب لترك الحياة. ثمّ

يسأل: «أليس موقف من يحتقر مصائب البشرية التي تدفعه إلى إنهاء حياته مطابقاً لموقف من يخلط بين الخير والجميل والشرّ والقبح؟»

إستوبايوس، المختارات، الرابع، *52*، *16*،ط. ***Wachsmuth-Hense***.

كان معلّم الملك أتالوس هو ليسيماخوس، الذي يعدّه كاليماخوس بين تلاميذ ثيودوروس، وهيرميبي بين تلاميذ ثاوفرسطس.

أثينايوس، ***VI***، ***252 c***، ط. ***Kaibel***.

نحن في حاجة إلى العقل والفلسفة ليرشدانا إلى الأسرار، لأجل الحصول على أفكار ورعة فقط في الخطابات التي نسمعها، وفي الاحتفالات التي نراها تؤدَّى. كان ثيودوروس يقول إنّ معظم مستمعيه كانوا يأخذون الدروس من اليسار التي كان يعطيها لهم من اليمين. وبالمثل، إذا اتّخذنا الاتجاه المعاكس لما حدّدته القوانين بحكمة فيما يتعلّق بالتضحيات والاحتفالات الدينية، فسوف نقع في أخطاء جسيمة.

بلوتارخ، رسالة في إيزيس وأوزوريس، ص. *384*.

كان ثيودوروس، الملقّب بالملحد، يقول إنّ مستمعيه كانوا يستقبلون الخطب باليد اليسرى التي كان يقدّمها لهم باليمنى.

بلوتارخ، حول هدوء الروح، ص. *417*.

حتّى الفلاسفة الذين أطلق عليهم لقب الملحدين، مثل ثيودوروس ودياغوراس وهيبون، لم يتجرَّؤوا على القول إنّ الله كان فاسداً، إذ كانوا يقولون فقط إنّه لا يوجد كائن غير قابل للفساد، وإذا أنكروا عدم الفساد، ففي الأقلّ سمحوا للفكرة التي كانت لدينا عن اللاهوت بالبقاء.

بلوتارخ، مفاهيم مشتركة بشأن الرواقيين، ص. *147*.

أكَّـد بعـض الفلاسـفة، مثـل ديـاغوراس الميلـوسي، وثيـودوروس القـوريني، وإيهيميروس التيغي، علانية أنَّه لا توجد آلهة.

بلوتارخ، آراء الفلاسفة، الأول، السابع، ص. *278*.

هل يمكن أن نقول إنّ ثيودوروس فقد هذه الحريّة، عندما علمنا الجـواب الـذي ردَّ به على الملك ليسيماخوس، الذي كان يقول له إنّه طـرد مـن بـلاده بسـبب سـوء شخصيته؟ «نعم، أيها الأمير، إن بـلادي لم تسـتطع دعـم تـألقي، وكـذلك سـيميلي لم تستطع تحمّل تألق جوبيتر». ثمَّ أراه الأمير تيليسفوروس محبوساً في قفص حديديّ، مقلوع العينيين، مجدوع الأنف والأذنين ومقطوع اللسان، وقال لـه: «هكـذا أعامـل من يهينني».

بلوتارخ، في المنفى، ص. *149*.

(...) وبعد أن شعر بأنَّ عبقريَّة الفيثاغورسيين كانت محصّنة بعلوم أخرى، ذهب (أفلاطون) إلى قورينة بالقرب من تيودوروس لتعلم الهندسة.

أبوليوس، حول عقيدة أفلاطون، ص. *150*.

لديك من ذلك مثال في هـذه المسـألة الحاليَّـة. لأنَّ الشـعور المشـترك، وهـو أمـر محتمل جدّاً، الذي تلهمنا إيّاه الطبيعـة جميعـاً، يعـترف بوجـود الآلهـة. وقـد عـدَّه بروتـاغور [اس] أنّـه موضـع شـكّ. وقـد أنكـره كـلّ مـن ديـاغور [اس] الميلـوسي، وثيودوروس القوريني من دون تحفّظ.

شيشيرون، حول طبيعة الآلهة، الأول، ص. *79-80*.

ألم ينكر دياغور [اس] الملقّب بالملحد علانية وجود الآلهة؟ وألم ينكر ثيـودوروس ذلك؟

شيشيرون، حول طبيعة الآلهة، الأول، الثالث والعشرون، ص. *93*.

أنت تفتخر بأنّك دست على الخرافات بالأقدام: لكن، لا يوجد شيء سـهل للغايـة بالنسبة إلى من يشـاء، مثلـك، أن يسـحق عـلى الألوهيّـة. هـل تتخيّـل أنّ الملحـدَين ديـاغور [0اس] وثيـودوروس، ربّمـا كانـا مـؤمنين بالخرافـات؟ أنـا لا أشـكّ حتّـى في بروتاغور [0اس]، الذي لم يكن يفعل سوى الشكّ في ما إذا كان هنـاك وجـود للآلهـة أم لا. هؤلاء الفلاسفة كانوا يخنقون، ليس فقـط الخرافـة التـي تثـير خشـية عقيمـة ومثـيرة للسـخرية مـن الآلهـة، بـل ومـن الـدين أيضـاً، الـذي يهـدف إلى تكـريمهم بالتقوى...

شيشيرون، حول طبيعة الآلهة، الجزء الأول، الثاني والأربعون، ص. *106*.

غالباً ما كان أريستون من خيوس يقول إنّ الفلاسفة أساؤوا إلى تلامـذتهم الـذين كانوا يأخذون عنهم مذهبهم الصحيح في الاتجاه الخطأ: إنّ دروس أرستيبوس كانـت تتعاطى الدروس الشهوانيّة، في حين كانت دروس زينـون تتعـاطى الـدروس الفظّـة. إذا كان هذا صحيحاً، فمن المؤكَّد أن يلتزم الفلاسفة الصمت أفضل من فتح المدارس التي يخرج فيها الناس بمبـادئ مغلوطـة، لعـدم فهمهـم فكـر أسـاتذتهم عـلى نحـو صحيح.

شيشيرون، حول طبيعة الآلهة، الثالث، الحادي والثلاثون، ص. *164*.

وفاقاً للغالبية، الآلهة موجودة، والقلّة القليلة ترى أنَّهـا غـير موجـودة. في سـبيل المثال، دياغوراس الميلوسيّ، وثيودوروس، وكريتياس الأثينيّ.

سيكستيوس أمبيريكوس، المخططات البيرونية، الثالث، الرابع والعشرون، ص. *327*.

وقع فوكيون في حبّ عاهرة شابّة كانـت تـؤوي ديوثـاً، وبعـد أن وجـد نفسـه في مغامرة، ذات يوم في المدرسة الثانوية، سمع مثل هذا الخطاب، ومثـل هـذه الحجّـة التي أدلى بها ثيودوروس، الذي كان يلقّب بالملحد، وهذا يعنـي، الكـافر، الـذي كـان

ينكر وجود الآلهة: «إذا لم يكن هناك عيب في تحرير صديق لك مـن العبوديّـة، فـلا عيب في تحرير صديقة لك من العبوديّة، وإذا لم يكن من الخطأ أن تخلّص رفيقاً لك من الأسر، فليس من الخطـأ أن تخلّـص منـه رفيقـة لـك». وبعـد أن اسـتوعب هـذا الشابّ هذه الحجّة، مع شغفه، وأخذ في الحسبان أنّ ذلك كان شيئاً يمكن أن يفعلـه بالعقل، أنقذ من أيدي هذا السمسار العاهرة الشابّة التي كان يحبّها.

بلوتارخ، حياة فوكيون، الثاني والخمسون، حياة الرجال اللامعين، ج. الثاني، ص. *526*.

لأنَّ هناك ميناء في متناول أيدينا، وبما أنّ فيه يوجد الموت، يوجد ملجأ يضمن لنا عدم الإحساس الأبديّ. قال ثيـودوروس لــ ليسـيماخوس، الـذي كـان يهـدّده بشـدّة بالموت: «تحفة رائعة حقّاً تتناسب في قوّتها مع قوّة الذرنوحة!»

شيشيرون، الخامس.

كما تحدَّث ثيودوروس القورينيّ بحريّة كبيرة إلى الملـك ليسـيماخوس، ولأنّ هـذا الأخير هدّد بقتله، قـال لـه: «ألا تخجـل يـا ليسـيماخوس، وأنـت الملـك العظـيم، أن تعامل الصالحين الذين لا يمكنك أن تفحمهم، كما لو لم تكن سوى ذرنوحة؟»

غنومولوجيا الفاتيكان، *743*، ن. *352*، ع. ***Sternbach***.

كان من الممكن أن تتَّحد هاتان المرأتان، من خلال روابـط الجـرأة السـخية، مـع ثيودوروس القورينيّ، الذي كانت لديه الشجاعة عينها، لكنّ المصير لا يسرّ. فقد كان الملك ليسـيماخوس يهـدّده بـالموت: «السـعادة النـادرة التـي تسـتمتع بهـا هنـاك،» أجاب، «لأنك تتمتّع بفضيلة الذرنوحة!» فأغضب الملـك هـذا الكـلام، وأمـر بصـلبه. فقال ثيودوروس: «قد يخيف ذلك رجال حاشيتك، لكنّي لا أهـتمّ إذا مـا تعفّنـت في الأرض أو في الهواء.»

فالير ماكسيم، أفعال وكلمات لا تنسى، الخامس، الثاني، (*3*)، ص. *709*.

وماذا يهمّ ثيودوروس فيما لو تعفّن في الهواء أو في الأرض؟

بلوتارخ، إذا كانت الرذيلة كافية لتجعلك غير سعيد، ص. *490*

لكن ماذا! أيجب أن ننكر إعجابنا بالقوريني، ثيودوروس، الفيلسوف ذائع الصيت؟ عندما كان الملك ليسيماخوس يهدّده بالصلب، قال له: أتوسَّل إليك، وجّه كلامك إلى هؤلاء الناس، حاشيتك، بأدوات تعذيبك، أمّا ثيودوروس فلا يبالي إذا ما تعفّن في الأرض أو في الهواء.»

شيشيرون، ***Tusculanes***، الأول، الثالث والأربعون، المجلد الثالث.

هدَّد الطاغية الفيلسوف ثيودوروس بالموت، وبالموت دون دفن. فقال: «لديك ما يكفي ليرضيك. أمّا أنا فلديّ نصف لتر من الدماء في خدمتكم: أمّا بالنسبة للدفن، فأيّ هراء لتظنّ بأنني أشعر بالقلق من التعفّن فوق الأرض أو تحتها؟»

سينيك، عن هدوء الروح، ص. *324*.

لقد رفضت العديد من المدن، وبخاصّة المدن اللاكوانيّة، كما يؤكّد كاميليون في كتابه (حول سيمونيدس)، الترحيب بالفلسفة والبلاغة بسبب نواياك الطامحة، وبسبب مشاجراتك ومواجهاتك غير المناسبة. هذه هي الأسباب التي حُكم بها على سقراط بالموت، بعد أن تحدث عن العدل أمام القضاة الذين أُحضروا بالقرعة من بين أكثر الناس خداعاً. وهذه أيضاً أسباب وفاة ثيودوروس الملحد، ونفي دياغوراس، ونفي بروتاغوراس.

أثينايوس، الثالث عشر، ***a 611***، ط. ***Kaibel***.

عن الفلاسفة: ترك بعضهم رسائل عدَّة، وبعضهم الآخر لم يكتب شيئاً على الإطلاق، في سبيل المثال، وفاقاً للبعض؛ سقراط، ستيلبونوس، فيليب، مينيديموس، بيرون، ثيودوروس، كارنياديس، وبريسون.

ديوجينيس اللائرتي، الأول، *16*.

كان هناك عشرون شخصاً يحملون اسم ثيودوروس:

الأول، كان الساموسي بن رويكوس. هو الذي نصح بوضع الفحم تحت أساسات المعبد المشيد في أفسوس. نظراً لأنّ الموقع كان رطباً جداً، فقد ادّعى أنّه ما إن يفقد الفحم اللحاء الخشبيّ، فلن يتأثر الجزء الصلب بالمياه.

والثاني، من قيرون، وكان مُتخَصِّصاً فِي عِلْم الْهَنْدَسَة، وكان تلميذاً لأفلاطون.

والثالث، هو الفيلسوف الذي هو موضوع حديثنا.

والرابع، هو الذي نذكر له كتاباً جميلاً جدّاً عن الأصوات الموسيقيّة.

والخامس، هو الذي كتب كتاباً عن المؤلفين الموسيقيين، بدءاً من تيرباندروس.

والسادس، رواقيّ.

والسابع، هو الذي ألف مؤلّفاً عن الرومان.

والثامن، سرقوسيّ، كتب عن الخطط العسكريّة.

والتاسع، من بيزنطة، متخصّص في الخطابة السياسيّة.

وينطبق الشيء نفسه على العاشر، الذي ذكره أرسطو في ملخّص كتابه حول الخطباء.

والحادي عشر، نحّات من طيبة.

والثاني عشر، رسّام استشهد به فليمون.

وكان الثالث عشر رسّاماً، وهو رسّام أثيني كتب عنه مينودوتوس.

والرابع عشر، رسّام من أفسوس، ذكره ثيوفانيس في مؤلفه (حول الرسم).

والخامس عشر، شاعر مؤلّف الأهاجي.

والسادس عشر، كتب عن الشعراء.

والسابع عشر، كان طبيباً، من تلاميذ أثينايوس.

وكان الثامن عشر من خيوس، فيلسوفاً رواقياً.

والتاسع عشر، من ميليتوس، وهو أيضاً فيلسوف رواقيّ.

والعشرون، كان شاعراً ومؤلّف تراجيديات.

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *103-104*.

ز- الثيودوروسيّون

أولئك الذين يُطلق عليهم الثيودوروسيون استمدّوا اسمهم من ثيودوروس المذكور أعلاه، وتبنّوا عقائده. لقد رفض ثيودوروس تماماً الإيمان بالآلهة. عثرنا مصادفة على كتاب من تأليفه بعنوان (حول الآلهة)، ما لا يفسح في المجال للاستخفاف به. يقال إنَّ أبيقور استمدّ معظم الأمور التي قالها من هذا الكتاب.

لقد استمع ثيودوروس إلى دروس أنيقريس وإلى دروس ديونيسيوس الديالكتيكي، كما يقول أنتيستينيس في كتابه (تعاقب الفلاسفة). كان يفترض نهايتي الفرح والحزن، أحدهما يعتمد على الحكمة العملية، والآخر يعتمد على الجنون. كالنعم العملية والحكمة والعدالة، والمواقف الشرّيرة المعاكسة، والحالات الوسيطة للذّة والألم.

لكنّه أيضاً كان يرفض الصداقة على أساس أنّها لا توجد بين الحمقى والحكماء. فبالنسبة إلى الحمقى، في الواقع، ما إن تنقضي المنفعة المستمدّة من الصداقة، فإنَّها تختفي أيضاً، أمّا الحكماء، فهم يتمتعون بالاكتفاء الذاتيّ، فلا يحتاجون إلى أصدقاء.

وكان يقول أيضاً إنّ من المعقول ألّا يخاطر الإنسان الفاضل بحياته لأجل وطنه، لأنّه يجب ألّا يفقد المرء حكمته ليكون مفيداً للحمقى. وكان يقول إنّ العالم كان وطنه.

كان عليه أن يسرق ويزني وينهب المعابد إذا كانت الفرصة تقتضي ذلك، لأنّ أيّاً من هذه الأفعال ليست مخزية بطبيعتها، بمجرد زوال الآراء المسبقة المرتبطة بها، التي ترسّخت، وليس لها غرض سوى كبح الحمقى.

وفي نظر الجميع، ومن دون أيّ حرج، على الحكيم أن يقيم علاقات جنسيّة مع من يحبّ. لهذا السبب، كان يصوغ تفكيراً استفهامياً مثل: «هل يمكن لامرأة متعلّمة نحوياً أن تكون مفيدة بقدر ما تكون متعلّمة نحوياً؟

- نعم. - هل يمكن للفتى أو الشابّ [المتعلّم في النحو] أن يكون مفيداً طالما تعلّم القواعد؟ - نعم. - إذاً، هل يمكن أن تكون المرأة الجميلة مفيدة أيضاً بقدر ما هي جميلة؟ وبالمثل، هل يمكن للفتى الوسيم أو الشاب الوسيم أن يكون مفيداً بقدر ما هو وسيم؟

- نعم.

- لذا، هل يمكن أن يكون الفتى الوسيم أو الشابّ مفيداً بمقدار ما يتمتّع به من وسامة؟»

- نعم.

- وهل من المفيد ممارسة الحبّ؟

ولمّا كان سامعوه يعترفون بذلك، كان يواصل التفكير المنطقيّ:

«وتالياً، إذا مارس أحد الحبّ، بقدر ما هو مفيد، فإنه لا يرتكب أيّ خطأ. لذلك لن يرتكب أيّ خطأ إذا ما استخدم الجمال بقدر ما هو مفيد».

كان هذا النوع من الاستفهام هو ما كان يعطي خطابه قوته.

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *97* إلى *99*.

حول بيون بوريستينيس: في البداية، كان قد اتّبع مبادئ الأكاديميّة، في الوقت الذي كان فيه مستمعاً لأقراطس، ثمَّ اختار طريقة الحياة الكلبية، فارتدى المعطف، وحمل الخرج. في الواقع، ما الدّافع الآخر الذي كان سيتطلّبه ليتحوّل إلى انعدام الحساسية؟ ثمّ انتقل إلى نظريّات ثيودوروس، بعد أن استمع إلى دروس ثيودوروس الملحد، الذي كان بارعاً في جميع أنماط الكلام. بعده، استمع إلى ثيوفراستوس المشّاء. (...) في المحادثة، غالباً ما كان يدلي بملاحظات كانت تنمّ عن عدم احترام للآلهة، متّبعاً في هذا أنموذج ثيودوروس.

ديوجينيس اللائرتي، الرابع، *51*، *52*، *54*.

حول ديوجينيس: لمّا كان العطّار ليسياس يسأله عمّا إذا كان يؤمن بوجود الآلهة، أجاب: «كيف لا أؤمن بها، وأنا أرى فيك عدوّاً للآلهة؟»

ينسب آخرون هذه السمة إلى ثيودوروس.

ديوجينيس اللائرتي، السادس، الرابع، *42*.

حول هيبّارخيا: لقد أربكت ثيودوروس الملقّب بالملحد، بعد أن اقترحت عليه السفسطة التالية: «الفعل الذي ارتكبه ثيودوروس لا يمكن وصفه بأنه ظالم، هذا الفعل، الذي ارتكبته هيبّارخيا لا يمكن وصفه بأنه ظالم. الآن، إذا ضرب ثيودوروس نفسه، فهو لا يرتكب عملاً جائراً. وتالياً، فإنّ هيبّارخيا، إذا ضربت ثيودوروس، كذلك لا ترتكب أيّ عمل جائر. لم يفكّر ثيودوروس في أيّ شيء للردّ على الحجّة، لكنّه خلع عنها معطفها.

ومع ذلك، لم تدهش هيبّارخيا، ولم ترتبك، كما كان يجب أن تكون المرأة عليه. بل أكثر من ذلك، لمّا قال لها تيودوروس: «هل هذه هي حقّاً المرأة التي

تركت مكّوكها على النول؟» أجابت: «أنا بالفعل، يا تيـودوروس، لكـن هـل أبـدو في نظرك كأنني سلكت مسلكاً سيّئاً يخصّني إذا كان الوقت الذي كـان عـليَّ أن أمضـيه في المهنة التي كرّستها لتعليمـي؟ هـذه هـي القصـص التـي تُـروى عـن هـذه المـرأة الفيلسوفة، وهناك قصص أخرى لا تنتهي!

ديوجينيس اللائرتي، الرابع، *97-98*.

ح- أبيقور

لذلك، حينما نقول إنَّ اللذة هي الغايـة، فإنّنـا لا نتحـدّث عـن ملـذّات الضـالين، والذين يعيشون حياة التمتع، كـما يعتقـد الـبعض ممّـن يتجـاهلون العقيـدة، أو لا يوافقون عليها، أو يسيئون تفسيرها. لكن، من حقيقة ألّا يتـألم الجسـد، والـنفس ألّا تضطرب. فلا من الشراب والولائم المستمرة، ولا متعـة الأولاد والنسـاء، ولا الأسـماك وكل اللحوم الأخرى التي تحملها المائـدة الباذخـة، تولـد الحيـاة السـعيدة، بـل مـن المنطق الرصين، بحثاً عن الأسباب في كلّ اختيار رفض، وطرد الآراء التـي مـن خلالهـا يستحوذ الضيق الأكبر على النفوس.

أبيقور، رسالة إلى مينيسوس، ص. *223-225*.

يعتقد البعض أنّ الغاية هـي المتعـة، زعـيمهم هـو أرسـتيبوس، جلـيس سـقراط. ينحدر منه القورينيون. ثمّ جاء أبيقـور، الـذي باتـت عقيدتـه معروفـة عـلى نطـاق واسع، لكنَّها لا تتفق مع عقيدة القورينيين في موضوع اللذّة نفسه.

شيشيرون، الأكاديميون الأوائل، الثاني، *(131)*، ص. *248 - 249*.

حـول أبيقـور: مـثلما قـدَّم عقيـدة ديمـوقريطس حـول الـذرّات، قـدّم عقيـدة أرستيبوس حول اللذة.

ديوجينيس اللائرتي، العاشر، *40*.

وهو يختلف عن القورينيين في موضوع اللـذة. وهـؤلاء، في الواقـع، لا يحتفظـون بلذّة كلذّة في حالة سكون، لكن فقط باللذّة في حالة الحركة. من ناحية أخـرى، هـو يسمح بلذّة الروح والجسـد، كـما يشرح ذلـك في أطروحـة (الاختيـار والـرفض)، وفي كتابه حول (الغاية الأخلاقيّة)، وفي الكتاب الأوّل من أطروحة حـول (أنمـاط الحيـاة)، وفي رسالة إلى أصدقائه الفلاسفة في ميتيليني. وبالمثل، يتحدّث ديوجينيس في الكتاب السابع عشر مـن دروسـه المختـارة، وكـذلك ميـترودوروس في كتابـه (تيمـوقراطس): «وهكذا، ينظر إلى اللذة بأنّها لـذّة سـواء تعتمـد عـلى الحركـة أو لـذّة تعتمـد عـلى السكون». يصف أبيقور، في أطروحته (عن الاختيارات)، الأمر عـلى هـذا النحـو: «إنّ غياب المتاعـب وغيـاب الألم هـما مـن ملـذّات تنطـوي عـلى السـكون، لكـن الفـرح والبهجة يُنظر إليهما بأنهما معتمدان على الحركة والنشاط».

هنا، مرّة أخرى، يختلف عن القورينيين: وفاقاً لهؤلاء، فإنّ آلام الجسـد أسـوأ مـن آلام الروح - في أيّ حال، يخضع الجناة للعقاب في أجسادهم -، لكنّ أبيقور يقول إنّ أسوأ الآلام هي آلام الروح. في أيّ حال، الجسد لا يكابـد المشـقّة إلّا في الحـاضر، أمّـا الروح فتكابد المعاناة في الماضي والحـاضر والمسـتقبل. وهكـذا، فإنّـه يـرى أنّ أعظـم اللذّات هي لذّات الروح.

والحجَّة التي يستخدمها لإثبات أنَّ اللذّة هـي الغايـة، هـي أنّ الكائنـات الحيّـة، منذ ولادتها، تنغمس في اللذّة، وتتجنّب الألم، بطبيعتها، ومن دون تفكـير. لـذلك، مـا إن نستند إلى مشاعرنا الخاصّة، ننفر من الألم، إلى درجة أنّ حتّى هرقل، الذي نهشـه جلبابه، هرب منه صارخاً:

«عقـر ونهـش، وصراخ وعويـل، وحـولي تـئنّ صـخور وقمـم جبـال لـوكريس، ومرتفعات جزيرة إيبويا».

لأجل اللذة، نختار أيضاً الفضائل، ولـيس لـذاتها، تماماً كـما نختـار الـدواء لأجـل الصحّة، كما يقول ديوجينيس في الكتاب العشرين من دروسه المختـارة، بـل ويطلـق على سلوك حياته (السلوك الموجّه). أمّا أبيقور، فيقول إنّ الفضيلة شرط لا غنى عنـه للذّة، ولا يمكن فصلها عنها، وهذه هي الحـال في كـلّ أمـر آخـر، كالطعـام في سـبيل المثال.

ديوجينيس اللائرتي، العاشر، *136* إلى *138*.

ط- الأبيقوريّون

لأنّ أرستيبوس كان أصل المدرسة الأبيقوريّة.

بورفيريون، شروح على رسائل هوراس، أنا، الأول، *18*، ط. ***Holder***.

كان أرستيبوس القـورينيّ أحـد الأبيقـوريين الـذين آمنـوا بـأنّ اللـذة هـي الخـير الأسمى. لهذا السبب، يقول «خلسة»، لأنّه بين الحين والآخر، بعد أن كان وصيّاً عـلى الفضيلة الحقيقيّة، ترك نفسه نهباً للذّة.

ملاحظة ***ACRON***., تعليق، في حورات. الرسالة , ***I, 1, 18***, ط ***Keller***.

«أحياناً أصبح رجلاً عمليـاً.» يعـترف هـوراس بأنّـه تنقّـل بـين مدرسـتين: مدرسـة الرواقيين ومدرسة الأبيقوريين. لهذا يقول إنّه يغرق أحياناً في مياه السياسة المتقلبـة، لأنّ الرواقيين يقدّرون المشاركة في إدارة الدولة، وفضيلة الـروح والحيـاة المسـتقيمة. لكن، في أحيان أخرى، عندما يعتني بجسده، يدع نفسه تعود إلى مبادئ أرستيبوس.

تعليق، في حوارات. الرسالة، الأول، الأول، *16* [رمز. ل، و، ص]، ط. ***Botschuyver***.

تعرَّفوا مدى تواضع القورينيين، على الرغم من أنّهم يستسقون مياههم من مصدر أبيقور نفسه. إنهم لا يريدون من الرجال أن ينغمسوا في بعض الملذات في أثناء النهار، ويوصون بتغطيتها بظلال الليل، لئلّا يثير المنظر، الرغبة في كثير من الأحيان، من خلال انطباع صور حية للغاية في الروح.

بلوتارخ، لا يمكن للمرء أن يعيش باتباع عقيدة أبيقور، ص. *182*.

لذلك، يؤكّد أبيقور، جنباً إلى جنب مع القورينيين، أنّ أول شيء صالح (للإنسان) هو الشهوانية، لأنّ الفضيلة، كما يقولون، بعد أن أتت بسبب الشهوانية، قد ولّدت الشهوانية.

أكليمنس الإسكندريّ، ستروماتا، الثاني، الحادي والعشرون، *128*، *1*، ص. *129*

لم يكن أرستيبوس وأتباعه فقط يسعون للحصول على اللذة في الحركة، لكن أيضاً أبيقور وأتباعه.

أثينايوس، الثاني عشر، *54*، *e6* ط. ***Kaibel***.

2- المقلِّدون

أ- الرسائل السقراطيّة

من أرستيبوس إلى أنتيسِتنيس

يا أنتيستينيس، أنا غير سعيد للغاية! وكيف لا أستطيع أن أكون، طالما أنني آكل وأشرب يوماً بعد يوم، وأنا ممسوح بالعطور، وأغرق في ملابس تارانتان الفضفاضة بالقرب من طاغية! لا أحد يستطيع أن ينتزعني من قسوة ديونيسيوس، الذي يبقيني رهينة، ليس عن جهل، لكنّه مفعم بالخطب السقراطيّة تماماً. وكما أخبرتك، فهو يطعمني طوال الوقت، ويرشّني بجميع أنواع العطور،

ويلبسني جميع أنواع الثياب. هذا الكائن الذي يجبرني على فعل مثل هذه الأمـور لا يخاف الآلهة، ولا يحترم الرجال. الآن، محنتي أسوأ بكثير، لأنّه قد قدّم لي ثلاث نساء صقليات جميلات بشكل رائـع، ومبلغـاً كبـيراً مـن المـال. عنـدما سيضـع حـدّاً لهـذه الأشياء، لا أعرف. من الجيّد أن تعاني من مصـائب الآخـرين. بالنسـبة إليّ، أنـا أبـتهج بسعادتك، لأعطي انطباعاً بأنك تفعل الأمور عينها التـي تفعلهـا، وتاليـاً تجلـب لـك السعادة. اعتنِ بنفسك! اجمع التين المجفّف لفصل الشتاء، وخزّن دقيقاً كريتيّاً. هـذا يساوي أكثر من الثروات كلّها، اغتسل واروِ عطشك في مياه نبع أنييكرونـوس، وارتـدِ طوال الشتاء والصيف المعطف المتّسخ البالي نفسه، كـما يليـق بالرجـل الحـرّ الـذي يعيش في الديمقراطيّة الأثينيّة. بالنسبة إليّ، منـذ اللحظـة التـي وطـأت فيهـا قـدمي هذه المدينة وعلى هذه الجزيرة التي سيّدها طاغية، كنت أعلم أنّني سأكون تعسـاً، مثلما كتبت إليَّ. الجميع ينظر إليَّ بشفقة ورأفـة: السيراقوسـيون وسـكّان أغريجنتـو الذين يأتون إلى هنا، وسكّان جيلا، والصقليون الآخرون. لأجل هـذا المجنـون، لكـوني فاقداً للوعي، ألوم نفسي، وأستحقّ أن ألعنها، فـأتمنّى ألّا تتركنـي هـذه الشرور أبـداً، لأنّني كنت بالفعل في سنّ معيّنة، وكنت أرى نفسي رجـلاً عـاقلاً وحكـيماً، لم يبحـث قطّ عن الجوع والبرد بأيّ ثمن، ولا العار، ولم تكن لديه لحيـة طويلـة شـعثاء. أرسـل إليكم ترمساً أبيض كبيراً لتأكله بعد التحدّث إلى شبّان هيراكلـيس. فضـلاً عـن ذلـك، قيل لي إنك تتحدَّث وتكتب عن مثل هذه الموضوعات من دون أن تشـعر بالخجـل. لكنّ الحديث عـن الـترمس لديونيسـيوس لـن يكـون مخزيـاً فحسـب، بـل سـيكون مخالفاً لقوانين الاسـتبداد نفسـها. أمّـا البـاقي، فاذهـب إلى سـمعان صـانع الأحذيـة وتحدّث إليه، فأنا أعلم أنّه في رأيك لا يوجد ولن يكون أبداً رجل أكـثر حكمـة منـه. أمّا بالنسبة إليّ، فأنا ممنوع من الارتباط بالحرفيين، فأنا تحت سلطة شخص آخر.

الرسائل السقراطية، التاسع، ط. ***Köhler***.

من أرستيبوس إلى إيسخينيس

سيُطلق سراح شبّان لوكريس، الذين كتبت لي عنهم، ولن يُقتلوا. ولن يـدفعوا أيّ غرامة، لأنّهم وصلوا إلى عتبة الموت. لكن، لا تخبر أنتيسِتنيس أنّني أنقذتهم، لأنّـه لا يحبّ أن نتّخذ من الطغاة أصدقاء، لكنّه يريدنا أن نـتردّد فقـط عـلى تجّـار الـدقيق وأصحاب الفنادق في أثينا، الذين يبيعون نبيـذهم ودقـيقهم بصـدق، وتجّـار السـلع المستعملة الذين يستأجرون سـترات كبـيرة عنـدما تبـدأ ريـاح سـكيرون في الهبـوب، والذين يحترمون سمعان [الخراز]. كلّ هذا بعيد عن الثروة.

الرسائل السقراطية، الحادي عشر، ط. ***Köhler***.

من أرستيبوس إلى سمعان

لست أنا من يسخر منك بل فايدون، عندما يقول إنك أفضل وأكثر حكمـة مـن بروديكوس السيوسيّ، الذي دحضت خطابه بخصوص هرقـل ذات مـرة. أنـا دَهـش حقّاً، وأهنّئك، لأنّه على الرغم من أنك مجـرّد صـانع أحذيـة بسـيط، فإنَّـك ممتلـئ بالحكمة، هذا صحيح، فأنت تجتذب في ورشة العمل الخاصّة بك سـقراط والعديـد من الشبّان، الرائعين والنبلاء، مثل ألكيبيادس، ابن كليناس، فايدون الميرينوسـيوسي، إيوثيديموس، ابن غلوكون، وكذلك الأشخاص المعنيين بشؤون الدولة، مثل أبيقراطس ويوريبتوليموس وغيرهما. حتّـى بـريكليس، ابـن زانثيبـوس، فهـو إن لم تكـن لديـه قيادة للجند، ولم تكن هناك حرب، فأنا مقتنع بأنّه كان سيكون قريباً منك. الآن، أنا أعرفـك. يـتردّد أنتيسِـتنيس عـلى ورشـة عملـك. لكـن، يمكنـك أيضـاً التفلسـف في سيراكيوز. أؤكّد لك أنّ الجلود والأحذية لها قيمتها هنا. أنت لا تعرف ذلك، لكـن في كلّ مرة أرتـدي فيهـا حـذائي، أُثـار إعجابـاً كبـيراً بمهنتـك. بيـنما أنتيسِـتنيس، الـذي يمشي حافي القـدمين، مـا الـذي يفعلـه سـوى أن يغريـك بالكسـل والفقـر، محـاولاً

إقنـاع الشـبّان وجميـع الأثينيـين بتبنّـي هـذه العـادة؟ انظـر إذاً، إلى أيّ مـدى أنـا صديقك، وأنا من ناحيتي أقرّ بالوئام واللذّة! وأنت توافق على استجواب بروديكوس بذكاء رائع، لكن بالنسبة إلى البقية فأنت لا تعـرف شـأنك. [لأنـه لـو كنـت تعرفـه] لأُعجبت بي، ولكنت تسخر من هؤلاء الأفـراد ذوي اللحـى الكثيفـة الـذين يتوكـؤون عـلى العكّـازات، هـؤلاء المتبجّحـون الصـغار القـذرون، مـن ذوي الأظـافر الضـخمة، كالوحوش، الذين يقترحون تعاليم ضدّ مهنتك، وضدّ أرستيبوس.

لقد علمنا توّاً، أنا وكليومبروتوس، ملابسـات وفـاة سـقراط، وكيـف لم يسـمح لـه الأحد عشر بالهرب، وبقي في السجن، قائلاً إنّه لم يكن ليفكّر في الهرب لو لم نكن قد أنقذناه بالقوانين في السابق، وإلّا لو تصرّف وفاقاً لأفكاره لكان قد خان بـلاده. كنـت أعتقد أنّنا سننقذه بطريقة أو بأخرى، لأنه اعتُقل ظلماً. فضلاً عـن ذلـك، أنـا أرى أنّ كلّ ما فعله، حتّى الأمور السيئة أو تلك التي لا معنى لهـا، كـان صـحيحاً، ومـن الآن فصاعداً لن يعرف أحد كيف يُـتّهم بمثـل هـذا الإفـراط. لقـد كتبـت لي كيـف غـادر جميع أصدقاء سقراط أثينا خوفاً من أن يحدث لك شيء ما. وقد أبليت بـلاء حسـناً. في الوقت الحالي سنبقى في إيجينا، ثـمّ سـنلحق بكـم. وإذا وجـدنا شـيئاً أكـثر إثـارة للاهتمام لعمله، فسوف نعمله.

الرسائل السقراطية، الثالث عشر، ط. ***Köhler***.

من أرستيبوس إلى ابنته آريتي

لقد تسلّمت جميع الرسائل التي أرسلتِها إليَّ بلا هوادة، والتي فيهـا تطلبـين إليَّ العـودة إلى قورينـة بـأسرع وقـت ممكـن، وفيهـا تخبرينـي أنّ الـوكلاء لا يطيعونك، وأنّ زوجك غير قـادر عـلى إدارة التركـة، لأنـه يخجـل مـن التـدخّل، معتاداً الابتعاد عن الاضطرابات السياسيّة. لـذلك، حاولـت الحصـول عـلى إذن

من ديونيسيوس للإبحار إليك، لكنّ المرض يمنعني من مغادرة جزر ليباري. في هذه المناسبة، أدركت مدى قرب سونيكوس وأسرته منّي، ومدى تفانيهم في الاعتناء بي، فيا ليت كانت الصداقة كافية للبقاء في قيد الحياة! أمّا بخصوص ما طلبتِه منّي، أي ما إذا كنتِ ستكونين محترمة من قِبل أولئك الذين حرّرتِهم، والذين كانوا يعلنون أنَّهم لن يتخلّوا عن أرستيبوس طالما كانت لديهم القدرة على توفير السعادة لنا، أنا وأنت، فثقي بهم تماماً! فبفضلي هم حتّى يومنا هذا لم يرزحوا تحت أعباء المصائب. أوصيكِ بأن تديري المنزل بالاتفاق مع حكّام [المدينة]، حتّى تتمكّني من الاستفادة من نصيحتي بعدم الرغبة في كثير من الأمور. بهذه الطريقة، ستمضين حياة سعيدة للغاية، وستحتقرين ما لا لزوم له. وكي أكون صادقاً، هؤلاء الناس لم يؤذوك بما يكفي حتّى يتركوكِ معدمة. لا تزال لديكِ حديقتان متبقيتان، وسيكون عائدهما وفيراً لك بما يكفي لتعيشي نمط حياة باهظ الثمن، وكذلك ممتلكات برنيس التي لن تحرمك من وجود رائع. أنصحك بعدم ازدراء الأمور التافهة، لكن لا تدعيها تثيرك أيضاً، لأنَّ الغضب ليس جميلاً حتَّى عندما يتعلَّق الأمر بأشياء مهمّة جدّاً. إذا كنت ترغبين في تحقيق أمنيتي الأخيرة، بعد أن تنفصل روحي عن جسدي، بمجرّد الانتهاء من تعليم الشابّ أرستيبوس، عودي إلى أثينا، بالقرب من زانثيبوس وميرتو، اللتين طلبتا إليَّ مراراً وتكراراً اصطحابكِ إلى هناك لتتعلّمي مبادئ غوامض الأمور. لذا، عِيشي حياة سعيدة معهما، ودعي القائمين على قورينة يؤذوكِ بقدر ما يحلو لهم (في النهاية، لن يكونوا قادرين على مسّ حقوقك الطبيعيّة). اسعي للعيش بمودّة عالية مع زانتيبي [زوجة سقراط] وميرتو، مثلما عشت أنا مع سقراط، واكسبي تعاطفهما إلى حدّ ما كلّ يوم: معهما لا مكان للغطرسة. وإذا لم يكن عن طريق المصادفة، إذا وصل لامبروكليس، ابن سقراط، الذي التقيته في ميغارا، إلى قورينة، فادعيه للعيش معكِ، واحترميه بحسبانه ابناً. وإذا لم تعد

لديك الرغبة في إكمال تعليم ابنتك، بسبب المشكلات التي سبّبها مثل هـذا المشروع، فإنّ ابنة يوبيا، التي كنتِ تعاملينها بسخاء [نقص فقرة]. لكن، قبل كلّ شيء، اعتنـي بأرسـتيبوس الصـغير، ليكـون جـديراً بنـا وبالفلسـفة. في الواقـع، هـذا هـو المـيراث الحقيقيّ الوحيد الذي أتركه له، لأنّ ظروف الحياة وأبناء قورينة معادون لـه. فضلاً عن ذلك، أنتِ لم تكتبي لي شيئاً حول موضوع الفلسفة، كما لو أنَّ شخصاً مـا يمكـن أن يختطفها منك. تمتّعي بالثروات التي تمتلكينها، ثمَّ اتركي ميراثها لابنك الذي أعـدّه ابني. لطالما أنّني أموت من دون أن أفرح كثيراً في حضوره، آمـل في أن تكـوني قـادرة على قيادته على الطريق الصحيح، طريق الرجال العـادلين. كـوني بخـير، ولا تغضـبي منّي!

الرسائل السقراطية، السابع والعشرون، ط. ***Köhler***.

ب- الرسائل الكلبيَّة

[الكلبية أو الفلسفة التشاؤمية]

علمت أنك تشوّه سمعتي بين صفوفك، وأنك في حضور الطاغيـة لم تفـوّت قـطّ فرصة لإهانة فقري، لأنك ذات يوم أمسكت بي عنـد النـافورة وأنـا أغسـل الهنـدباء التي كنت أرفقها بخبزي. من ناحيتي، أتساءل، يا عزيزي، كيف يمكنك إلقـاء اللـوم على فقرهم، أولئك الذين يحملون قيماً حقيقيّة جديرة بالتقدير، وأنت الذي كنـت مستمعاً لسقراط، الرجل الذي كان يرتدي المعطف نفسه في الشتاء كما في الصيف، وفي جميع المواسم، والذي كانت تشترك النسـاء في ارتدائـه، والـذي كـان لا يحصـل عـلى طعامـه، لا مـن الحديقـة ولا مـن حـارة الطهـاة، وإنّمـا مـن صـالات الألعـاب الرياضيَّة. لكنّك تعطي انطباعاً بأنك نسيت كلّ ذلك من خـلال الـتردّد عـلى موائـد صقلية. لـن أذكّـرك بقيمـة الفقـر، ولا سـيّما في أثينـا، ولـن أسـوّغ لـنفسي في هـذه النقطة (لأنّني لا أشير إليك لمعرفـة نعمتـي، كـما تفعـل أنـت، وإنّمـا أنـا أشـير إلى

الآخرين: في هذا الصدد، يكفيني شعوري البسيط)، لكنّي سأذكّرك مرّة واحدة، وإلى الأبد، من هو ديونيسيوس والبشر السعداء مـن حاشـيته، الـذين يسـعدونك عنـدما تأكل وتشرب في مآدب باذخة (من تلك التي ترغـب الآلهـة في الحفـاظ عليهـا!)، في كلّ مرّة ترى فيها رجالاً يتعرّضون للجلد أو الخوزقة أو ينقلون إلى محاجر الحجـر في لاتومي، حيث ترى أيضاً نساء بعض المختطفين، وأطفالاً آخرين، بل حتّى المزيد مـن العبيد الذين يعانون من الإهانات، لـيس مـن شـخص واحـد فقـط أو مـن الطاغيـة نفسه، بل من العديد من الأشخاص الحقيرين، أمّا أنت فترى نفسك في نهاية المطاف تشرب تحت الإكراه، باقياً هناك، تحـاول المغـادرة، وغـير قـادر عـلى الهـرب بسـبب قيودك الذهبيّة. هذا ما أذكّـرك بـه مقابـل هـذه الإهانـات. أنـا الـذي أعـرف كيـف أنظّف الهندباء ولا أعرف شيئاً عن فنّ التودّد على أبواب ديونيسيوس، فأنا أؤكّـد أنّ حياتي أفضل من تلـك التـي تعيشـونها، يـا حضرة مستشـاري ديونيسـيوس وأسـاتذة صقلية كلّها! لكن، على الرغم من كلّ تصريحاتك الوقحة ضدّي، فقد تستعيد الحسّ السليم، وقد لا يتعارض عقلك مع الأهواء: في الواقع، ما يجده المـرء في ديونيسـيوس جميل، في الأقلّ بالاسم، لكنّ الحريّة التي كانت تسود في زمن كرونوس (...).

الكلبيون [المتشائمون] اليونانيون. خطابات ديوجينيس وإقراطس، ترجمة. جورج رومبي، **Actes Sud**، سلسلة. بابل، *1998*.

3- النقد

أ- زينوفون أو - كسينوفون - وشركاؤه

كان زينوفون يكنّ الكراهية تجـاه أرسـتيبوس. هـذا هـو السـبب في أنَّ الخطاب ضدّ اللذّة الذي وضعه في فم سقراط كان موجّهاً ضدّ أرسـتيبوس. لكنّ أرستيبوس تعـرّض لسـوء معاملـة ثيـودوروس أيضـاً في مؤلّفـه (حـول

المدارس الفلسفية)، ومن قبل أفلاطون في مؤلفه (حول الروح)، كما قلنا في مكان آخر.

ديوجينيس اللائرتي، الثاني، *65*.

عاش أرستيبوس مدّة طويلة في أجينا، مستسلماً للدعة. هذا هو السبب في أنّ زينوفون يقول، في مذكّراته، إنّ سقراط غالباً ما كان يوبّخه، بل إنّه اخترع (روح الفضيلة والمتعة).

أثينايوس، الثاني عشر، *544* ***b***، ط. ***Kaibel***.

إذاً، كيف يمكنني أن أُفرغ مستودع قمح طلابي؟ إنّني أسكب القمح مثلما [نرمي] التين على رؤوس عبيد تمَّ شراؤهم حديثاً. لم يفعل أرستيبوس القوريني، السفسطائيّ، شيئاً من هذا القبيل، على الرغم من أنَّ قمح ديونيسيوس كان أكثر وفرة بعشر مرات [من قمح الآخرين].

ثيميستيوس، الخطب، الثالث والعشرون، *293* ج، ط. ***Dindorf***.

وتالياً، اتُّهم أرستيبوس، من بين آخرين، بأخذ حمّامات طبيعية ضدّ ملذّات الحبّ (؟)، وأليكسيوس، إلخ.

V.H. VIII, p. 77, papyr. 418, fr. 4

في رسالته عن العدالة ضدّ أرسطو، انتقده لقوله إنّ وضع غاية الإنسان النهائيّة في الشهوة هو تدمير للعدالة ومعها كلّ الفضائل الأخرى.

بلوتارخ، حول تناقضات الرواقيين، ص. *69*.

تستجيب كلمة «كلب» إلى أقصى حدّ من مرادفها، للعديد من المفاهيم المختلفة جداً التي تعبّر عنها أيضاً: الكلب هو الحيوان الأرضيّ الذي ينبح، وحش البحر، الكوكبة السماوية التي يسمّيها الشعراء أيضاً بـ«الحصاد»، لأنّ

الحصاد كان ينطلق في السابق عندما ترتفع هذه الكوكبة لتؤدّي إلى إتمامه ونضجه الكامل. تشير هذه الكلمة أيضاً إلى الفيلسوف الذي ينتمي إلى المدرسة الكلبيَّة، أرستيبوس، وديوجينيس، وإلى عدد كبير من أولئك الذين اختاروا نظام الدراسة نفسه.

فيلون الإسكندري، حول الزراعة، ترجمة جان بويو، ط.، ***du Cerf***، ***1963.*** ***10***، ***151***، ص. *93-95*.

كانت حياة (أرستيبوس) متوافقة مع تعاليمه. عاش في دعة محاطاً بالعطور والملابس والنساء.

أثينايوس، الثاني عشر، *544* ***b***، ط. ***Kaibel***.

في محاولة للسخرية منه، يروي ألكسيس، في كتابه **Galatea**، عن أحد تلامذته: «في مراهقته، كرَّس معلّمي نفسه للمنطق والفلسفة. كان هناك حينها رجل قوريني، يقال إنّه رجل سفسطائيّ نبيل العرق، من بين الجميع هو الأفضل، متميّز بين كلّ البشر بالإسراف. وبعد أن منحه معلّمي قريحة، وأصبح تلميذه، لم يتعلّم شيئاً من الفنّ، لكنَّه قلَّص حلقومه تماماً.»

أثينايوس، الثاني عشر، *544* ***b***، ط. ***Kaibel***.

حول أركسيلاوس: عاشق كبير للإسراف - لم يكن في الواقع سوى أرستيبوس ثانٍ - كان يتردّد على المآدب، تلك التي يقدّمها أقرانه، وهم فقط. عاش في وضح النهار مع المحظيات إيلس وتيودوت وفيليا. لمَّا كانوا يسخرون منه (في هذا الصدد) اقتبس من أقوال أرستيبوس. كان يحبّ الشباب ويتوق إلى الملذّات. هذا هو السبب في أنّ أريستون من خيوس وتلامذته الرواقيين كانوا يوبّخونه لأجل ذلك، واصفين إياه بمفسد الشبّان، وأستاذ الفحش والفسوق.

ديوجينيس اللائرتي، الرابع، *40*.

ب- لوقيانوس السميساطيّ

سقراط: ما أصبحت عليه الأوضاع في أثينا؟

منيبوس: كثير من الشبّان يقولون إنّهم فلاسفة، وإذا كان المرء قد فكّر في الملابس نفسها، في الأقلّ، وطرائق مشيتهم فيها، فهم فلاسفة بارعون.

سقراط: لقد رأيت تماماً الكثيرين منهم.

منيبوس: لكنّك رأيت، على ما أعتقد، ما جاءك به أرستيبوس، وأفلاطون بالذات: فهذا من خلال العطور التي تفوح منه، وذاك من خلال ما تعلّمه كيف يتودّد إلى الطغاة في صقلية.

لوقيانوس، حوارات الموتى، ص. *103*.

احتلَّ تلامذة أرستيبوس وأبيقور المرتبة الأولى، لأنَّهم كانوا سكّيرين ومسلّين ومقبولين.

لوقيانوس، التاريخ الحقيقي، ص. *1371*.

جوبيتر: ادعُ شخصاً آخر هنا، ذلك القوريني، هذا الرجل دائماً يرتدي الأرجوانيّ متوّجاً بالزهور.

ميركوري: يجب أن نكون حذرين: هنا شيء رائع، لكن لا يمكن أن يحصل عليه إلّا الثريّ. ها هي ذي الحياة الممتعة، النعيم المثاليّ. من يريد تذوّق المتعة؟ من يريد شراء هذه الشخصية الرفيعة؟

مشترٍ: اقترب قليلاً يا صديقي وأخبرني بما يمكنك أن تفعله، لأنّه إذا كنت تستطيع أن تكون مفيداً لي، فسأشتريك في الحال.

ميركوري: لا تزعجني يا عزيزي، توقَّف عن استجوابه، إنّه سكران، ولن يستطيع الردّ عليك. ألا يمكنك أن ترى كيف يتلعثم؟

مشترٍ: إيه! فأيّ رجل عاقل يريد أن يشتري مثل هذا العبد الفاسد الفاسق؟ كم من العطور تفوح منه! كم هي مترنحة وغير ثابتة مشيته! لكنك يا ميركوري قل لي، أتوسّل إليك، ما هي مواهبه، وبماذا يجتهد؟

ميركوري: في شيء واحد فقط. إنّه ضيف جيّد، قادر على التفكير والكأس في يده، والرقص على صوت المزامير، في الأعياد. إنّه مناسب تماماً للمعلّم الذي يكرّس نفسه للحبّ والفجور. كما أنّه ضليع في فنّ تحضير الأطباق وعجن الكعك. باختصار، إنّه رجل ذو تعليم رائع. تتلمذ في أثينا، وكان خادماً لطغاة صقلية، واكتسب شهرة كبيرة بينهم. العقيدة الأساسية لفلسفته هي احتقار كلّ شيء، واستخدام كلّ شيء من دون تمييز، والبحث عن اللذّة في كلّ شيء.

مشترٍ: أوه! يمكنك أن تلقي نظرة على شخص غنيّ ومترف، لأنّني لست في وضع يسمح لي بشراء مثل هذه الحياة الشهوانيّة.

ميركوري: يا جوبيتر، يبدو أنّ هذا الشخص لا يجد من يشتريه، وسيبقى معنا.

لوقيانوس، الطوائف في المزاد، ص. *47-48*.

العدالة: في الوقت الملائم. أنت، يا ميركوري، تتذرّع بأسباب أخرى.

ميركوري: الفضيلة والدعة، في موضوع أرستيبوس. فليتقدَّما.

الفضيلة: بالنسبة إليّ أنا من يتحدّث أولاً. ينتمي أرستيبوس إليّ: خطاباته وأفعاله تجعله معروفاً بما فيه الكفاية.

الدعة: مُطْلَقاً. أنا من يجب أن أتكلّم. هذا الرجل ملكي، يمكننا أن نحكم من خلال تيجانه وملابسه الأرجوانيَّة وعطوره.

العدالة: لا تجادلنَّ. ستؤجّل القضية حتّى يقرّر جوبيتر في قضيّة ديونيسيوس. هناك سبب للاعتقاد بأنّ الوقت ليس ببعيد. إذا فازت الشهوانية

في قضيّتها، فإنَّ الدعة سوف تستولي على أرستيبوس، وإذا فاز الرواق، فسينتمي أرستيبوس إلى الفضيلة.

لوقيانوس، الطوائف في المزاد، ص. *162*.

سئل ذات يوم: أياً من الفلاسفة كان يمنحهم الأفضليّة، فأجاب: «يبدو لي الجميع رائعين، لكنّي أقدّس سقراط، وديوجينيس يدهشني، وأحبّ أرستيبوس.»

لوقيانوس، حياة ديموناكس، ص. *454*.

4- الخصوم

أ- أفلاطون

ذات مرَّة، عمد سقراط، عندما رأى أرستيبوس، الذي كان يرتدي ثياباً باهظة الثمن، إلى تلويث الكرسي الذي كان يعتقد أنّه يجلس عليه. ولمّا أخذ أرستيبوس مكانه فيه بعناية كبيرة، قال: «كنت أعتقد أنّك أنت من تمتلك المعطف، وليس المعطف ما كان يمتلكك.»

غنومولوجيا الفاتيكان، *743*، ع. *493*، ط. ***Sternbach***.

كان أفلاطون يبدو رجلاً غيوراً، وبسبب مزيَّته لم يكن يتمتّع بسمعة طيّبة. ضحك على أرستيبوس عندما وصل إلى ديونيسيس، [متناسياً] أنّه هو نفسه قد أبحر ثلاث مرات إلى صقلية.

أثينايوس، الحادي عشر، *507 b*، ***ed***. ط، ***Kaibel***.

لمَّا سأل أفلاطون أرستيبوس ذات مرّة، عمَّن كان مريضاً، إن كان في حال فضلى، أجاب هذا الأخير بأنّ الرجل الفاضل بصحَّة جيّدة حتّى عندما يكون مصاباً بالحمّى، أمّا الشرّير فيكون مريضاً حتّى عندما لا يكون مصاباً بالحمّى.

غنومولوجيا الفاتيكان، *743*، ع. *30*، ط. ***Wien*** (***Sternbach***. الدراسات، التاسع، *1887*، ص *190*).

كان أرستيبوس السقراطيّ جشعاً أيضاً. حتّى إنّ أفلاطون عاتبه على شراهته كما أفاد سوتيون وهيجيساندروس، من مواليد دلفي...

في الواقع، كتب هذا: «لمّا سأل أفلاطون أرستيبوس ذات يوم، بنبرة عتاب، لماذا اشترى مثل هذه الكميّة من الأسماك، أجابه بأنّه لا يدفع سوى أوبولين اثنين مقابلها. ولمّا أخبره أفلاطون أنّه كان في وسعه هو أيضاً شراؤها بمثل هذا السعر، أجاب الآخر: «كما ترى، يا أفلاطون، ليس الأمر أنّني جشع، لكن الأمر يتعلّق بأنّك تحبّ المال».

أثينايوس، الثامن، *343 c*، ط. ***Kaibel***.

لمّا كان أفلاطون يوبّخ أرستيبوس ذات يوم لأنّه اشترى سمكة بثمن باهظ، وهو يدفع اثنتي عشرة دراخما، سأله أرستيبوس عمّا إذا كان بإمكانه شراء السمكة نفسها مقابل دراخما واحدة. ولمّا أكّد له أفلاطون ذلك، قال أرستيبوس: «حسناً، ما يساوي دراخما واحدة لأفلاطون يساوي اثنتي عشرة لأرستيبوس.»

غنومولوجيا الفاتيكان، *743*، ع. *40*، ط. ***Sternbach***.

ب- أرسطو

يقال إنّ اللذّة ليست نعمة على الإطلاق، لأنّ: كلّ لذة هي إحساس بالصيرورة نحو حالة طبيعية، والصيرورة ليست أبداً من نوع غايتها عينه: في سبيل المثال، إنّ عمليّة البناء أبداً ليست من النوع نفسه مثل المنزل.

أرسطو، الأخلاق النيقوماخية، ص. *365*.

وهـذا هـو السـبب في أنّـه لـيس مـن الصـحيح القـول إنّ اللـذّة هـي صـيرورة محسوسـة، بـل يجـب بـالأحرى تعريفهـا بأنّهـا نشـاط عـلى طريقـة الوجـود وفاقـاً للطبيعة، وبدلاً من الإحساس بهـا، يجـب وضـعها مـن دون عوائـق. - هنـاك أيضـاً أشخاص ينظرون إلى اللذة بأنّها صيرورة، لأنّها بالنسبة إليهم نعمة بـالمعنى المطلـق، لأنَّ النشاط في نظرهم هو الصيرورة، أمَّا في الواقع فهو شيء آخر تماماً.

أرسطو، الأخلاق النيقوماخية، ص. *369*

نعـم، كيـف يكـون الوجـود ممتعـاً عنـدما يسـتبعد الفطنـة، وعنـدما يسـتبعد الحكمة؟ وهذا هـو المكـان الـذي ينفجـر فيـه جنـون آشـور بانيبـال، فخامـة الملـك الآشوريّ الذي نقش على قبره: «ما لديّ هو ما أكلته، وما التهمته هو لإشباع أهوائي، في المقابل، هناك ألف من الممتلكات الرائعة التي تخلّيت عنها». يقول أرسطو: «هل كان يمكن للمرء أن يكتب نقشاً آخر، لو كان الأمر يتعلّق بإحياء ذكـرى ثـور، ولـيس ذكرى ملك؟ الممتلكات التي يدّعي أنّه يمتلكها في الموت، لم يكن ليمتلكهـا في الحيـاة نفسها، إلّا حين كان يتمتّع بها.

شيشيرون، ***Tusculanes***، الخامس.

ج- سكستوس أمبيريكوس

نحن نقابل طريقة حياة بطريقة حياة: طريقة ديـوجينيس بطريقـة أرسـتيبوس. (...) إنّها تتعارض مع الرأي الدوغماتيّ: من عادتنا أن نسأل الآلهـة عـن الخـير، لكـنَّ أبيقـور يـدَّعي أنّ الألوهيّـة تـدير ظهرهـا لنـا، ويجـد أرسـتيبوس أنّ مـن الزهـد أن نتجلبب بلباس النساء، لكننا نجده مخزياً.

سيكتوس أمبيريكوس، المخططات البيرونية، الأول، الرابع عشر، ص. *189-188*.

يُقال إنّ توجّه القورينيين هو نفسه توجّه الشكوكيّة، لأنّه يدّعي أيضاً فهم التصرّفات فقط. الأمر مختلف: توجّه يتّخذ من اللذّة غاية، وحركة الجسد مستحبّة، ونحن، وراحة الضمير، غايتهما تتعارض مع غايتنا، لأنَّ من يؤكّد أنّ الغاية هي اللذّة كما خلصت إلى الغاية، يتحمّل المتاعب، سواء استمتع باللذّة أم لا. ثمّ نعلّق الحكم لنسوّغ الأشياء الخارجية، فالقورينيون يعلنون أنَّ طبيعتهم بعيدة المنال.

سيكتوس أمبيريكوس، المخططات البيرونية، الأول، الحادي والثلاثون، ص. 204.

د- **الرواقيُّون**

هذا ما قاله توليوس في حوار هورتنسيوس، الكلمات التي لا بدّ أنّها أسعدتك أكثر من كلمات بالبوس، التي انحازت إلى جانب الرواقيين. على الرغم من أنّها صحيحة، إلّا أنّها مع ذلك تتعلّق بالجزء من الأدنى من الإنسان، أي الجسد، ولم تستطع مساعدتك بأيّ شكل من الأشكال. هذا ما يقوله [توليوس] لصالح حيوية العقل وضدّ متعة الجسد. هل يجب أن نبحث عنها، كما يقول، عن ملذات الجسد التي أكّد أفلاطون بوضوح، وبحقّ، بأنّها طُعوم وإغراءات الشرّ؟ وهل هناك ضعف في الصحّة، أي تشوّه في الوجه أو الجسم، أي مرض مخزٍ، أي شيء مهين لا ينشأ عن اللذّة ولا يستفزّها؟ فكلّما ازداد الانفعال الذي تسبّبه اللذة، ازدادت معاداة الفلسفة. لأنّنا لا نستطيع التوفيق بين متعة الجسد الشديدة والتفكير. فمن ذا الذي يستطيع أن يركّز عقله، ويكرّس نفسه لنشاط عقلانيّ، ويتأمل في أيّ شيء، مستمتعاً بهذه اللذة التي لا يمكن تجاوزها؟ لكن، هل يمكن لأيّ شخص أن يكون نهماً إلى درجة أنَّه يرغب في أن تكون حواسه، ليل نهار، من دون أيّ مهلة وجيزة من الراحة،

متحمسة للغاية بحيث تصل إلى أعظم الملذات؟ إذاً، أيّ شخص عاقل لن يفضّل أيَّ لذة منحتنا إيّاها الطبيعة؟

شيشيرون، هورتينتيوس، *81*، ط. ***Müller***.

أبحرنا من كاسيوب إلى برندوس، على البحر الأيونيّ، كان بحراً شاسعاً وعنيفاً وعاصفاً. منذ الليلة الأولى لم تتوقَّف الريح عن هبوبها على جانب السفينة، فملأتها بالماء. كنّا نشعر بالأسى، وكنّا نعمل في تفريغ المياه من قعر السفينة. وأخيراً بان النهار. لكنّ العاصفة والخطر لم يتضاءلا: عن ذلك، أصبحت العواصف أكثر تواتراً؛ سماء سوداء، كتل من الضباب، غيوم مخيفة، أطلق عليها البحّارة اسم مواسير مائية، كانت تهدّد بإتلاف السفينة. كان معنا فيلسوف مشهور من المدرسة الرواقيّة: كنت أعرفه في أثينا. كان يحظى بتقدير كبير، ويمارس إشرافاً شديداً على الشبّان. في خطرنا، ووسط صخب السماء والبحر، بحثت عنه. كنت أشعر بالفضول لمعرفة حالة روحه، ومعرفة ما إذا كان لا يزال حازماً وثابتاً. كان هادئاً وشجاعاً: لم يبكِ، ولم تصدر عنه أدنى أنَّة وسط الخراب العام، ما عدا ملامح وجهه لم تكن بأقلّ تعبيراً من وجوه الآخرين. وأخيراً، صفت السماء، وهدأ البحر، وأصبح الخطر أقلّ وشوكاً. ثمّ، رأيت يونانياً من آسيا الصغرى، يبدو عليه مُنْغَمِساً بِالتَّرَف، محاطاً بموكب كبير من الثروة والعبيد، وبطريقة مصحوبة بكلّ ملذات العقل والجسد، يقترب من الرواقيّ: «ما هذا أيّها الفيلسوف!»، قال له بنبرة ساخرة، «في الخطر المشترك الذي كنت تشعر بالخوف حياله، فصار وجهك شاحباً!»، تردّد الفيلسوف بعض الوقت لا يدري ما كان يناسب في الردّ عليه، لكنّه أجاب في نهاية المطاف: «لم أخفْ، ولم أتحوّل إلى شاحب». تردّد الفيلسوف لبعض الوقت، دون أن يعرف ما إذا كان سيردّ عليه: «إذا بدوت في عنف العاصفة خائفاً بعض الشيء،

فأنت لست جديراً بمعرفة سبب ذلك، لكنّ أحد تلامذة أرستيبوس سوف يجيبك نيابة عنّي». في ظرف مشابه، جاء رجل يشبهك في كلّ الأحوال ليسأله كيف يمكن أن يشعر الفيلسوف بالخوف، في حين، كان هو، لا يشعر بالخوف، فقال له: «هذا لأنّنا لسنا في مثل وضع بعضنا بعضاً: كان عليك أن تشعر بالقلق بشأن روح الأحمق الشرير، أمَّا أنا فأخشى على روح تدرَّبت في مدرسة أرستيبوس». مع هذا الردّ السريع، صرف الرواقيّ الرجل الآسيويّ الغنيّ.

أولوس جيليوس، ليالي أتيكا، التاسع عشر، ص. *397-399*.

إذا كانت الملذّات الجسديّة لا تزال تمنح المتعة بعد موتها، فأنا لا أفهم لماذا يسخر أرسطو من نقش آشور بانيبال، حيث يفتخر ملك أشور بأنه أخذ معه كلّ الملذات إلى القبر. كيف، كما يقول، الاستمتاع في القبر بهذه الملذات التي كان لا يشعر بها في حياته إلّا في اللحظة التي كان يستمتع بها؟

شيشرون، النعم والشرور الحقيقية، الثاني، الثاني والثلاثون، ص. *536*.

هـ- المسيحيُّون

أمَّا بالنسبة إلى أرستيبوس، فلا أعتقد أنّه يتعيّن علينا حتّى الردّ عليه. في الواقع، كان منغمساً في الملذات إلى هذا الحدّ، واضعاً نفسه فقط في خدمة بطنه وفينوس، إلى درجة أنّني أشكّ فيما إذا كان رجلاً حقّاً. عاش بطريقة لم يكن فيها فرق بينه وبين الوحش باستثناء حقيقة أنّه كان ينطق. إذا كنا نعطي الحمار أو الخنزير أو الكلب ملكة الكلام وسألنا هذه الحيوانات عمَّا ترغب فيه لأنفسها، ولماذا تركض بشغف وراء الإناث، إلى درجة أنّها تجد صعوبة في الابتعاد عنها [و] لا يشغلها الطعام أو الشراب، ولماذا تطرد الذكور الأخر بعنف، أو عندما تُهزم هي بالذات، لا تبتعد عنها، بل على العكس، في كثير من الأحيان، كلّما ازدادت شقاء، ازداد إصرارها، لماذا لا تخاف المطر والبرد. لماذا

تتحمّل التعب، وتواجه كلّ الأخطار بشجاعة؟ حسناً، عن كلّ هذه الأسئلة، بماذا ستجيب إن لم يكن الخير الأسمى هو لذّة الجسد!؟ إنَّ اللذّة التي تسعى إليها - الحيوانات - لتجربة أروع الأحاسيس، وهي مهمّة جداً بالنسبة إليها، إلى درجة أنَّها تعتقد أنَّه في سبيل الوصول إليها، يجب ألّا تتجنَّب أيّ ألم، وأيّ جرح، ولا الموت حتّى. إذاً، من هؤلاء الأفراد الذين لديهم حساسية أرواح ما لا يملك عقلاً نفسها، وهل نسأل عن طرائق الحياة؟ يقول القورينييون، يجب النظر إلى الفضيلة على وجه التحديد كمصدر للذّة [...] لذا، من هم هؤلاء الأفراد الذي سيعلّموننا أن نكون حكماء، الذين يميّزهم الكلام وحده، وليس الذكاء، عن الوحوش البريّة والخراف.

لاكتانتيوس، المؤسسات الإلهية، الثالث، *8*، *6*، ط. ***Brandt***.

إنَّ [إنكار الله والعناية الإلهيّة] سبق أن ناقشه كلّ من أبيقور وأرستيبوس والقورينيين، فضلاً عن قطعان من الفلاسفة الآخرين.

جيروم، الكنيسة، التاسع، ط. ***Migne***، ***PL*** الثالث والعشرون، ص. *1138*.

أرستيبوس وهو يرتدي الثياب الأرجوانيَّة، وتحت هذا القناع الأكبر من التقشّف، ينغمس في الفجور.

ترتليان، التسويغات، ص. *53*.

من يجرؤ على الادّعاء برؤية الحقيقة في مدرسة أرستيبوس هذه، التي لا تتميَّز بأيّ شكل من الأشكال، من حيث أسلوب حياتها، عن حياة الخنازير والأغنام، والتي تؤكّد أنَّ السعادة تكمن في ملذّات الجسد، الذي إلهه بطنه، ومجده خلاعته؟

أوشيريوس، عن ازدراء العالم، ط. ***Migne***، ***PL***، ص. *724*

بعد أن وصلت إلى هذه النقطة، تذكَّرت المذاهب التي قدَّمها بعض الأشخاص من غير الأرثوذكسيين، أبناء طائفة بروديكوس، التي بموجبها لا ينبغي للمرء أن يصلّي، ولا ينبغي له أن يتباهى بهذه الحكمة الإلحاديّة على أنّها تمثل مدرسة فكريّة جديدة: دعهم يتعلَّموا، في الواقع، أنّ الفلاسفة القورينيين قد سبقوهم.

أكليمنس الإسكندري، ***Stromates***، السابع، *41*، *1* و*2*، ص. *145*.

كان أرستيبوس، مؤسّس الفرقة القورينية، يرى أنّ الخير الأسمى هو لذّة الجسد: لذلك يجب أن يُطرد من عداد الفلاسفة والمجتمع البشريّ، لأنه وضع نفسه في مرتبة الوحوش.

لاكتانيوس، خلاصة المؤسسات الإلهية، الثامن والعشرون، *3*، ***p. 125***.

التسلسل الزمنيّ للدوكسوغرافيين

والفلاسفة القورينيين

القرن الرابع قبل الميلاد.

أرستيبوس (435 - 350)

أفلاطون (427 - 347)

زينوفون الأثينيّ (426 - 354)

هيراكليديس بونتيكوس (390 - 310)

أرسطو (384 - 322)

ديميتريوس الفالرومي (350 - 283)

أنيقريس

هيجيسياس

ثيودوروس

أنتيباتروس

آريتي

أريستوكسينوس

أرستيبوس الحفيد، الملقّب ميترودیداكتوس

القرن الثالث قبل الميلاد.

أبيقور (342 - 271)

كاليماخوس (305 - 240 ج)

تيليس

القرن الثاني قبل الميلاد.

غايوس لوسيليوس (180 - 102)

ديوجينيس الكلبيّ (مستعار-) (بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الأول قبل الميلاد)

سقراط (مستعار-)

القرن الأول قبل الميلاد.

فيلوديمس (110 - 28)

شيشيرون (106 - 43)

ديودور الصقليّ (90 - 20)

هوراس (65 - 8)

سترابون (63 - 25)

فيتروفيو

القرن الأول الميلاديّ.

فيلو الإسكندريّ (20 ق.م - 50 ب.م)

كينتيليانوس (35 - 100)

ديو كريسوستوم (40 - 112)

بلوتارخ الخيروني (45 - 125)

سينيكا (4 ق.م - 65 م)

فاليريوس ماكسيموس (القرن الأول قبل الميلاد - القرن الأول الميلادي)

كليمنت الأول (أواخر القرن الأول - أوائل القرن الثاني)

القرن الثاني

أولوس جيليوس

لوقيانوس (120 - 180)

أبوليوس (125 - 170)

جالينوس البيرغاموني (129 - 199)

إكليمندس الإسكندريّ (150 - 215)

ترتليانوس (150 - 222)

أثينايوس الناوكراتيسي (170 - ؟)

ديوجينيس من أوينواندا

ماكسيموس تيريوس (تيريوس: مدينة صور، م)

تاتيان (120 - ؟)

سيكستوس إمپيريكوس (القرن الثاني - القرن الثالث)

القرن الثالث

إيليانوس من برنستي (170 - 232)

فيلوستراطوس الأثيني (170 - 245)

لاكتانتيوس (250 - 325)

أرنوبيوس (260 - 327)

يوسابيوس القيصريّ (263 - 340)

ماركوس مينوسيوس فيليكس

ديوجينيس اللائرتي

القرن الرابع

أوسونيوس (310 - 393)

ليبانيوس (314 - 393)

إبيفانيوس السلاميسي أسقف سلاميس (315 - 403)

ثامسطيوس من بافلاغونيا (317 - 388)

غريغوريوس النزينزي (القدّيس) (330 - 390)

جيروم (قدّيس) (347 - 348)

يوحنّا فم الذهب (القدّيس) (354 - 407)

القدّيس أوغسطين (354- 430)

القرن الخامس

أوشيريوس الليونيّ (قدّيس) (380 - 450)

بروكلوس (412 - 485)

ستوبيوس

القرن السادس

هيسيتشيوس

القرن السابع وما بعده

يوحنّا الدمشقيّ (القدّيس) (650- 754)

أوستاثيوس من تسالونيكي **(القرن الثاني عشر)**

ملاحظة حول هذا الإصدار

ينطلق (كتاب) اختراع. شذرات قورينيَّة من تقاطع مع الطبعة باللغة الإيطاليَّة لـ غابرييل، القورينيون، سلسلة. «منشورات معهد الفلسفة في جامعة روما»، دار نشر. **G.C.Sansoni**، فلورنسا، 1958، 520 صفحة. والنسخة الهولنديَّة باللاتينية، بقلم إريك مانيباخ **Erich Mannebach** - أرستيبوس وشذرات قورينية، ليد كولون، أي. جي بريل 1961، الحادي عشر + 141 صفحة.

أودّ أن أشكر جير غروت وباسكال مارتيلو لإتاحتهما الفرصة لي للوصول إلى هذه النصوص (غير المتوافرة، وغير المطبوعة)، أحدهما في هولندا، في جامعة أمستردام، والآخر في إيطاليا في جامعة نابولي. لقد عملت على هاتين الطبعتين بفضل الترجمات الإيطاليّة لباسكال مارتيلو، ثمّ اليونانيّة واللاتينيّة لسماراندا باديليتا، التي تولّت مهمّة ترجمة تلك النصوص إلى الفرنسيَّة، والتي لم تُترجم سابقاً، حتّى الترجمة القديمة التي لطالما فضّلتها. شكراً أيضاً لأستاذي الأفلاطونيّ القديم، لوسيان جيرفانيون، الذي أدين له بالمراجعة الدقيقة... وإلى دوروثي شوارتز وميشلين هيرفيو في العمل على الحاسوب والاستنساخ. شكراً أيضاً لكاثرين شاين بيجون لتسهيل وصولي إلى المجموعة القديمة لمكتبة الوسائط الأرجنتينيّة في جميع الأوقات.

لقد وجدت، من جانبي، آثاراً لفلاسفة قورينيين وشذرات من خارج هاتين الطبعتين في نحو ثلاثين مدخلاً. من ناحية أخرى، لم أحتفظ بنصوص أفلاطون التي، كما يبدو، أنّها كانت مقتبسة باستفاضة في طبعة جيانانتوني. تبدو الإشارات إلى أرستيبوس أو إلى القورينيين افتراضيَّة للغاية في مقتطفات من الحوارات المختارة للاقتناع حقّاً بوجودها في هذه الطبعة.

لا ينوي هذا الكتاب أن يكون إصداراً علميّاً كما سيفهم من ذلك. بالنسبة إلى أولئك الذين سيحاولون القيام بمثل هذه المغامرة، أو تطوراتها الجزئية، يرجى الرجوع إلى العمل الممتاز لترجمة حياة ومذاهب الفلاسفة اللامعين لديوجينيس اللائرتي، تحت إشراف ماري أوديل جوليه كازيه، في سلسلة كتاب الجيب، 1999.

إنَّ مقدّمة الكتاب الثاني (ص. 178 - 198)، مخصّصة في جزء منها للقورينيين، أمّا الملاحظات الموجودة في الصفحات من 273 إلى 310، فتقدّم كلّ المراجع العلميّة الممكنة حول هذا الموضوع. وللفائدة أيضاً، من الجدير الرجوع إلى ملاحظات السيرة الذاتيّة عن الفلاسفة المعنيين في معجم الفلاسفة القدماء الرائع، تحت إشراف ر. غوليت، المجلّد الأول، 854 ص. (من أبامون **Abammon** إلى أكسيوتيا **Axiothea**)، والمجلّد الثاني، 1024 ص. (من **de Babelyca d'Argos** إلى **Dyscolius**)، طبعة. المركز الوطني للبحوث الاجتماعيّة، 1989. سينتظر هيجيبسياس وتيودوروس نشر المجلّدات التالية...

مهما كان الأمر، فكي ندرك الرهانات الحقيقيّة للفكرين اليونانيّ واللاتينيّ، سنقرأ ما هي الفلسفة القديمة؟ بقلم بيير هادوت **Pierre Hadot**، الصادر عن دار غاليمار 1995، سلسلة **Folio**، وهو عمل بارع وأساسيّ بعنوان متواضع، يفتح آفاقاً على الاستخدامات الممكنة، اليوم، للفكر القديم. وما فهمه فوكو الأخير على نحو رائع، الذي يمكننا أيضاً من قراءة تأويلات الموضوع **L'Herméneutique du sujet**، ومحاضراته التي درّسها في الكوليج دي فرانس، في عامي 1981 - 1982، الدراسات المتقدّمة - غاليمار. الصادرة عن دار سي، 2001.

قائمة بالإصدارات والترجمات المستخدمة

[هنا المقصود الأعمال المترجمة إلى الفرنسيَّة، المترجم]

-*Anonymes, fragments divers: traduction spéciale, pour cette édition, de Smaranda Badilita, 2001.*

-*APULE´E, Les Florides, in OEuvres complètes, trad. M. Nisard, éd. J.-J. Dubochet, 1843;*

- *De la doctrine de Platon, in OEuvres complètes, tome I, trad. M. Nisard, éd. J.-J. Dubochet, 1843.*

- *ARISTOTE, Métaphysique, trad. J. Tricot, Librairie philosophique Jean Vrin, 1974 ;*

- *E´thique à Nicomaque, trad. J. Tricot, Librairie philosophique Jean Vrin, 1979 ;*

- *Rhétorique, trad. Médéric Dufour et André Wartelle, Gallimard, coll. «Tel», 1998.*

- *ARNOBE, Contre les païens, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*

- *ATHE´NE´E DE NAUCRATIS, Les Deipnosophistes, livres I et II, trad. A.-M. Desrousseaux, Les Belles Lettres, 1956. Pour les fragments extraits des livres suivants, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*

- *AUGUSTIN, La Cité de Dieu, in OEuvres choisies, trad. M. Nisard, éd. J.-J. Dubochet, 1845. Voir également, récemment parues, les traductions de la Bibliothèque de la Pléiade sous la direction de Lucien Jerphagnon.*

- *AULU-GELLE, Nuits attiques, in OEuvres complètes, trad. M. de Chaumont, Flambart et Buisson, éd. Garnier Frères, 1863.*

- *AUSONE, Opuscules, in Idylles, tome I, trad. E. F. Corpes, éd. C.L.F. Panckoucke, 1843.*

- *CALLIMAQUE, E´ pigrammes et Hymnes, trad. E´ mile Cahen, Les Belles Lettres, coll. des Universités de France «Guillaume Budé», 1972.*

- *CICE´RON, Premiers Académiques, in Les Stoïciens, trad. E´ mile Bréhier, Gallimard, coll. «Bibliothèque de la Pléiade», 1962* ;

Lettres à sa famille, in OEuvres complètes, tome I, trad. M. Nisard, éd. J.-J. Dubochet, 1843 ;

- *Des vrais biens et des vrais maux, in OEuvres complètes, tome I, trad. M. Nisard, éd. J.-J. Dubochet, 1843* ;
- *Rhétorique ou De l'invention oratoire, in OEuvres complètes, tome I, trad. M. Nisard, éd. J.-J. Dubochet, 1843* ;
- *De la nature des dieux, in OEuvres complètes, tome I, trad. M. Nisard, éd. J.-J. Dubochet, 1843* ;
- *Traité des devoirs, in Les Stoïciens, trad. E´mile Bréhier, Gallimard, coll. «Bibliothèque de la Pléiade», 1962* ;
- *Les Trois Dialogues de l'orateur, in OEuvres complètes, tome I, trad. M. Nisard, éd. J.-J. Dubochet, 1843* ;
- *Hortentius, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001* ;
- *Les Tusculanes, trad. Jules Humbert, Les Belles Lettres, 1931.*
- *CLE´MENT D'ALEXANDRIE, Stromates, trad.Cl. Mondésert, Éd. du Cerf, coll. «Sources chrétiennes», 1954.*
- *CLE´MENT DE ROME, Homélies, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*
- *Les Cyniques grecs. Fragments et témoignages, éd. par Léonce Paquet, Éd. de l'université d'Ottawa, 1975.*
- *DE´ME´TRIUS DE PHALÈRE, Du style, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*
- *DIODORE DE SICILE, Bibliothèque historique, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*
- *DIOGE`NE d'OENANDA, Fragments, in La Philosophie épicurienne sur pierre, trad. Alexandre Étienne et Dominic O'Meara, Éd. universitaires Fribourg (Suisse) – Éd. du Cerf (Paris),*

1996.

- *DIOGE`NE DE SINOPE (Pseudo-), Lettres de Diogène et Cratès, trad. G. Rombi, Actes Sud, coll. «Babel», 1998.*

- *DIOGE`NE LAE¨RCE, Vies et doctrines des philosophes illustres, trad. sous la direction de Marie-Odile Goulet-Cazé, Le Livre de*

Poche, La Pochothèque, coll. «Les Classiques modernes», 1999.

- *DION CHRYSOSTOME, Discours bithyniens, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*

E´LIEN, Traité sur la nature des animaux, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001 ;

- *Histoire variée, trad. Alessandra Lukinovitch et Anne-France Morand, Les Belles Lettres, coll. «La Roue à livres», 1991.*
- *E´PICURE, Lettre à Ménécée, in Lettres et Maximes, trad. Marcel Conche, PUF, coll. «Épiméthée», 1995 ;*
- *Fragments, in Lettres et Maximes, trad. Marcel Conche, PUF, coll. «Épiméthée», 1995.*
- *E´PIPHANE DE SALAMINE, Contre les hérésies, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*
- *EUCHÈRE, Du mépris du monde, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*

EUSE`BE DE CÉSARÉE, Préparation évangélique, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.

- *EUSTATHE DE THESSALONIQUE, Homélies, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*
- *GALIEN, Exhortations, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*
- *Gnomologie monacale latine, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*
- *Gnomologie vaticane, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*

GRE´GOIRE DE CORINTHE, A` Hermogène, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.

- *GRE´GOIRE DE NAZIANZE, Discours théologiques, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*
- *HE´RACLIDE LE PONTIQUE, Sur le plaisir, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*
- *HE´SYCHIASTE, Des hommes illustres, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*

- *HORACE, Épîtres, trad. François Villeneuve, Les Belles Lettres, coll. des Universités de France «Guillaume Budé», 1967* ;
- *Satires, trad. François Villeneuve, Les Belles Lettres, coll. des Universités de France «Guillaume Budé», 1969.*
- *JEAN CHRYSOSTOME, Homélies, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*
- *JEAN DAMASCE`NE, Florilège, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*
- *JE´ROME, L' E´glise, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*
- *LACTANCE, E´pitomé des institutions divines, trad. Michel Perrin, Éd. du Cerf, coll. «Sources chrétiennes», 1987.*
- *LIBANIOS, Apologie de Socrate, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*
- *LUCIEN DE SAMOSATE, La Double Accusation, in Dialogues satiriques, philosophiques et divers petits traités, trad.Belin deBallu, éd. Lefèvre, 1841* ;
- *Vie de Démonax, in Dialogues satiriques, philosophiques et divers petits traités, trad. Belin de Ballu, éd. Lefèvre, 1841* ;
- *Le Parasite, in OEuvres complètes, trad. E. Talbot, Hachette, 1857* ;
- *Ménippe, in OEuvres complètes, trad. E. Talbot, Hachette, 1857* ;
- *Dialogues des morts, trad. M.-C. Leprevost, Hachette, 1867* ;
- *Histoire véritable, in Romans grecs et latins, trad. Pierre Grimal, Gallimard, coll. «Bibliothèque de la Pléiade», 1958* ;
- *Les Sectes à l'encan, in Dialogues satiriques, philosophiques et divers petits traités, trad. Belin de Ballu, éd. Lefèvre, 1841.*
- *LUCILIUS, Satires, trad. F. Charpin, Les Belles Lettres, coll. des Universités de France «Guillaume Budé», 1979.*
- *MAXIME DETYR, Dissertations, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*
- *MINUCIUS FELIX, Octavius, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*

- *PHILODE`ME, De la rhétorique, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*
- *PHILON D'ALEXANDRIE, OEuvres, trad. Jean Pouilloux, Éd. du Cerf, 1963.*
- *PHILOSTRATE, Vie d'Apollonios de Tyane, in Romans grecs et latins, trad. Pierre Grimal, Gallimard, coll. «Bibliothèque de la Pléiade», 1958.*
- *PLATON, Phédon, in OEuvres complètes, tome I, trad. Léon Robin, Gallimard, coll. «Bibliothèque de la Pléiade», 1950.*
- *PLUTARQUE, Vies des hommes illustres, tome II, trad. Amyot, éd. G. Walter, Gallimard, coll. «Bibliothèque de la Pléiade», 1951* ;
- *Contre Colotès, in Du stoïcisme et de l'épicurisme, trad. Ricard, éd. Sand, coll. «Sagesse et Spiritualité», 1996* ;
- *Sur les progrès dans la vertu, in OEuvres morales, tome I, trad. Ricard, éd. Didier, 1844* ;
- *Sur l'éducation des enfants, in OEuvres morales, tome I, trad. Ricard, éd. Didier, 1844* ;
- *Sur la fortune ou la vertu d'Alexandre, in OEuvres morales, tome II, trad. Ricard, éd. Didier, 1845* ;
- *La vertu est le fruit de l'enseignement, in OEuvres morales, tome II, trad. Ricard, éd. Didier, 1845* ;
- *Des moyens de réprimer la colère, in OEuvres morales, tome II, trad. Ricard, éd. Didier, 1845* ;
- *De la tranquillité de l'âme, in OEuvres morales, tome II, trad. Ricard, éd. Didier, 1845* ;
- *De l'amour des pères et des mères pour leurs enfants, in OEuvres morales, tome II, trad. Ricard, éd. Didier, 1845* ;
- *Si le vice suffit pour rendre malheureux, in OEuvres morales, tome II, trad. Ricard, éd. Didier, 1845* ;
- *De la curiosité, in OEuvres morales, tome II, trad. Ricard, éd. Didier, 1845* ;
- *De l'exil, in OEuvres morales, tome III, trad. Ricard, éd. Didier, 1845* ;
- *Les Symposiaques, ou les Propos de table, in OEuvres morales, tome III, trad. Ricard, éd. Didier, 1845* ;

- *De l'amour, in OEuvres morales, tome III, trad. Ricard, éd. Didier, 1845* ;
- *Les Opinions des philosophes, in OEuvres morales, tome IV, trad. Ricard, éd. Didier, 1845* ;
- *Des contradictions des Stoïciens, in OEuvres morales, tome IV, trad. Ricard, éd. Didier, 1845* ;
- *Des notions communes contre les Stoïciens, in OEuvres morales, tome IV, trad. Ricard, éd. Didier, 1845* ;
- *On ne peut vivre en suivant la doctrine d'E´picure, in OEuvres morales, tome V, trad. Ricard, éd. Didier, 1845* ;
- *Traité d'Isis et d'Osiris, in OEuvres morales, tome V, trad. Ricard, éd. Didier, 1845* ;
- *De la vie et de la poésie d'Homère, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001* ;
- *Fragments, in OEuvres morales, tome V, trad. Ricard, éd. Didier, 1845.*
- *PORPHYRION, Commentaires sur les Épîtres et Satires d'Horace, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*
- *PROCLUS, A`Hésiode, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*
- *QUINTILIEN, L'Institution oratoire, in OEuvres complètes, tome III, trad. Panckoucke et Ouizille, éd. Fourier Frères.*
- *SENEQUE, Lettres à Lucilius, in OEuvres complètes, trad M. Charpentier et Félix Lemaistre, éd. Garnier Frères* ;
- *Des bienfaits, in OEuvres complètes, trad. M. Nisard, éd. Firmin Didot, 1837* ;
- *De la tranquillité de l'âme, trad. M. Nisard, éd. Firmin Didot, 1837.*
- *SEXTUS EMPIRICUS, Contre les mathématiciens, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001* ;
- *Les Esquisses pyrrhoniennes, in OEuvres choisies, trad. Jean Grenier et Geneviève Goron, Aubier-Montaigne, coll. «Bibliothèque philosophique», 1948.*
- *SOCRATE (Pseudo-), Lettres, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*

- *STOBE´E, Florilège, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*
- *STRABON, Géographie, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*
- *SUIDAS, Lexique, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*
- *TATIEN, Discours aux Grecs, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*
- *TELES, Sur l'exil, in Les Cyniques grecs. Fragments et témoignages, éd. par Léonce Paquet, Éd. de l'université d'Ottawa, 1975.*
- *TERTULLIEN, Apologétique, in OEuvres choisies, trad. M. Nisard, éd. J.-J. Dubochet, 1845.*
- *THE´ MISTIUS, Oraisons, trad. spéciale pour cette édition: Smaranda Badilita, 2001.*
- *THEODORET DE CYR, Thérapeutique des maladies helléniques, trad. Pierre Canivet, Éd. du Cerf, coll. «Sources chrétiennes», 1958.*
- *VALE`RE MAXIME, Du fait et des paroles mémorables, in OEuvres complètes, trad.M.Nisard, éd. J.-J. Dubochet, 1841.*
- *VITRUVE, De l'architecture, in OEuvres complètes, trad.M.Nisard, éd. J.-J. Dubochet, 1846.*

XENOPHON, Les Mémorables, in OEuvres complètes, tome III, trad. Pierre Chambry, Flammarion, coll. «GF», 1967

أنجزت الترجمة

في الحادي والثلاثين من تموز 2023م - بغداد

ميشيل أونفري

اِكتشافُ اللَّذَّة

كانت المدرسة القورينية مدرسة فكر فلسفية، تأسست في القرن الرابع قبل الميلاد على يد أرستبوس القوريني (المتوفَّى في نحو ٤٣٥ - ٣٥٦ قبل الميلاد)، الذي كان يصرّح بأن اللذة الحسية هي الخير الأسمى والهدف الوحيد الجدير بالاهتمام في الحياة. عُرفت بأنها أول مدرسة في مذهب المتعة، وقد انتهت لتحلَّ محلها الفلسفة الأبيقورية الأكثر شمولاً.

تتلخّص رؤية المدرسة القورينية المركزيّة في عبارة أرستيبوس القورينيّ: «أنا أمتلك، أنا لست مملوكاً»، ما يعني أنّه يجب السعي وراء اللذّة، على ألاّ ندعها تستعبدنا. في الواقع، كان القصد من السعي وراء اللذّة هو تشجيع الحرية الشخصية بقدر ما لم يكن المرء مرتبطاً بمهام الآخرين الفلسفيّة أو الثقافيّة، لكن يمكنه اتّباع مساره الخاصّ وتأسيس وجهة نظره الخاصّة عن معنى الحياة.

أخيراً، يمكن لنا القول: إنّ أتباع هؤلاء الفلاسفة الذين كانوا يُسمّون جميعاً بأسمائهم، طوّروا من معتقداتهم، في حين كانوا يعارضون تعاليم أبيقور التي كانت تكتسب رسوخاً. وكان أبيقور يؤكّد، مثله مثل أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ قبل الميلاد)، أنّ الهدف من الحياة هو السعادة (الازدهار الإنسانيّ والرفاهية- أن تنعم بروح طيبة)، التي كان من المفترض أن نعيشها في حالة من الهدوء وغياب القلق (ataraxie)، فضلاً عن عدم وجود الألم (aponie). وكان يعتقد أنّ هذه الحالة تتحقق من خلال الاستمتاع بالملذات البسيطة، وإحاطة الذات بالأصدقاء، والانخراط في عمل مجزي.





